

جديد
مكتبة 1663
Agatha Christie
أجاثا كريستي
ألغاز
منتصف الصيف
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTO

أسرار وتشويق من ملكة قصص الجريمة

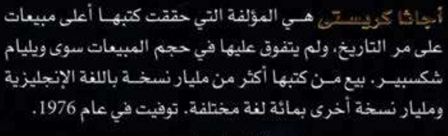


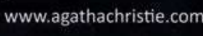
ألغاز منتصف الصيف

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الشاهد الصامت
الستار
بعد الجنازة

فصل الصيف-حيث ترتفع درجات الحرارة، وكذلك تزيد القدرة على ممارسة الشر، من كورنوال حتى ساحل الريفيرا الفرنسي، وسواء أكانت الأحداث تدور في معبد بدلفي أم في المنازل المصرية الريفية، فشخصيات أجاثا كريستي الأكثر شهرة تنجح في حل أكثر الألغاز المستعصية تحت حرارة أشعة شمس الصيف. اسحب مقعد البحر الخشبي، واستمتع بالتطورات المفاجئة في الحبكات والمغالطات المنطقية للروائية صاحبة أكثر الروايات مبيعًا على مر العصور.




أجاثا كريستي هي المؤلفة التي حققت كتبها أعلى مبيعات على مر التاريخ، ولم يتفوق عليها في حجم المبيعات سوى ويليام شكسبير. بيع من كتبها أكثر من مليار نسخة باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة مختلفة. توفيت في عام 1976.


www.agathachristie.com






ISBN 628-1072-12-146-4
6 281072 121464
282208019



أجاثا كريستي

ألغاز منتصف الصيف

أسرار وتشويق من
ملكة قصص الجريمة







من أعمال أجاثا كريستي الأخرى

الفار
الرجل ذو البشرة البنية
سر جريمة تشيملنز
لغز المنبهات السبعة



جريمة في بغداد
وجهة مجهولة
شبكة العنكبوت*
ضيف غير متوقع*
محنة البريء
الجواد الأشهب
ليلة لا تنتهي
راكب إلى فرانكفورت
مشكلة في خليج بولينسا
طالما استمر الضوء
The Listerdale Mysteries

بوارو
القضية الغامضة في مدينة ستايلز
جريمة على ملعب الجولف
تحريات بوارو
من الذي قتل السيد روجر أكرويد
الأربعة الكبار
لغز القطار الأزرق
القهوة السوداء*
خطر في إند هاوس
اللورد إدجوير يموت
جريمة في قطار الشرق السريع
جريمة من ثلاثة فصول
موت في السحاب
أبجدية القتلى
جريمة في بلاد الرافدين
أوراق لعب على الطاولة
جريمة قتل في الإسطبلات
الشاهد الصامت
الموت على ضفاف النيل
الموعد الدامي
احتفال هيركيول بوارو بالعام الجديد
شجرة السرو الحزينة
واحد ـ اثنان ـ اربط حذائي
شر تحت الشمس
الأجوف
أعمال هرقل
ركوب النهار
موت السيدة ماجنتي
بعد الجنازة

جريمة في شارع هيكوري دوك
بيت الرجل الميت
قطة بين الحمام
مغامرة كعكة العيد
الساعات
إعلان عن جريمة
خداع المرايا
جيب مليء بالحبوب
قطار 4:50 من باديجتون
المرآة المتصدعة من جانب لآخر
لغز الكاريبي
لغز فندق برترام
جريمة وانتقام
الجريمة النائمة
القضايا الأخيرة للآنسة ماربل

تومي وتوبنس
العدو الخفي
شركاء في الجريمة
ن أو م؟
عن طريق وخز الإبهام
بوابة المصير

نُشرت بالاسم المستعار ماري وستماكوت
Giant's Bread
Unfinished Portrait
Absent in the Spring
The Rose and the Yew Tree
A Daughter's a Daughter
The Burden

مذكرات
An Autobiography
Come, Tell Me How You Live
The Grand Tour

مسرحيات وقصص
Akhnaton
The Floating Admiral (مساهمة في التأليف)
Hercule Poirot and the Greenshore Folly
Star Over Bethlehem

* حولها إلى رواية تشارلز أوزبورن



المحتويات

مقدمة
ذات صيف في جبال البرانس

اعتاد أبي ومادج الخروج للتنزه على صهوة الخيل، واستجابة منهما لتوسلاتي، أخبراني ذات يوم بأنني قد سُمح لي بأن أرافقهما، فانتابني شعور بالحماس والإثارة. صحيح أن أمي أبدت بعض التخوفات، لكن أبي بدَّد كل هواجسها.

قال أبي: "سيصحبنا دليل، وهو معتاد التعامل مع الأطفال، وسيحرص على عدم سقوطهما عن ظهر الحصان".

في صباح اليوم التالي، وصلت ثلاثة أحصنة، ثم انطلقنا. سرنا في خط متعرج عبر الدروب شديدة الانحدار، واستمتعت كثيرًا بامتطائي ظهر الحصان الذي بدا لي ضخمًا. وقد قاد الدليل الحصان إلى أعلى التلة، وكان بين الحين والآخر يلتقط حفنة من الأزهار ويمنحني إياها كي أضعها في شريط قبعتي. وحتى ذلك الحين كان كل شيء يسير على خير ما يرام، لكن عندما وصلنا إلى القمة وأعددنا طعام الغداء، أظهر الدليل إبداعاته الحقيقية. فقد هرع نحونا، وهو يحمل بين يديه فراشة رائعة نجح في اصطيادها، وصاح: "*هذه من أجل الآنسة الصغيرة*". ثم أخرج دبوسًا من ياقة قميصه، وقام بغرسه في الفراشة وثبتها في قبعتي! كم شعرت بالرعب في هذه اللحظة! فلقد شعرت بالفراشة المسكينة تخفق بجناحيها هلعًا وهي تتألم بسبب الدبوس. وملأني الأسى نحوها، وبالطبع لم أقوَ على قول أي شيء. كانت هناك العديد من الصراعات التي تعتري ذهني. فمن ناحية كان هذا لطفًا من الدليل؛ لأنه أحضر الفراشة من أجلي، وكان ذلك بالطبع نوعًا

خاصًا من الهدايا. فكيف لي أن أؤذي مشاعره، وأقول له إنها لم ترُق لي؟ كم رغبت حينها في أن ينزعها من القبعة! لأن الفراشة كانت ترفرف محتضرة طوال الوقت. ونقر جناحيها على القبعة كان يؤلمني إلى أقصى حد، وليس هناك سوى شيء واحد يمكن لطفلة أن تفعله في مثل هذه الظروف، بكيت.

وكلما سألني أي منهم سؤالًا، زاد عجزي عن الرد. فسألني أبي: "ما خطبك؟ هل تتألمين؟".

فقالت شقيقتي: "ربما تشعر بالخوف من امتطاء الحصان".

فظللت أجيب: "لا، لا. أنا لست خائفة وليس هناك أي ألم أشعر به من جراء ذلك".

فقال أبي: "هل تشعرين بالتعب؟".

فقلت له: "لا".

"حسنًا، إذن، ما الخطب؟".

لكنني لم أتمكن من الإجابة. وبالطبع لم أتمكن من البوح بالسبب؛ لأن الدليل كان يقف معنا، يراقبني بانتباه وبوجه متحير. فقال أبي بحنق:

"إنها ما زالت صغيرة للغاية. فلم يكن ينبغي لنا أن نحضرها معنا في هذه الجولة".

فزاد قوله هذا من نحيبي؛ إذ لا بد أنني أفسدت عليه النزهة هو وشقيقتي، لقد انتابني شعور بأنني فعلت هذا حقًا، لكنني لم أتمكن من التوقف. وكل ما تمنيته ودعوت أن يحدث هو أن يخمن أبي أو شقيقتي كذلك ما بي من خطب. وبالتأكيد سينظران إلى هذه الفراشة، وسيريانها، وسيقولان: "ربما لا تروق لها الفراشة المثبتة في قبعتها". ولو قالا هذا، لكان كل شيء تحسن. لكنهما لم يقولاه، وعجزت أنا عن إخبارهما. كان يومًا مريعًا حقًا، حيث رفضت تناول غدائي، وجلست هناك أبكي، بينما الفراشة تواصل الرفرفة بجناحيها. وفي نهاية المطاف توقف الجناحان عن

الحركة، وكان من المفترض أن يجعلني هذا أشعر بالتحسن. لكنني كنت قد وصلت إلى حالة من الأسى لا يمكن لأي شيء أن يخفف منها.

وأخيرًا امتطينا الأحصنة مجددًا عائدين إلى المنزل، كان أبي بلا شك غاضبًا، وشقيقتي كانت منزعجة، بينما ظل الدليل لطيفًا وعطوفًا ومتحيرًا. ولحسن الحظ، لم يفكر في إحضار فراشة أخرى لي لكي يبهجني. وصلنا إلى المنزل تكسونا الكآبة، واتجهنا إلى غرفة المعيشة حيث كانت أمي تجلس.

قالت أمي: "يا إلهي، ماذا حدث، هل آذت أجاثا نفسها؟".

فقال أبي حانقًا: "أنا لا أعرف، لا أعرف ما خطب هذه الفتاة. أظن أنها شعرت بالألم أو بشيء من هذا القبيل. فقد ظلت تبكي منذ وقت الغداء، ولم تتناول شيئًا".

فتحولت أمي إليَّ وسألتني: "ماذا بك يا أجاثا؟".

لم أقوَ على إخبارها، فنظرت إليها صامتة بينما انسابت الدموع على وجنتيَّ. فتفرست في وجهي دقائق، ثم قالت: "من وضع هذه الفراشة في قبعتها؟".

فشرحت لها شقيقتي أن الدليل هو من فعل هذا.

فقالت أمي بفطنة: "لقد فهمت". ثم قالت لي: "إنها لا تروق لك، أليس كذلك؟ لقد كانت على قيد الحياة، وظننتِ أنها كانت تتألم؟".

يا للشعور العظيم بالارتياح، يا له من شعور رائع ينتابنا عندما يعرف شخص آخر ما يدور في أذهاننا ويخبرنا به فيحررنا أخيرًا من عبودية الصمت طويلة المدى. ألقيت بنفسي عليها في حالة من الفرح الهستيري، ولففت ذراعيَّ حول رقبتها، وقلت: "أجل، أجل، أجل. لقد كانت تخفق بجناحيها. لقد كانت تخفق بجناحيها. لكنه كان لطيفًا للغاية، ولم يكن يقصد سوى أن يكون لطيفًا. ولم أتمكن من قول هذا أمامه".

استوعبت أمي الأمر برمته، وربتت ظهري برقة. وفجأة بدا الأمر كله كأنه لم يحدث.

وأخيرًا، قالت أمي: "أنا أفهم تمامًا ما شعرتِ به، وأعرف وقع ذلك عليكِ. لكن كل ما حدث انقضى الآن، ولن نتحدث عنه مجددًا".

أجاثا كريستي



محمد خطاب

ألغاز منتصف الصيف




محمد خطاب



الرصيف الملطخ بالدماء

قالت جويس ليمبريير: "قد يبدو ذلك غريبًا، لكنني لست متحمسة كي أروي لكم حكايتي. فقد حدثت منذ فترة طويلة - لأتوخى الدقة منذ خمسة أعوام - لكنها مازلت تشغلني منذ ذلك الحين. سواء أكان هذا بسبب الجانب الظاهر المشرق من القصة - أم الجانب الرهيب المستتر منها. والأمر الغريب حقًا أن اللوحة التي رسمتها في ذلك الوقت طغت عليها الأجواء ذاتها. فعندما تنظر إليها للوهلة الأولى ترى أنها مجرد رسم تخطيطي لشارع منحدر بعض الشيء يغمره ضوء الشمس في منطقة كورنوول، لكن عند إمعان النظر فيها تجد أن هناك شيئًا مشئومًا يتسلل إليها. وعلى الرغم من أنني لم أبعها، فأنا لا أنظر إليها مطلقًا. إنها لا تزال تقبع في ركن من أركان المرسم، ووجهها إلى الجدار.

كان اسم المنطقة راثول، وهي قرية صغيرة غريبة في منطقة كورنوول، يعيش أهلها على حرفة الصيد، وهي ذات مناظر طبيعية خلابة - بل ربما خلابة للغاية. إن جوها يذكّر بمقاهي الزمن القديم الرائع ومعالمه، وفي القرية متاجر بها فتيات ذوات شعر قصير، يرتدين تنورات فضفاضة، ويطرزن بأيديهن شعارات وتصميمات مزخرفة على الجلود المدبوغة، إنها مكان جميل وجذاب بشكل لا يمكن إنكاره.

قال رايموند ويست متأففًا: "نعم، أعرف هذا. وأعرف أيضًا أن عربات الخيل القديمة لا تسير فيها بسهولة، فبغض النظر عن حال الطرق المؤدية إليها، فإن الوصول إلى أية قرية فاتنة من هذا النوع عبر طرقها غير الممهدة لا يكون آمنًا".

أومأت جويس برأسها، وقالت: "بالفعل الطرق التي تقود إلى راثول ضيقة، وهي كذلك شديدة الانحدار، كأسطح البيوت المائلة. حسنًا إذن، دعني أكمل قصتي. لقد قصدت كورنوول لقضاء أسبوعين كي أرسم، فثمة نزل قديم في راثول يدعى بولهارويذ آرمز، ويُفترض أن هذا هو المنزل الوحيد الذي ظل قائمًا بعد أن أمطر الإسبان القرية بالقذائف عام ألف وخمسمائة تقريبًا".

فقال رايموند ويست متجهمًا: "لم تُقصف القرية بهذا الشكل المروع. حاولي أن تتحلي بالدقة التاريخية يا جويس".

"حسنًا، على كل الأحوال لقد نصبوا الأسلحة بطول الساحل في مكان ما، وأطلقوا قذائفها على منازل القرية فتهاوت، وعمومًا هذا ليس بيت القصيد. بل كان النزل مكانًا قديمًا رائعًا، في مدخله بناء يشبه الرواق مشيد على أربعة أعمدة. وقد اتخذت لنفسي مكانًا رائعًا، ولم أكد أستقر لبدء العمل حتى ظهرت سيارة تسير ببطء وتنحدر آتية من أعلى التل. وبالطبع، كانت السيارة ستتوقف أمام النزل - وهذا بالنسبة لي كان أمرًا مزعجًا للغاية. وبعد قليل هبط من السيارة راكبان - رجل وامرأة - لم أتبين ملامحهما بدقة قبل دخولهما، لكن المرأة كانت ترتدي فستانًا بنفسجيًا من الكتان، وتضع على رأسها قبعة بنفسجية.

ثم خرج الرجل مرة ثانية، ومن دواعي سروري أنه قاد السيارة إلى الزقاق أسفل منا، وأوقفها هناك، ثم مر من أمامي عائدًا إلى النزل. وفي اللحظة ذاتها ظهرت على الطريق سيارة أخرى، وبعد لحظات من توقفها هبطت منها امرأة ترتدي أزهى ثوب قطني

رأيته في حياتي، تزينه أزهار قرمزية على ما أظن، وكانت ترتدي واحدة من قبعات القش التقليدية الكبيرة - تلك الخاصة بسكان كوبا، أليس كذلك؟ - كان لونها قرمزيًا وزاهيًا للغاية.

لم تتوقف هذه السيدة أمام النزل، بل قادت سيارتها إلى أسفل الطريق باتجاه السيارة الأخرى، ثم توقفت بجوارها. وعندما خرجت من السيارة ورآها الرجل أطلق صيحة دهشة، وقال: "كارول، يا لها من مصادفة رائعة. ومن العجيب أن أقابلك هنا في هذا المكان المعزول. فلم أرَك منذ سنوات. إن مارجري زوجتي هنا. يجب أن تقابليها".

ثم اتجها ناحية النزل، وهما يسيران جنبًا إلى جنب. في تلك اللحظة، رأيت المرأة الأخرى المدعوة مارجري وهي تخرج من الباب وتتجه نحوهما. ولم أحظَ إلا بلمحة خاطفة لوجه المرأة التي تدعى كارول وهي تمر من أمامي. لكن ما رأيته كان كافيًا لألمح ذقنًا أبيض ناصعًا مغطى بمساحيق التجميل، وفمًا مطليًا بأحمر شفاه قرمزي متوهج، وتساءلتُ - مجرد تساؤل - هل ستسر مارجري لرؤيتها؟ ولم أكن قد رأيت مارجري عن قرب، لكنها بدت لي من تلك المسافة غير أنيقة، وذات مظهر عادي.

حسنًا، بالطبع لم يكن الأمر يعنيني في شيء، لكنك في بعض الأحيان ترى لمحات قليلة غريبة للغاية من الحياة، ولا يسعك إلا أن تتأملها. ومن حيث كان ثلاثتهم يقفون لم يكن في وسعي سوى التقاط أجزاء الحوار التي تناهت إلى مسامعي. كانوا يتحدثون عن السباحة، وكان الزوج - الذي كان اسمه دينيس على ما أظن - يرغب في أخذ قارب والتجديف بالقرب من الساحل، حيث يوجد كهف شهير يعد من المعالم الجديرة بالمشاهدة، وهو يقع - هكذا قال - على بعد كيلو متر ونصف الكيلو تقريبًا. أرادت كارول أن ترى الكهف أيضًا، لكنها اقترحت التنزه عبر الجرف ورؤيته من جانب البر، لقد قالت إنها تبغض القوارب. وفي النهاية توصلوا

لاتفاق يناسب الجميع. فستذهب كارول عبر الجرف، وسيأخذ دينيس ومارجري القارب ويجدفان، بحيث يلتقون جميعًا في النهاية عند الكهف.

عندما سمعتهم يتحدثون عن السباحة نمت داخلي رغبة في السباحة مثلهم. فلقد كان صباحًا شديد الحرارة، ولم أقم برسم أي شيء له قيمة على أية حال، كما أنني تخيلت أن أشعة فترة الظهيرة ستضفي تأثيرًا أكثر جاذبية بشكل كبير على عملي. لذا لملمت أغراضي، وانطلقت نحو شاطئ صغير أعرفه - كان في مواجهة الكهف تمامًا، وكان ذلك المكان من اكتشافاتي. فقضيت وقتًا رائعًا في السباحة، ثم تناولت طعام الغداء وكان لحمًا معلبًا وثمرتي طماطم، وعدت بعد الظهر تملؤني الثقة والحماس لكي أكمل لوحتي.

بدا كأن كل أهل راثول نيام، وكنت محقة تمامًا بشأن ضوء الظهيرة، فقد كانت الظلال أكثر إيحاءً. وكان نزل بولهارويد آرمز هو النقطة الرئيسية في لوحتي، وقد سقطت أشعة الشمس بشكل مائل أمام مدخله، مُحدثة تأثيرًا خلّابًا على المشهد بأكمله. وأدركت أن المجموعة التي ذهبت للسباحة عادت بسلام عندما رأيت ثوبي سباحة، أحدهما قرمزيًا والآخر أزرق غامق، يتدليان من الشرفة؛ لكي يجفا تحت أشعة الشمس.

ثم وقع خطأ ما في إحدى زوايا لوحتي، فانحنيت تجاهها للحظات لتصحيح الأمر. وعندما رفعت ناظريَّ مجددًا رأيت شخصًا مستندًا إلى أحد أعمدة النزل، وبدا كأنه ظهر من العدم. كان يرتدي ثوب البحارة، وكان على ما أظن صيادًا، لكن لحيته كانت طويلة داكنة. ولو كنت أبحث عن نموذج لقبطان إسباني شرير، لما تخيلت شخصًا أفضل منه بهيئته تلك. وشرعت في الرسم بسرعة محمومة قبل أن يبرح ذلك الرجل مكانه، على

الرغم من أن هيئته كانت تنبئ بأنه مستعد تمامًا لأن يقف مستندًا إلى العمود للأبد.

"غير أنه تحرك من مكانه، لكن لحسن حظي لم يفعل هذا قبل أن أنتهي مما أريد فعله. والمفاجئ في الأمر أنه اتجه نحوي، وبدأ الحديث. يا إلهي، يا للطريقة التي تحدث بها هذا الرجل إليَّ.

وقال: "كانت راثول مكانًا جذابًا للغاية فيما مضى".

"أنا أعلم ذلك بالفعل. لكن على الرغم من أنني قلت هذا، فلَم يفلح ذلك في إنقاذي من استرساله في الحديث. "أنا أعلم تاريخ قصف القرية كله - أقصد التدمير، وكيف أن مالك النزل كان آخر شخص قتلوه. بل أعرف أنه لقى حتفه بخنجر قبطان إسباني، وأن دماءه سالت على الرصيف، ولم يتمكن أحد من غسل هذه البقعة التي خلَّفها الدم منذ مائة عام".

"كل ما كان يجري لحظتها توافق بشكل جيد مع الشعور بالنعاس الذي ينتاب الواحد منا في ذلك الوقت من الظهيرة. وكان صوت الرجل عذبًا باعثًا على الاسترخاء، وفي الوقت ذاته كان هناك شيء خفي فيه يبعث الخوف في النفس. وكان أسلوبه لينًا بإفراط، ومع ذلك شعرت بقسوة خفية مستترة فيه. لقد جعلني أفهم أمر محاكم التفتيش وأدرك فظاعة كل الأشياء التي فعلها الإسبان بشكل أفضل من قبل.

طوال الوقت الذي كان يحدثني فيه، كنت أواصل الرسم، وفجأة أدركت أنني في غمرة إثارتي وأنا أستمع لقصته رسمت شيئًا لم يكن موجودًا في المكان. لقد رسمت على الرقعة البيضاء من الرصيف حيث تسقط أشعة الشمس أمام باب النزل، بقعًا من الدماء. عجيبة هي الطريقة التي يمكن للذهن أن يخدع بها اليد، لكنني عندما نظرت مجددًا تجاه النزل تلقيت صدمة ثانية. لقد رسمت يدي ما وقعت عليه عيناي قبل لحظات - قطرات من الدم تتساقط على الرصيف الأبيض اللون.

حدقت فيما رأيته دقيقة أو دقيقتين، ثم أغمضت عينيَّ، وحدثت نفسي قائلة: "لا تكوني غبية، ليس هناك شيء، حقًا" ثم فتحت عينيَّ مجددًا، لكن بقع الدم كانت لا تزال في مكانها.

فجأة شعرت بأنه لا يمكنني تحمل هذه الحيرة، فقاطعت حديث الصياد المسترسل وقلت له: "أخبرني، فبصري ليس قويًا بما يكفي. هل الموجود على الرصيف هناك هو بقع من الدم؟".

فنظر إليَّ بمحبة ولطف، وقال: "لا توجد بقع دم هذه الأيام يا سيدتي. ما أخبرك به حدث منذ خمسمائة عام تقريبًا".

فأجبته قائلة: "نعم أعلم هذا، لكن الآن - على الرصيف" - احتُبست الكلمات في حلقي، ولم أستطع التفوه بها. لقد *علمتُ- علمت* أنه لن يستطيع رؤية ما أراه، فنهضت، وبيد مرتعشة بدأت جمع أغراضي. وبينما كنت أفعل هذا، ظهر الرجل الذي جاء في الصباح بالسيارة عند باب النزل. ونظر يمينًا ويسارًا في الشارع في حيرة، وفي الشرفة بالأعلى ظهرت زوجته وهي تجمع ثياب السباحة. ثم سار الرجل باتجاه السيارة، لكنه انحرف بغتة عن مساره وعبر الطريق مقتربًا من الصياد.

وقال: "أخبرني يا سيدي، ألا تعرف ما إذا كانت السيدة التي جاءت في تلك السيارة الثانية قد عادت أم لا؟".

"السيدة ذات الفستان المطرز كله بالورد؟ لا يا سيدي، لم أرَها. لقد ذهبت عبر الجرف باتجاه الكهف هذا الصباح".

"أنا أعلم ذلك، أعلمه. لقد سبحنا معًا هناك، ثم تركتنا لتعود إلى هنا سيرًا، ولم أرها منذ ذلك الحين. مستحيل أن يكون الطريق قد استغرق منها كل ذلك الوقت. المنحدرات هنا ليست خطرة، أليس كذلك؟".

فأجابه الصياد: "هذا يتوقف يا سيدي على الطريق الذي تسلكه، فأفضل طريقة للتجول هنا هي أن تصحب معك دليلًا يعرف المكان جيدًا".

كان مـن الواضـح أنـه يقصد نفسـه، وبـدأ تهويـل الموقف، لكن الشـاب قطـع حديثـه بفظاظة وعاد مسـرعًا إلى النـزل وهو يحدث زوجته التي تقف في الشرفة.

"مارجري، كارول لم تعد بعد، إنه أمر غريب، أليس كذلك؟".

لم أسـمع رد مارجري، لكن زوجها اسـتطرد قائلاً: "حسـنًا، لا يسـعنا الانتظـار أكثر من ذلك. يجـب أن ننطلق إلى بينـريثار. فهل أنت مستعدة؟ سأشغِّل محرك السيارة".

وبينما كان يقول هذا شغَّل محرك السيارة بالفعل، وبعد قليل انطلقـا معًـا. وفـي هـذه الأثنـاء كنـت أحث نفسـي على إثبـات مدى سـخافة خيالاتـي. وعندمـا ابتعـدت السـيارة اتجهت ناحيـة النزل، وفحصـت الرصيـف مـن كثـب، بالطبع لـم تكن ثمة بقـع دم من أي نوع، وطوال هذا الوقت كان ما رأيته نتاج مخيلتي المشوشة. ومع ذلـك، بـدا الأمـر مخيفًا بشـكل أكبر على نحو مـا. وبينما كنت أقف هناك جاءني صوت الصياد.

كان يتطلـع إلـيَّ بفضول، وقال: "هـل تظنين أنك رأيت بقع دم هنا، أليس كذلك يا سيدتي؟".

فأومأت برأسي موافقة.

"هـذا غريـب للغايـة، غريـب للغايـة. فلدينـا خرافة بشـأن هذا الأمـر تحديـدًا يـا سـيدتي. تقـول الخرافـة إنـه إذا رأى أي شـخص بقع الدماء تلك...".

ثم توقف عن الحديث.

فقلت له: "حسنًا؟" لأحثه على الاسترسال.

فاسـترسـل متحدثـًا بصوتـه الناعـم، الـذي تخالطـه نبـرة تـدل علـى أنـه مـن أهـل المكان، لكن نطقه كان - دون قصد منه - سلسًـا ومهذبًا ليس به أي أثر من أسلوب حديث أهل المنطقة.

"يقولون يا سيدتي إنه إذا رأى شخص ما بقع الدم تلك، فهذا يعني أن هناك من سيموت في غضون أربع وعشرين ساعة".

هذا مخيف! لقد أثار قوله هذا شعورًا بغيضًا داخلي، واستطرد موضحًا بصورة مقنعة: "هناك أثر تحكي نقوشه قصة مهمة جدًا يا سيدتي عن موت...".

فقلت بحزم: "لا، شكرًا". واستدرت بحدة على عقبيَّ، وسرت في الشارع تجاه الكوخ الذي كنت أسكنه. وبمجرد أن وصلت إلى هناك رأيت من بعيد السيدة التي تدعى كارول آتية عبر المنحدر. وكانت تسرع السير، وبدت بين الصخور الرمادية كزهرة قرمزية سامة، كما بدت قبعتها بلون الدم...

هززت رأسي، لا بد أن كل هذه الدماء في عقلي أنا فقط.

بعد ذلك، سمعت صوت محرك سيارتها. وتساءلت عما إذا كانت هي أيضًا ذاهبة إلى بينريثار، لكنها سلكت الاتجاه المعاكس على يسار الطريق. راقبت السيارة وهي تسير ببطء صاعدة التل حتى اختفت، ولسبب مبهم أخذت أتنفس بشكل أكثر راحة. لقد استعادت راثول سمتها الهادئ الناعس مرة أخرى ".

قال رايموند ويست عندما توقفت جويس عن السرد: "إذا كان هذا هو كل ما حدث، فسأقول لك رأيي على الفور. فما شعرت به وقتها كان مجرد عسر هضم، إذ هو ما يتسبب في ظهور تلك البقع أمام العين بعد تناول الوجبات".

فقالت جويس: "هذا ليس كل ما في الأمر. فأنت لم تسمع بقية ما حدث". وتابعت سردها: "بعد مضي يومين قرأت في الصحف خبرًا تحت عنوان "وفاة بسبب السباحة". وكان الخبر يسرد كيف غرقت السيدة داكر زوجة الكابتن دينيس داكر في حادث مؤسف في منطقة خليج لاندير، على مقربة من الساحل. حيث كانت هي وزوجها يقيمان في فندق هناك، وأعلنا عن نيتهما السباحة في الخليج، لكن ريحًا باردة هبت. فقال الكابتن داكر إن الجو صار شديد البرودة بالنسبة للسباحة، ومن ثم انطلق هو وبعض نزلاء الفندق الآخرين إلى ملاعب الجولف القريبة. ومع

ذلك، قالت السيدة داكر إن الجو ليس باردًا بالنسبة لها، وذهبت وحدها إلى الخليج. وبعدما تأخر الوقت دون أن تعود شعر زوجها بالقلق، وذهب بصحبة أصدقائه إلى الشاطئ. وحينما وصلوا وجدوا ملابسها بجوار صخرة، وليس هناك أي أثر للسيدة تعيسة الحظ. ولم يُعثر على جسدها إلا بعد أسبوع تقريبًا عندما ألقى به البحر على الشاطئ في مكان ما. لقد كانت هناك ضربة قوية في رأسها تعرضت لها قبل موتها، وقيل لا بد أنها غاصت في البحر وارتطم رأسها بصخرة. وعلى ما أعتقد أن موتها حدث بعد أربع وعشرين ساعة من رؤيتي بقع الدم".

قال السيد هنري: "أنا أعترض، فهذا ليس لغزًا - بل هو قصة أشباح. ومن الواضح أن الآنسة ليمبريير وسيطة روحانية".

أما السيد بيثيريك فقد سعل كعادته، وقال: "هناك نقطة واحدة لفتت نظري - تلك الضربة على الرأس. وأظن أننا يجب ألا نهمل احتمال أن تكون هذه جريمة قتل مدبرة. لكنني لا أرى أننا نمتلك ما يكفي من المعلومات لكي نقر بهذا الاحتمال. إن تخيلات الآنسة ليمبريير أو رؤيتها مثيرة بالتأكيد، لكنني لا أرى بوضوح النقطة التي تريد أن نبدي رأينا بشأنها".

قال رايموند: "إنه مجرد عسر هضم ومصادفة، وعلى أية حال أنتِ لا تستطيعين الجزم بأنهما كانا الزوجين نفسيهما. وعلاوة على أن تلك اللعنة، أو أيًا كانت، ما كانت لتحل إلا على السكان الفعليين لراثول فقط".

فقال السير هنري: "أنا أشعر بأن ذلك الصياد الشرير له علاقة بتلك الحكاية. لكنني أتفق مع السيد بيثيريك على أن الآنسة ليمبريير لم تعطنا الكثير من التفاصيل".

التفتت جويس إلى الدكتور بيندر الذي هز رأسه، ثم قال: "إنها قصة شائقة للغاية، لكنني أميل إلى الاتفاق مع السير

هنري والسيد بيثيريك في أن التفاصيل التي لدينا ليست كافية لكي نستنتج أي شيء".

فنظرت جويس بفضول إلى الآنسة ماربل، التي ابتسمت لها، ثم قالت: "أنا أيضًا أظن أنك كنت غير منصفة بعض الشيء يا عزيزتي جويس. فبالطبع الأمر مختلف بالنسبة لي. أعني أننا كنساء نهتم كثيرًا بمسألة الملابس. ولا أظن أنه من العدل أن تطلبي من الرجال رأيهم في مشكلة كهذه. وأظن أن القصة اعتمدت على التغيير السريع للملابس. فيا لها من امرأة شريرة! ويا له من رجل أكثر شرًا".

فحدقت جويس إلى وجهها. ثم قالت: "أيتها الخالة جين، أقصد الآنسة ماربل، أعتقد حقًا أنك تعرفين الحقيقة".

قالت الآنسة ماربل: "حسنًا يا عزيزتي، من السهل بالنسبة إليَّ أن أفسر الأمر وأنا جالسة هنا، وهذا أسهل مما كان عليه الحال بالنسبة إليك وقتها - وبما أنك فنانة فأنت أكثر تأثرًا بالجو المحيط بك، أليس كذلك؟ أما الجلوس هنا مع شخص مثلي يربط الأحداث بعضها ببعض، شخص يرى الحقائق فقط، فأمر مختلف. فقطرات الدم تساقطت على الرصيف من أحد ثوبي السباحة المتدليين من الشرفة، ولأنه أحمر اللون، فإن المجرمين نفسيهما لم يدركا أنه كان ملطخًا بالدماء، يا لها من مسكينة، يا لها من شابة مسكينة!".

قال السير هنري: "معذرة آنسة ماربل، لكنني ما زلت لا أفهم شيئًا، يبدو أنك أنت والآنسة ليمبريير تعرفان ما تتحدثان عنه، لكننا نحن الرجال لا نزال لا نفهم أي شيء!".

قالت جويس: "سوف أخبركم بنهاية القصة الآن. بعد مضي عام، كنت في منتجع على الساحل الشرقي للبحر، وكنت أرسم، وشعرت بغتة بذلك الشعور الغريب الذي ينتاب المرء عندما يرى أمامه شيئًا يظن أنه قد حدث من قبل. وكان هناك شخصان -

رجل وامرأة - على الرصيف أمامي، وكانا يحييان شخصًا ثالثًا، سيدة ترتدي فستانًا قطنيًا مطرزًا بزهور قرمزية. وسمعت الرجل يقول: "كارول، يا لها من مصادفة رائعة! من الرائع مقابلتك بعد كل هذه السنوات. ألا تعرفين زوجتي؟ جوان، هذه صديقة قديمة لي، الآنسة هاردينج".

عرفت الرجل على الفور. لقد كان دينيس ذاته الذي رأيته من قبل في راثول. لكن الزوجة كانت مختلفة - فهذه المرة كانت جوان بدلًا من مارجري؛ لكنها كانت من الطراز نفسه، شابة غير أنيقة ليست لها ملامح مميزة. ظننت للحظة أنني جننت. لقد شرعوا بعدها في الحديث عن السباحة في البحر. وسأخبركم بما فعلته حينها. توجهت مباشرة إلى قسم الشرطة، وقد توقعت بالطبع أن رجال الشرطة سيعتقدون أنني مجنونة، لكنني لم أهتم. وما حدث في الواقع أن كل شيء سار على ما يرام. كان ثمة رجل من شرطة العاصمة، وقد حضر لاستقصاء حقيقة هذه القضية تحديدًا. أوه، من الفظيع الحديث عن هذا الأمر، لكن بدا واضحًا أن الشرطة كانت تساورها الشكوك بشأن هذا المدعو دينيس داكر. ولم يكن هذا اسمه الحقيقي - بل كان ينتحل أسماء مختلفة في بعض الأحيان، وكان يتعرف على الفتيات - غالبًا الفتيات اللاتي لا يلفتن النظر وليس لديهن الكثير من الأقارب أو الأصدقاء - وكان يتزوجهن، ثم يؤمن على حياتهن بمبالغ مالية ضخمة، ثم - يا إلهي، هذا فظيع بالفعل! أما المرأة التي تدعى كارول، فكانت زوجته الحقيقية، وكانا دائمًا ينفذان الخطة ذاتها. وهكذا تمكن رجال الشرطة من ضبطه، فقد بدأت شركات التأمين ترتاب بشأنه. وكان دينيس يصطحب زوجته الجديدة دائمًا إلى مكان هادئ بجوار البحر، ثم تظهر المرأة الأخرى، أي زوجته الحقيقية، ويذهبون جميعًا للسباحة. ثم يقتلان الزوجة المخدوعة، ومن ثم كانت كارول ترتدي ثياب الزوجة المخدوعة،

وتعود بها في القارب معه. وبعدها كانا يغادران المكان، أي مكان يكونان فيه، بعد أن يسألا عن الصديقة التي كانت معهما. وعندما يغادران، كانت كارول تغير ملابسها سريعًا، وترتدي ثيابها اللافتة للنظر، وتضع على وجهها مكياجها الصارخ، وتعود إلى المكان باعتبارها الصديقة التي التقاها المجرم وزوجته المخدوعة، ثم تنطلق بسيارتها. كما أنهما كانا يستكشفان اتجاه وشدة التيار ليحددا المكان الذي سيُظن أن الوفاة المزعومة قد حدثت فيه على طول الساحل. ثم كانت كارول تختتم أداءها دور الزوجة المقتولة بأن تقصد شاطئًا منعزلًا، وتترك ثياب هذه الزوجة هناك بجوار صخرة وترحل بفستانها القماشي المطرز بالزهور، وتنتظر في هدوء حتى ينضم إليها زوجها.

أظن أنهما عندما قتلا مارجري المسكينة، تناثرت بعض الدماء على ثوب السباحة الخاص بكارول، ولأنه أحمر اللون لم يلاحظا هذا، كما قالت الآنسة ماربل. لكنهما عندما علقاه في الشرفة تساقطت قطرات الدم منه. ثم قالت وهي تنتفض في مكانها: "يا إلهي، مازال بإمكاني رؤية المنظر حتى الآن".

قال السير هنري: "بالطبع، أنا أتذكر هذا جيدًا الآن، واسم الرجل الحقيقي كان ديفيس. لقد سقط هذا من ذاكرتي؛ لأن داكر كان واحدًا من أسمائه العديدة. كانا زوجين غاية في الدهاء. وكان مدهشًا بالنسبة لي أن أحدًا لم يكتشف أمر تغير شخصية المرأة. بل أظن - كما قالت آنسة ماربل - أن الثياب يسهل تذكرها بشكل أكثر قوة من ملامح الوجه؛ لكن هذا كان مخططًا ذكيًا للغاية، فمع أن الشكوك كانت تحوم حول ديفيس، لم يكن من السهل إثبات التهمة عليه، إذ كان لديه دومًا عذر لا يمكن دحضه يبرر به غيابه عن مسرح الجريمة".

قال رايموند وهو ينظر إلى الآنسة ماربل باستغراب: "خالة جين، كيف عرفتِ هذا؟ لقد عشتِ حياة مسالمة للغاية، ومع ذلك لا يبدو لي أن شيئًا يثير الدهشة في نفسك".

فأجابت الآنسة ماربل: "دائمًا ما أرى أن الأمور تتشابه في هذه الدنيا، وهناك مثلا تلك المرأة التي تدعى السيدة جرين، لقد دفنت خمسة أطفال - وكل منهم كان مؤمنًا عليه. حسنًا، يصبح المرء مرتابًا في الكثير من الأمور بعدما يعايش أحداثًا وأشخاصًا من هذا النوع".

ثم هزت رأسها، واستطردت قائلة:

"هناك الكثير من الشر في حياة الريف، وأنا أتمنى ألا تختبروا يا أعزائي في حياتكم الواقعية مقدار الشر الموجود في هذا العالم".

الدليل المزدوج

قال السيد ماركوس هاردمان، ربما للمرة الرابعة عشرة: "لكن أهم شيء - لا نشر للخبر".

كان تكرار فكرة *التكتم* طوال حواره بانتظام دليلًا على أنها مهيمنة عليه. فقد كان السيد هاردمان رجلا ضئيل الجسد، وممتلئًا بعض الشيء، وأظافره مقلمة بعناية، كما كان له صوت عالي النبرة، يكسوه شيء من الأسى. وكان الرجل مشهورًا إلى حد ما في مجال عمله في عالم الموضة والأناقة. كان ثريًا، لكنه لم يكن فاحش الثراء، وكان ينفق ماله ببذخ سعيًا خلف الترف الاجتماعي، أما هوايته فكانت جمع الأشياء القديمة. وكان حبه لجمع الأشياء القديمة مسيطرًا عليه، فانغمس في جمع قماش الدانتيل القديم، والأكواب، والأثواب، والمراوح القديمة، والمجوهرات العتيقة - ولم يكن ماركوس هاردمان يمتلك أي شيء بسيط أو معاصر.

وإثر استدعاء عاجل، وصلت أنا وبوارو، لنجد الرجل ضئيل الجسد يتلوى من ألم الحيرة. ففي هذه الظروف كان إبلاغ الشرطة أمرًا مكروهًا بالنسبة إليه، وفي المقابل كان عدم إبلاغها يعني إذعانه لفقدان بعض الجواهر من مجموعته الخاصة من الأحجار الكريمة؛ لذا تواصل مع بوارو كحل وسط.

"ياقوتاتي يا سيد بوارو، والعقد الزمردي الذي يقال إنه كان يخص كاثرين دي ميديتشي. يا إلهي، العقد الزمردي!".

فقال له بوارو برفق: "هل تتكرم وتقص عليَّ ظروف اختفاء هذه الأشياء؟".

أجابه الرجل: "كلي شوق لذلك. بعد ظهر يوم أمس كنت أقيم حفل شاي صغيرًا - حفلًا غير رسمي ضم ستة أشخاص أو نحو ذلك. لقد أقمت حفلا أو اثنين خلال هذا الموسم، وعلى الرغم من أنه ينبغي ألا أبوح بهذا، فتلك الحفلات كانت ناجحة للغاية. استمعنا لبعض الموسيقى - في وجود ناكورا عازف البيانو، وكاثرين بيرد السوبرانو الأسترالية - في القاعة الكبيرة. في وقت باكر من هذا اليوم عرضت على ضيوفي مجموعتي من جواهر العصور الوسطى التي أحتفظ بها عادة في الخزانة الصغيرة المعلقة في الجدار هناك. وهي منظمة من الداخل كصندوق عرض حيث إنها مبطنة بقماش من القطيفة الملونة الخاصة بعرض الجواهر. وبعد ذلك تفحصنا المراوح المعلقة بدورها في خزانة أخرى على الجدار، ثم توجهنا جميعًا إلى القاعة للاستماع إلى الموسيقى. وبعد أن رحل الجميع اكتشفت أن الخزانة قد نهبت! لا بد أنني لم أحكم غلقها، وانتهز شخص ما هذه الفرصة للاستيلاء على محتوياتها. الياقوت، يا عزيزي بوارو، العقد الزمردي - أثمن مجموعة في حياتي كلها! سأفعل أي شيء لاستعادتها! لكن لا يجب أن يذيع الأمر! بالطبع أنت تفهم ذلك جيدًا، أليس كذلك يا عزيزي بوارو؟ فضيوفي هم أصدقاء شخصيون لي! ستكون هذه فضيحة مدوية!".

"من كان آخر شخص غادر الغرفة عندما توجهتم إلى القاعة الثانية؟".

"السيد جونستون. ألا تعرفه؟ المليونير الآتي من جنوب أفريقيا. لقد استأجر من فوره منزل أبوتبيري في شارع بارك لين. لقد تخلف عنا بضع دقائق، إنني أتذكر هذا. ولكن من المؤكد... يا إلهي، بكل تأكيد لا يمكن أن يكون هو!".

"هل عاد أي من ضيوفك إلى هذه الغرفة خلال فترة الظهيرة بأية حجة؟".

"كنت أنتظر هذا السؤال يا سيد بوارو. فثلاثة منهم فعلوا، الكونتيسة فيرا روساكوف، والسيد برنارد باركر، والسيدة رنكورن".

"حدثني عنهم".

"الكونتيسة روساكوف سيدة روسية فاتنة للغاية، وقد كانت أحد أعضاء نظام الحكم القديم هناك، وقد وصلت الكونتيسة إلى هذا البلد في الفترة الأخيرة. لقد ودعتني يومها وانصرفت، لذا فوجئت بعض الشيء عندما وجدتها في هذه الغرفة تحدق بافتتان واضح إلى خزانتي التي تضم المراوح. أتعرف يا سيد بوارو، كلما فكرت في الأمر، بدا أكثر ريبة. ألا تتفق معي؟".

"إنه أمر مريب بالفعل؛ لكن حدثني أيضًا عن الآخرين".

"حسنًا، لقد عاد باركر إلى هنا لكي يأتي لي بحقيبة من المنحوتات الصغيرة التي كنت حريصًا على عرضها على السيدة رنكورن".

"وماذا عن السيدة رنكورن نفسها؟".

"أظن أنك تعلم أن السيدة رنكورن امرأة في منتصف العمر، ذات شخصية قوية جدًا تكرس جل وقتها للعديد من اللجان الخيرية. وقد عادت ببساطة لتأخذ حقيبة يدها التي تركتها في مكان ما بالغرفة".

"حسنًا يا سيدي. إذن نحن لدينا أربعة متهمين محتملين: الكونتيسة الروسية، والسيدة الإنجليزية العظيمة، والمليونير الآتي من جنوب أفريقيا، والسيد برنارد باركر، بالمناسبة، من هو السيد باركر؟".

بدا أن السؤال قد تسبب في حرج للسيد هاردمان بشدة.

"إنه - إمم - إنه صديق شاب، حسنًا، في الحقيقة إنه صديق شاب أعرفه".

فرد عليه بوارو بقلق: "لقد استنتجت هذا بالفعل، لكن ما طبيعة عمل السيد باركر؟".

"إنه شاب ذو نشاط اجتماعي ملحوظ - وهو إذا أمكنني القول يجيد عمله على الرغم من ضآلة شأن ما يفعله".

"هل يمكنني أن أسألك، كيف أصبح صديقًا لك؟".

"حسنًا - إمم - ربما أنجز لي في مرة أو مرتين بعض الأعمال الصغيرة".

فقال بوارو: "أكمل يا سيدي".

فنظر إليه هاردمان بضيق. من الواضح أن آخر شيء كان يريده أن يستأنف الحديث عن الشاب، ولكن لأن بوارو ظل صامتًا في ترقب، أذعن السيد هاردمان لرغبته.

فقال: "كما تعلم يا سيد بوارو - من المعروف أنني مهتم بالجواهر العتيقة. وفي بعض الأحيان، يكون هناك إرث عائلي يرغب أصحابه في التصرف فيه، وهو - كما تعلم أيضًا - لن يباع في السوق المفتوحة أو لتاجر عادي. لكن البيع لي بشكل شخصي أمر مختلف تمامًا. فباركر يرتب التفاصيل، حيث يكون على اتصال بالطرفين، وبالتالي نتجنب وجود أي قدر من الحرج ولو كان ضئيلًا. إنه في الواقع من يلفت انتباهي إلى هذه الأشياء. فعلى سبيل المثال، جلبت الكونتيسة روساكوف بعضًا من مجوهرات العائلة معها من روسيا، وهي تتعجل بيعها. وكان من المفترض أن يرتب برنارد باركر أمر الصفقة".

فقال بوارو وهو يفكر: "أفهم ذلك، فهل تثق به صراحة؟".

"ليس لديَّ سبب لكي أفعل العكس".

"سيد هاردمان، من بين هؤلاء الأشخاص الأربعة، من تشك فيه أنت شخصيًا؟".

"يا له من سؤال يا سيد بوارو! إنهم جميعًا أصدقائي كما أخبرتك. فأنا لا أشك في أي منهم - كما أشك فيهم جميعًا، فسّرها كما يروق لك".

"أنا لا أتفق معك. فأنت تشك في شخص من هؤلاء الأربعة. إنه ليس الكونتيسة روساكوف، أو السيد باركر. فهل تشك في السيدة رنكورن أم السيد جونستون؟".

"لقد ضيقت الخناق عليَّ يا سيد بوارو، لقد نجحت في ذلك. فأنا حريص للغاية على عدم التسبب في أية فضيحة. إن السيدة رنكورن تنتمي لإحدى أقدم العائلات الإنجليزية؛ ولكن من الصحيح للأسف الشديد أن خالتها، السيدة كارولين، تعاني علة مؤسفة، بل إن ذلك كان معروفًا بالطبع لكل أصدقائها، وكانت خادمتها تعيد ملاعق الشاي، أو أي شيء كانت تسرقه في أسرع وقت ممكن. هل ترى الآن المأزق الذي أنا فيه؟".

"إذن، السيدة رنكورن لها خالة كانت مريضة بداء السرقة؟ إنه أمر مثير للغاية. فهل تسمح لي بأن أفحص الخزانة؟".

وبموافقة السيد هاردمان، دفع بوارو باب الخزانة إلى الخلف، وفحص الجزء الداخلي. وكانت الأرفف الفارغة المبطنة بالمخمل في مواجهتنا مباشرة.

تمتم بوارو قائلًا وهو يحرك الباب نحو الأمام والخلف: "حتى الآن لا يغلق الباب بإحكام، وأنا أتساءل لماذا؟ آه، ماذا لدينا هنا؟ هناك قفاز معلق بالمفصلة. إنه قفاز رجالي".

ثم وضعه أمام السيد هاردمان.

فقال الأخير: "هذا القفاز ليس لي".

"آه! هناك شيء آخر!" انحنى بوارو برشاقة، والتقط من فوق أرضية الخزانة شيئًا صغيرًا. كان عبارة عن علبة سجائر سوداء اللون من حرير المواريه.

فصاح السيد هاردمان: "علبة سجائري!".

"أهذه لك؟ بكل تأكيد إنها لا تخصك يا سيدي. فهذه ليست الأحرف الأولى من اسمك".

ثم أشار إلى شعار مطرز بخيط بلاتيني لحرفين.

فأخذ هاردمان العلبة بين يديه.

ثم قال: "أنت محق، إنها تشبهها كثيرًا، لكن الحروفين الأولين المطرزين عليها مختلفان. إنهما حرفا "B" و"P" يا إلهي- برنارد باركر!".

فقال بوارو: "يبدو هذا، يا له من شاب مهمل - خاصة إذا كان القفاز يخصه أيضًا، فسيكون هذا دليلًا مزدوجًا، أليس كذلك؟".

غمغم هاردمان قائلًا: "برنارد باركر! يا لراحتي! حسنًا يا سيد بوارو، سأترك لك أمر استعادة جواهري. يمكنك أن تعرض الأمر على الشرطة إذا كنت ترى ذلك مناسبًا - هذا إذا كنت متأكدًا تمامًا من أنه هو المذنب".

قال بوارو لي ونحن نغادر المنزل معًا: "إلى اللقاء يا صديقي، إن السيد هاردمان يكيل بمكيالين، فهو يعامل ذوي الألقاب بطريقة، والبسطاء بطريقة أخرى. وبما أنني لم أنتمِ إلى طبقة النبلاء بعد، فأنا مازلت في جانب البسطاء. بل أنا أتعاطف مع هذا الشاب؛ لأن الأمر كله يبدو غريبًا بعض الشيء، أليس كذلك؟ لقد كان السيد هاردمان يساوره الشك بشأن السيدة رنكورن؛ وأنا كنت أشك في الكونتيسة وجونستون؛ لكن رجلنا المنشود طوال الوقت كان السيد باركر".

"لِمَ شككتَ في الاثنين الآخرين؟".

"الأمر واضح! من السهل للغاية أن تنتحل شخصية لاجئة روسية أو مليونير من جنوب أفريقيا. فأي امرأة يمكن أن تدعي أنها كونتيسة روسية؛ وأي شخص يمكنه أن يشتري منزلًا في شارع بارك لين ويزعم أنه مليونير من جنوب أفريقيا، إذ من يمكنه أن

يثبت عكس ذلك؟ لكنني ألاحظ الآن أننا وصلنا إلى شارع بيري. وصديقنا الشاب المستهتر يقيم هنا. فدعنا، كما تقولون، نطرق الحديد وهو ساخن".

كان السيد برنارد باركر في منزله، ووجدناه مستلقيًا على بعض الوسائد، ويرتدي مبذلًا مزركشا باللونين البرتقالي والأرجواني. ونادرًا ما أنفر من أي شخص كما نفرت من هذا الشاب بوجهه الأبيض الناعم ولثغته في الحديث.

قال بوارو بسرعة وعلى نحو مباغت: "صباح الخير يا سيدي، أنا آتٍ من عند السيد هاردمان. إذ هناك من سرق كل جواهره أمس في الحفل. فاسمح لي بأن أسألك - هل هذا قفازك؟".

يبدو أن السيد باركر بطيء الفهم. فلقد ظل يحدق إلى القفاز، وهو يجمع شتات أفكاره.

وأخيرًا سأله: "أين وجدته؟".

"هل هذا قفازك يا سيدي؟".

بدا أن السيد باركر يفكر في الأمر، ثم قال: "لا إنه لا يخصني".

"وعلبة السجائر هذه، أهي تخصك؟".

"بالتأكيد لا، فأنا دائمًا أحمل واحدة فضية اللون".

"حسنًا يا سيدي. سأعرض الأمر على الشرطة".

فصاح السيد باركر في قلق: "أوه، ما كنت لأفعل ذلك لو كنت مكانك. فرجال الشرطة قاسون لا قلوب لهم. فتمهل قليلًا، إنني سأذهب وأقابل السيد هاردمان. انتظر هنا - أوه، رجاء، تمهل قليلًا".

لكن بوارو أسرع بالخروج من المنزل كما لو أنه لن يقبل بأن يُناقش قراره.

وقهقه قائلًا بعدها: "لقد منحناه شيئًا يفكر فيه، أليس كذلك؟ غدًا سنرى نتيجة ما فعلنا".

لكن قُدر لنا أن يأتينا من يذكرنا بقضية السيد هاردمان في ظهيرة اليوم نفسه. فدون سابق إنذار انفتح الباب، وغزت خلوتنا زوبعة على هيئة إنسان يلتف بفراء (زوبعة باردة كأحد أيام شهر يونيو في إنجلترا) ويرتدي قبعة كبيرة مصنوعة من ريش النسور. كانت هذه هي الكونتيسة فيرا روساكوف، وهي شخصية إلى حد ما.

"هل أنت السيد بوارو؟ ما هذا الذي فعلته؟ هل تتهم هذا الشاب المسكين! إن هذا أمر مشين. بل إنه فضيحة. إنني أعرفه. إنه جبان، وهو كالحمل الوديع - إن شخصًا مثله لن يسرق أبدًا. لقد فعل كل شيء من أجلي. فهل سأقف وأشاهده وهو يتعرض للظلم؟".

أخرج بوارو علبة السجائر السوداء، وقال: "أخبريني يا سيدتي، هل هذه علبته؟".

توقفت الكونتيسة برهة عن الكلام وهي تفحصها.

"نعم هي. أنا أعرفها جيدًا. فماذا عنها؟ هل عثرت عليها في الغرفة؟ لقد كنا جميعًا هناك، لقد سقطت منه إذن، على ما أظن. يا إلهي، أنتم يا رجال الشرطة أسوأ من رجال الحرس الأحمر الروسي...".

"وهل هذا قفازه؟".

"وكيف لي أن أعرف هذا؟ فالقفازات تتشابه. فلا تحاول أن تمنعني من تحقيق هدفي، لا بد من أن يُطلَق سراحه، يجب أن تبرئ سمعته. يجب أن تفعل هذا. إنني سأبيع جواهري وسأمنحك الكثير من المال".

"سيدتي...".

"اتفقنا إذن؟ لا تناقشني في الأمر. يا للفتى المسكين! لقد أتى إليَّ والدموع في عينيه. وقلت له: سأنقذك، وسأذهب إلى هذا الرجل، هذا الغول، هذا الوحش! اترك الأمر لفيرا. والآن بما

أنني سويت الأمر، فأنا ذاهبة". وكما أتت بزوبعة كبيرة غادرت، وخرجت مندفعة من الحجرة مخلفة وراءها رائحة عطر نفاذة وغريبة.

قلت متعجبًا: "يا لها من امرأة! وما هذا الفراء!".

"نعم، كان هذا الفراء أصليًا بالفعل. فهل يمكن أن تمتلك كونتيسة مزيفة فراء حقيقيًا؟ أظنني أخطأت بشأنها يا هاستينجز... لا، إنها روسية حقًا، كما يُخيل لي. حسنًا، حسنًا، إذن فالسيد برنارد ذهب إليها شاكيًا".

"إن علبة السجائر هذه تخصه. وأنا أتساءل عما إذا كان القفاز أيضًا يخصه...".

علت وجه بوارو ابتسامة، وأخرج من جيبه قفازًا آخر، ووضعه إلى جانب الأول. ولم يكن هناك أدنى شك في أنهما زوج قفاز واحد.

"من أين جئت بالأخرى يا بوارو؟".

"كان ملقى على الطاولة في ردهة المنزل بشارع بيري. فأنت شاب مهمل حقًا يا عزيزي باركر. حسنًا، حسنًا، يا صديقي، إن علينا أن نكون دقيقين. ولكي أكمل الإجراءات الشكلية، سأقوم بزيارة صغيرة إلى شارع بارك لين".

ليس هناك داعٍ لأقول إنني رافقت صديقي. ولم يكن جونستون في المنزل، لكنّ سكرتيرته الخاصة كانت هناك. واتضح أن جونستون كان قد وصل من فوره من جنوب أفريقيا، وأنه لم يزر إنجلترا من قبل.

تجرأ بوارو وسأل: "أظن أنه مهتم بالأحجار الكريمة، أليس كذلك؟".

فضحكت سكرتيرته مجيبة: "أظن أن التنقيب عن الذهب له النصيب الأكبر من اهتمامه".

وقد خرج بوارو من المقابلة مستغرقًا في التفكير.

ولدهشتي، في وقت متأخر من ذلك المساء، وجدته يدرس بشغف قواعد اللغة الروسية.

فصحت: "يا للهول، بوارو! هل تتعلم الروسية لكي تتحدث مع الكونتيسة بلغتها؟".

"إنها بالتأكيد لم تفهم لغتي الإنجليزية يا صديقي!".

"لكن أليس من المعروف يا بوارو أن الروس المنحدرين من أسر عريقة يتحدثون الفرنسية بطلاقة؟".

"أنت منجم للمعلومات يا هاستينجز! ومن ثم سأنهي حيرتي المتزايدة هذه بسبب تعقيدات حروف الأبجدية الروسية".

ثم رمى الكتاب بحركة مسرحية، ولم أقتنع كفاية بما قاله بوارو، لقد كان هناك بريق في عينيه أعرفه جيدًا. وكانت هذه علامة لا شك فيها في أن هيركيول بوارو كان راضيًا عن نفسه.

فقلت بحكمة: "ربما تشك في كونها روسية حقًا. هل ستختبر لغتها الروسية؟".

"لا، لا، لا إنها روسية بكل تأكيد".

"حسنًا، إذن...".

"إذا كنت بالفعل ترغب في التفوق على نفسك في هذه القضية يا هاستينجز، فأوصيك بقراءة كتاب *الخطوات الأولى لتعلم اللغة الروسية*، فسيكون هذا بمنزلة مساعدة ثمينة لك".

ثم ضحك ولم يصرح بالمزيد. فالتقطت الكتاب من فوق الأرض، وشرعت في تصفحه بفضول، لكنني لم أتمكن من فهم أي شيء من ملاحظات بوارو.

لم يحمل لنا صباح اليوم التالي أية أخبار من أي نوع، لكن لم يبدُ أن هذا يثير القلق في نفس صديقي. وأثناء تناول الفطور أعلن نيته التواصل مع السيد هاردمان في وقت لاحق من اليوم. وبالفعل وجدنا ذلك المسن صاحب العلاقات الاجتماعية المتعددة في منزله، وكان يبدو عليه الهدوء أكثر من اليوم السابق.

ووجه سؤالًا إلى بوارو متشوقًا: "حسنًا يا سيد بوارو، هل من جديد؟".

فسلمه بوارو قصاصة من الورق.

"هذا هو الشخص الذي سرق جواهرك يا سيدي، فهل أعرض الأمر على الشرطة؟ أم تفضل أن أعيدها إليك دون إقحام الشرطة في الأمر؟".

ظل السيد هاردمان يحدق إلى الورقة، وفي النهاية تمالك نفسه وتحدث.

"هذا مذهل، إنني أفضل ألا ينطوي الأمر على أية فضائح. بل أنا أمنحك كامل الحرية لتفعل ما تريد يا سيد بوارو، وأنا متأكد أنك ستكون كتومًا".

ثم بعد ذلك أوقفنا سيارة أجرة، وأمر بوارو سائقها بأن يتجه إلى فندق كارلتون، وهناك سأل عن الكونتيسة روساكوف. وبعد بضع دقائق قادنا أحدهم إلى جناح السيدة، حيث أتت لتقابلنا بيدين ممدودتين، وهي ترتدي معطف نوم رائعًا يحمل تصميمه طابعًا شرقيًا، وصاحت قائلة: "سيد بوارو! هل نجحت في الأمر؟ هل برأت ذمة هذا الفتى المسكين؟".

"سيدتي الكونتيسة، إن صديقك السيد باركر بمأمن من الاعتقال".

"آه، أنت حقًا رجل ذكي! ورائع! وكذلك سريع للغاية في معالجة الأزمات".

"من ناحية أخرى كنت قد وعدت السيد هاردمان بأن جواهره ستعود إليه اليوم".

"وما شأني بذلك؟".

"سأكون ممتنًا يا سيدتي إذا وضعتِ تلك الجواهر بين يدي دون تأخير. فأنا آسف لأنني أتعجلك، لكن سيارة الأجرة تنتظرني-

في حالة إذا اضطررنا إلى التوجه إلى مقر شرطة العاصمة؛ ونحن البلجيكيين يا سيدتي نحب التوفير في كل شيء".

أخذت الكونتيسة نفسًا عميقًا، ولثوانٍ جلست بلا حراك تمامًا، وهي تنفث زفيرًا كأنه دخان يتصاعد في حلقات، وتحدق إلى بوارو بثبات. ثم انفجرت ضاحكة، ونهضت. ثم دارت حول المكتب، وفتحت درجًا، وأخرجت منه حقيبة يد حريرية سوداء. وألقت بها بخفة إلى بوارو. وكانت نبرة صوتها وهي تتحدث مرحة، ولم تنم عن أي اضطراب على الإطلاق.

وقالت: "على العكس منا نحن الروسيين، فنحن مبذرون، ولكي نفعل هذا للأسف يجب أن نحصل على المال. ليس عليك أن تنظر داخل الحقيبة، فكل شيء كما هو".

عندئذ نهض بوارو من مقعده، وقال لها: "أهنئك يا سيدتي على سرعة بديهتك ويقظتك".

"آه! لكن بما أن سيارة الأجرة تنتظر، هل هناك أي شيء آخر أستطيع القيام به؟".

"أنت ودود للغاية يا سيدتي، فهل ستبقين في لندن مدة طويلة؟".

"أخشى ألا أفعل، والفضل في ذلك يعود إليك".

"تقبلي أسفي".

"ربما نلتقي مجددًا في مكان آخر".

"أتمنى ذلك".

فصاحت الكونتيسة وهي تضحك: "وأنا - لا أتمنى ذلك! أنا أثني عليك بشدة عندما أقول لك ذلك - فرجال قليلون للغاية في هذا العالم يمكن أن أقول إنني أخشاهم. وداعًا يا سيد بوارو".

"وداعًا يا سيدتي الكونتيسة، آه - أستميحك عذرًا، لقد نسيت! اسمحي لي بأن أعيد إليك علبة سجائرك".

ومع انحناءة سلمها العلبة السوداء الصغيرة التي وجدناها في الخزنة. فأخذتها منه دون أن تظهر أية تعبيرات على وجهها - فقط رفعت حاجبها وتمتمت: "فليكن!".

صاح بوارو بحماس ونحن نهبط درجات السلم: "يا لها من امرأة!"، ثم ردد عبارته مرة أخرى بالفرنسية، ثم قال: "إنها لم تجادل - ولم تعترض، ولم تخادع! فبلمحة واحدة سريعة قدرت أبعاد الموقف بشكل صحيح. أقول لك يا هاستينجز، إن المرأة التي تقبل الهزيمة بهذا الشكل - أي بابتسامة لا مبالية - يمكنها أن تفعل أي شيء! إنها خطيرة ولها أعصاب من فولاذ؛ إنها - "، ثم تعثر وسقط.

فقلت له: "إذا أمكنك أن تخفف من حدة انفعالك وتنظر إلى موضع قدمك فسيكون هذا رائعًا. متى ساورك الشك بشأن الكونتيسة للمرة الأولى؟".

"يا صديقي، ما أثار ريبتي كان الدليل المزدوج، إذا أمكننا تسميته بذلك - القفاز وعلبة السجائر. فربما أوقع برنارد باركر أحدهما - لكن من الصعب أن يكون هو من أوقع الاثنين. لا، فبهذه الطريقة سيكون غاية في الإهمال! وبالطريقة ذاتها، إذا كان هناك من وضعهما في المكان لإدانة باركر، فإن دليلًا واحدًا منهما كان سيكفي - علبة السجائر أو القفاز لكن ليس الاثنين. لذا وجدت نفسي مرغمًا على التوصل لنتيجة مفادها أن الغرضين لا يمكن أن ينتميا إلى باركر. لقد تخيلت في البداية أن العلبة تخصه، والقفاز لا يخصه. لكن عندما وجدت الفردة الأخرى من القفاز، فهمت أن العكس هو الصحيح. والسؤال كان لمن تكون علبة السجائر الحريرية؟ ومن الواضح، أنها لم تكن تخص السيدة رنكورن. فلم تكن الحروف الأولى تتوافق مع اسمها. ثم فكرت هل تخص السيد جونستون؟ قد يكون هذا صحيحًا إذا جاء

إلى هنا تحت اسم مستعار. ثم إنني تحدثت مع سكرتيرته، وكان من الظاهر أن كل شيء واضح وفوق مستوى الشبهات. كما إنه لم يكن هناك أدنى تحفظ بشأن ماضي السيد جونستون. إذن لم يتبقَّ سوى الكونتيسة؟ كان من المفترض أنها أحضرت جواهرها معها من روسيا؛ فما كان عليها سوى أن تأخذ الأحجار الكريمة من مكانها وتدسها بينها، وكان من الصعب أن يتعرف عليها أحد. فلم يكن هناك أسهل من أن تلتقط فردة من قفاز السيد باركر من القاعة ذلك اليوم، وأن تدسها في الخزنة، أليس كذلك؟ لكن بكل تأكيد لم تكن تقصد أن تسقط علبة سجائرها".

قلت له: "لكن إذا كانت العلبة تخصها، فلم كان حرفا "B.P" مطرزين عليها؟" إن الحروف الأولى من اسم الكونتيسة هما "V.R"".

ابتسم لي بوارو بلطف، ثم قال:

"بالضبط يا صديقي؛ لكن في حروف الأبجدية الروسية ينطق حرف B في الإنجليزية V في الروسية، وينطق حرف P في الإنجليزية R في الروسية.

"حسنًا، لا أظن أنك كنت تتوقع مني أن أخمن هذا بمفردي. فأنا لا أعرف اللغة الروسية".

"ولا أنا يا هاستينجز. ولهذا السبب جلبت ذلك الكتاب الصغير - ولفتُّ انتباهك إليه".

ثم تنهد وقال: "يا لها من امرأة رائعة. فلديَّ إحساس يا صديقي- إحساس قوي للغاية - بأنني سأقابلها مرة أخرى. لكنني أتساءل أين؟".



جريمة على ضفاف النيل

كانت السيدة جريل تشعر بالتوتر، فمنذ اللحظة التي صعدت فيها على متن السفينة *إس. إس. فيوم*، بدأت تشتكي من كل شيء. فلم تكن حجرتها تعجبها، كما أنها كانت قادرة على تحمل حرارة شمس الصباح، لكنها لم تستطع تحمل قسوة شمس الظهيرة. ولهذا السبب تنازلت لها ابنة شقيق زوجها، باميلا جريل، بلطف عن حجرتها الواقعة على الطرف الآخر من السفينة. وقبلت السيدة جريل هذا على مضض.

كما أنها وبخت ممرضتها الآنسة ماكنوتن، لأنها أعطتها الوشاح الخطأ كي ترتديه، ولأنها وضعت وسادتها الصغيرة في الحقائب بدلًا من أن تتركها. كما وبخت زوجها السير جورج لأنه اشترى لها العقد الخطأ، فقد أرادت عقدًا من اللازورد لا العقيق، لكن جورج - في رأيها - كان ببساطة مغفلًا!

قال السير جورج بضيق: "آسف يا عزيزتي، آسف. فسأعود وأغيره، فلا يزال هناك الكثير من الوقت".

لم تكن السيدة جريل توبخ باسيل ويست، سكرتير زوجها الخاص، لأنه ليس هناك من بمقدوره توبيخ باسيل على الإطلاق. فابتسامته تجعلك تلين قبل أن تبدأ التوبيخ.

لكن أسوأ توبيخ كان ذلك الذي وقع على الترجمان - وهو شخصية مهيبة وأنيقة الملبس لا يمكن أن يكدر صفوها شيء.

فعندما شاهدت السيدة جريل شخصًا غريبًا يجلس على كرسي مصنوع من القش المجدول، وأدركت أنه راكب يسافر معهم، تدفق غضبها كالماء الجاري.

"لقد أخبروني في المكتب بأننا الركاب الوحيدون! إنها نهاية الموسم وليس هناك شخص آخر مسافر غيرنا!".

قال الترجمان بهدوء: "هذا صحيح يا سيدتي، فأنت فقط ومن معك في صحبة رجل واحد، هذا كل ما في الأمر".

"لكنهم أخبروني بأننا سنكون بمفردنا".

"هذا صحيح يا سيدتي".

"لا، ليس صحيحًا! لقد كان كذبة! فما الذي يفعله هذا الرجل هنا؟".

"لقد حضر في وقت متأخر يا سيدتي، بعد أن حجزتِ تذاكرك. لقد قرر الانضمام إلينا في وقت مبكر هذا الصباح".

"هذا احتيال بالتأكيد!".

"كل شيء على خير ما يرام يا سيدتي، إنه رجل مهذب جدًّا، ولطيف للغاية، وهادئ بشكل كبير".

"أنت أحمق! أنت لا تعرف أي شيء عنه. آنسة ماكنوتن، أين أنتِ؟ أوه، ها قد ظهرتِ، لقد طلبت منك مرارًا أن تظلي بالقرب مني فربما أشعر بالدوار. هيا ساعديني على الذهاب إلى حجرتي، وأعطيني الأسبرين، ولا تسمحي للترجمان بالاقتراب مني. إنه لا ينفك يقول: "كل شيء على خير ما يرام يا سيدتي"، إلى حد أشعرني بالرغبة في الصراخ في وجهه".

مدت الآنسة ماكنوتن ذراعها إلى السيدة دون أن تنبس ببنت شفة.

كانت الآنسة ماكنوتن امرأة طويلة القامة في الخامسة والثلاثين من عمرها، حسنة المظهر بطريقة غير لافتة،

وتبدو عليها مسحة من الكآبة. قادت الآنسة السيدة جريل إلى مقصورتها، ووضعت الوسادات كمساند لها وأعطتها الأسبرين واستمعت إلى سيل من شكاواها.

أما السيدة جريل، فكانت في الثامنة والأربعين من عمرها. وكانت تعاني منذ كانت في السادسة عشرة من عمرها مشكلة امتلاك الكثير من المال. وقد تزوجت السيدة جريل بذلك البارون المعسر، السير جورج جريل قبل عشرة أعوام.

لقد كانت امرأة ضخمة الجثة، لا تبدو قبيحة من ناحية الملامح، لكن وجهها كان عابسًا ومتغضنًا، ولم تفعل مساحيق التجميل الكثيرة التي كانت تضعها على وجهها سوى أنها أبرزت علامات الزمن وسوء الطباع عليه. أما خصلات شعرها، فكانت تجمع بين اللونين الأشقر البلاتيني والأحمر الفاتح، ونتيجة ذلك بدا مظهره مبتذلًا. كما أنها كانت تبالغ في التأنق وترتدي الكثير من المجوهرات.

أنهت السيدة جريل حديثها مع الآنسة ماكنوتن، التي ظلت صامتة، ووجهها لا يحمل أية تعابير: "أخبري السير جورج، أخبريه بأنه لابد أن يطرد هذا الرجل من متن السفينة! يجب أن أحظى بخصوصية. بعد كل ما مررت به في الآونة الأخيرة..."، ثم أغمضت عينيها.

فقالت الآنسة ماكنوتن وهي تغادر الحجرة: "وهو كذلك يا سيدتي".

كان ذلك الراكب المزعج الذي جاء في اللحظة الأخيرة لا يزال يجلس على سطح السفينة. كان موجهًا ظهره إلى الأقصر، محدقًا إلى النيل باتجاه التلال البعيدة التي بدت ذهبية اللون فوق خط من العشب الأخضر الداكن.

رمقته الآنسة ماكنوتن بنظرة سريعة فاحصة وهي تمر بجواره.

عثرت الآنسة ماكنوتن على السير جورج في قاعة الجلوس في السفينة. وكان يحمل عقدًا من الخرز في يديه، وينظر إليه بريبة ثم سألها: "أخبريني يا آنسة ماكنوتن، هل تظنين أن هذا هو العقد المنشود؟".

ألقت الآنسة ماكنوتن نظرة سريعة على العقد المصنوع من اللازورد، ثم قالت: "إنه لطيف للغاية".

"هل تظنين أن السيدة جريل ستسر به؟".

"لا يمكنني قول هذا يا سيدي. فأنت تعلم، ليس هناك شيء يرضيها، إن هذه هي الحقيقة. وبالمناسبة، لقد حمَّلتني رسالة لك. إنها تريد منك أن تتخلص من هذا الراكب الإضافي".

فغر السير جورج فاه، ثم قال: "كيف يمكنني فعل هذا؟ ما الذي سأقوله له؟".

ردت الآنسة ماكنوتن بصوت هادئ وعطوف: "بالطبع لا يمكنك"، ثم أضافت مشجعة له: "قُل لها فقط إنه لم يسعك فعل شيء. فكل شيء سيكون على خير ما يرام".

"هل تظنين هذا؟" كان وجهه مثيرًا للشفقة بشكل مضحك. وقد أصبحت نبرة صوت ماكنوتن أكثر لطفًا، وهي تقول: "يجب ألا تأخذ هذه الأمور بجدية، يا سيدي. فسيضر هذا بصحتك، لذا لا تأخذها على محمل الجد".

"هل تظنين أنها مريضة حقًا؟".

اربدَّ وجهها، وحمل صوتها نبرة غريبة وهي تقول: "نعم، أنا... أنا غير مطمئنة لوضعها. لكن رجاءً لا تقلق، يجب ألا تقلق. يجب ألا تقلق حقًا". ثم ابتسمت له بود وخرجت.

دخلت باميلا قاعة الجلوس، بخطوات بطيئة وهادئة جدًا في ثوبها الأبيض، ثم قالت: "مرحبًا يا عمي".

"مرحبًا عزيزتي بام".

"أرني ما بحوزتك؟ أوه، إنه رائع!".

"حسنًا أنا سعيد لأنه أعجبك. فهل تظنين أنه سيعجب عمتك أيضًا؟".

"إنها لا تمتلك القدرة على الإعجاب بأي شيء. وبصراحة لا أفهم السبب الذي جعلك تتزوج بها يا عمي".

ظل السير جورج صامتًا. ومرت أمامه صورة غائمة لإخفاق مدوٍ في سباق ما، وضغط من الدائنين، وامرأة بهية الطلعة لكنها مستبدة.

فقالت باميلا: "يا لك من مسكين. أظن أنك كنت مضطرًا لفعل هذا. لكنك عانيت معها، أليس كذلك؟".

فقال السير جورج: "منذ أن اعتلت صحتها...".

فقاطعته باميلا قائلة: "إنها ليست مريضة! إنها ليست كذلك حقًا. إنها تستطيع دومًا أن تفعل أي شيء تريده. فلماذا إذن كانت مبتهجة وتثير صخبًا كصرصور الحقل عندما كنا في أسوان. أراهنك على أن الآنسة ماكنوتن تعلم أنها مخادعة".

فتنهد السير جورج وقال: "لا أعرف ماذا كنا سنفعل دون الآنسة ماكنوتن".

فردت باميلا مؤكدة قوله: "إنها امرأة بارعة، لكنني لست مولعة بها مثلك يا عمي. يا إلهي، أنت مولع بها حقًا، لا تنكر. أنت تظن أنها رائعة. وهي كذلك بالفعل بطريقة ما، لكنها غامضة للغاية. فلا أعرف قط فيما تفكر. ومع ذلك، فهي تعرف جيدًا كيف تتعامل مع السيدة".

"انتبهي، يا بام. يجب ألا تتحدثي عن عمتك بمثل هذه الطريقة. بالله عليك، إنها تعاملك بشكل جيد للغاية".

"نعم، إنها تسدد كل فواتيرنا، أليس كذلك؟ ومع ذلك فحياتنا هذه لا تُطاق".

أدار السير جورج دفة الحديث إلى موضوع أقل إزعاجًا: "ماذا سنفعل مع هذا الراكب الذي يشاركنا الرحلة؟ عمتك تريد أن تكون السفينة لها وحدها".

فقالت باميلا بهدوء: "حسنًا، لن يمكنها تحقيق مبتغاها. فهذا الرجل الأنيق اسمه باركر باين. وأظن أنه موظف حكومي في وزارة الوثائق والمحفوظات - إذا كانت هناك وزارة كهذه. الغريب في الأمر، أنني أظن أنني سمعت هذا الاسم في مكان ما. أليس كذلك يا باسيل؟". كان السكرتير قد خطا من فوره إلى داخل القاعة، فسألته: "أين رأيت اسم باركر باين من قبل؟".

فرد الشاب على الفور: "الصفحة الأولى في جريدة *التايمز* في بريد الشكاوى والمشورة. "هل أنت سعيد في حياتك؟ إذا لم تكن كذلك، فاستشر السيد باركر باين"".

"مستحيل! هذا أمر مسلٍّ للغاية! فلنخبره بكل مشكلاتنا طوال الطريق إلى القاهرة".

فقال باسيل ويست ببساطة: "ليست عندي أية مشكلات". ثم ألقى نظرة خاطفة على السير جورج الذي التقط صحيفة ليتصفحها، وقال: "سنبحر عبر النيل الذهبي، ونرى المعابد... معًا".

قال كلمته الأخيرة وهو يهمس، لكن باميلا سمعته، والتقت أعينهما في نظرة متواطئة.

فقالت باميلا بمرح: "أنت محق يا باسيل. فمن الجيد أن تكون مليئًا بالحيوية".

نهض السير جورج من مكانه وابتعد، وبدا الانزعاج على ملامح وجه باميلا.

فقال باسيل: "ما الأمر يا حلوتي؟".

"زوجة عمي المقيتة...".

فقال باسيل سريعًا: "لا تقلقي، ما الذي يعنينا مما يدور في رأسها؟ فمهما قالت لا تعارضيها"، ثم ضحك، وقال: "أنت تعلمين أن هذا أسلوب تمويه جيد".

وفي تلك اللحظة، دخل القاعة السيد باركر باين ذو الملامح الودود الوادعة. وخلفه ظهر الترجمان ذو المظهر الجذاب، وهو على وشك أن يقول شيئًا ما:

"أيها السادة والسيدات، سنبدأ رحلتنا الآن. وفي غضون بضع دقائق سنمر بمعبد الكرنك الذي سيكون على يميننا. وسأروي لكم الآن قصة صبي صغير ذهب لشراء لحم الضأن المشوي لأبيه...".

* * *

مسح السيد باركر باين جبهته، وكان قد عاد من فوره من زيارة إلى معبد دندرة. لقد شعر هناك بأن تجربة امتطاء الحمار لم تكن أمرًا يناسب شخصيته اللطيفة، وكان يستعد لتغيير ملابسه عندما لفتت انتباهه رسالة تستند إلى طاولة الزينة في حجرته. ففتحها، وكان فحواها كما يلي:

السيد المحترم - سأكون ممتنة إذا لم تذهب لزيارة معبد أبيدوس، وتظل في السفينة؛ لأنني أرغب في استشارتك.

لك مني أطيب التحيات.

أريادن جريل

ارتسمت ابتسامة على وجه السيد باركر باين الكبير اللطيف، ثم التقط قصاصة من الورق، وأزال غطاء قلمه الحبر، ثم كتب:

السيدة المحترمة جريل، أنا آسف إذا كان ذلك سيشعرك بالإحباط، لكنني الآن في إجازة، ولا أزاول أي عمل مهني.

ثم ذيّل الرسالة بتوقيعه، وأرسلها مع خادم في السفينة. وبينما كان يستأنف تغيير ملابسه، أتته رسالة أخرى.

السيد المحترم باركر باين - أنا أقدر أنك في إجازة، لكنني مستعدة لدفع مائة جنيه أتعابًا لك مقابل الاستشارة.

لك مني أطيب التحيات،

أريادن جريل

رفع السيد باركر باين حاجبيه في دهشة، ثم نقر بقلمه الحبر على أسنانه بحركة تدل على أنه غارق في التفكير. إنه يرغب في رؤية أبيدوس، لكن المائة جنيه ستظل مائة جنيه. كما أن تكاليف السياحة في مصر كانت أغلى كثيرًا مما توقع.

فكتب لها: *السيدة المحترمة جريل - لن أزور معبد أبيدوس.*

المخلص لك،

جيه. باركر باين

كان رفض السيد باركر باين مغادرة السفينة مصدر حزن كبير للترجمان.

الذي أخذ يقول لباركر: "إنه معبد لطيف للغاية، فكل الرجال الذين رافقتهم يحبون رؤية ذلك المعبد. لقد جهزت لك عربة، كما جهزت لك مقعدًا وعمالًا لحملك عليه إذا ما تعبت".

رفض السيد باركر باين كل هذه العروض المغرية، ومن ثم انطلق الآخرون دونه.

ظل السيد باركر باين على سطح السفينة. وفي الحال، انفتح باب حجرة السيدة جريل، وخرجت إلى سطح السفينة.

قالت السيدة جريل بلطف: "يا لها من ظهيرة حارة. أرى أنك تخلفت عن الركب يا سيد باين. لقد كانت هذه حكمة منك دون شك. فهلا احتسينا بعض الشاي معًا في قاعة الجلوس؟".

نهض السيد باركر على الفور وتبعها. وفي الواقع، كان يبدو عليه الفضول الشديد.

وبدا كما لو أن السيدة جريل مترددة في البوح بما تريد، حيث كانت تنتقل في حديثها من موضوع إلى آخر. لكن في النهاية تغيرت نبرة صوتها وتحدثت.

"سيد باين، ما سأخبرك به أمر سري للغاية! أنت تفهم ما أعني، أليس كذلك؟".

"بالطبع".

صمتت لتلتقط نفسًا عميقًا، وظل السيد باركر باين ينتظرها. وأخيرًا قالت: "أريد منك أن تعرف ما إذا كان زوجي يدس لي السم أم لا".

لم يكن السيد باركر يتوقع هذا قط، فبدت أمارات الدهشة جلية على وجهه وهو يقول: "إنه اتهام خطير يا سيدة جريل".

"حسنًا، أنا لست حمقاء أو ساذجة، ولديَّ شكوك منذ زمن. فعندما يبتعد جورج أتحسن، حيث يغدو مذاق طعامي مختلفًا، وأشعر بأنني امرأة مختلفة. لا بد أن هناك سببًا لذلك".

"ما تقولينه خطير للغاية سيدة جريل، لكن يجب أن تتذكري أنني لست محققًا. فأنا - إذا أردتِ توصيفًا دقيقًا - متخصص في مداواة القلوب المكلومة...".

فقاطعته قائلة: "هه - أوَ لا تظن أنني أعرف كل هذا؟ أنا لا أريد شرطيًا - يمكنني الاعتناء بنفسي، شكرًا لك - ما أريده هو التيقن من شكوكي، وعليَّ أن أعرف الحقيقة. أنا لست امرأة شريرة يا سيد باين، بل أنا أتعامل بإنصاف مع من يتعاملون معي

بإنصاف. لقد كان بيني أنا وزوجي اتفاق وقد التزمت بما عليّ. لقد سددت ديون زوجي، ولم أبخل عليه بأي مال".

كان السيد باركر باين يشعر بشيء من الشفقة على السير جورج، في الوقت الذي كان تستطرد هي قائلة: "وبالنسبة لباميلا، فإنها تحصل على الملابس الأنيقة، وتذهب إلى الحفلات، ولم تُحرم من أي شيء. وكل ما أريده فقط بعضًا من الامتنان".

"الامتنان لا يأتي بالأمر يا سيدة جريل".

قالت له: "هراء!"، ثم استطردت: "حسنًا، إليك ما أريده باختصار! من فضلك اكشف الحقيقة من أجلي! وبمجرد أن *أعرفها*...".

فنظر إليها بفضول، ثم قال: "وبمجرد أن تعرفيها يا سيدتي، ماذا سيحدث بعدها؟".

"هذا شأني". ثم أطبقت شفتيها بحدة.

تردد السيد باركر باين لحظة، ثم قال: "اعذريني يا سيدة جريل، لكن هناك شعورًا يراودني بأنك لم تكوني صريحة معي تمامًا".

"هذا عبث. لقد أخبرتك بالضبط بما أريد منك أن تكتشفه".

"نعم، لكنك لم تخبريني *بالسبب*".

تلاقت أعينهما، ثم أشاحت هي ببصرها أولًا.

قالت: "أظن أن السبب واضح دون شرح".

فقال: "لا، لأن هناك شكًا داخلي تجاه نقطة واحدة".

"وما هي؟".

"هل تريدين أن تثبتي صحة شكوكك، أم تثبتي خطأها؟".

قالت: "هل أنت جاد يا سيد باين؟"، ثم نهضت وهي تنتفض من الغضب.

أومأ السيد باركر باين برأسه بلطف، وقال: "أجل، أجل. لكن هذا لا يجيب عن سؤالي".

فقالت: "حقًا؟"، وبدا كأن الكلمات لا تسعفها من فرط سخطها، فاندفعت خارج الغرفة.

وبعدما تركته وحده، غرق السيد باركر باين في تفكير عميق، واستولت عليه الأفكار بشدة حتى إنه جفل بشكل ملحوظ عندما دخل شخص وجلس أمامه. كان ذلك الشخص هو الآنسة ماكنوتن.

قال لها السيد باركر باين: "من المؤكد أنكم عدتم جميعًا مبكرًا للغاية".

قالت بتردد: "الآخرون لم يعودوا بعد، لقد قلت لهم إنني أشعر بالصداع وعدت بمفردي". ثم استطردت: "أين السيدة جريل؟".

"أظن أنها ترقد في حجرتها".

"أوه، إذن كل شيء على ما يرام. فأنا لا أريدها أن تعرف أنني عدت".

"إذن فأنتِ لم تعودي من أجلها؟".

هزت الآنسة ماكنوتن رأسها نافية، ثم قالت: "لا، لقد عدت لرؤيتك".

انتابت الدهشة السيد باركر باين. فقد كان لديه انطباع بأن الآنسة ماكنوتن قادرة بشكل واضح على حل المشكلات بنفسها دون طلب مشورة خارجية. لكن يبدو الآن أنه كان مخطئًا.

قالت: "أنا أراقبك منذ صعدت على متن هذه السفينة. وأظن أنك شخص واسع الخبرة، وتجيد الحكم على الأمور. وأريد نصيحتك بشدة".

"أرجو أن تعذريني يا آنسة ماكنوتن - لكنكِ لست من الطراز الذي يسعى عادة خلف المشورة. ففي تقديري أنك شخص يفضل إلى حد كبير الاعتماد على حكمه الشخصي وحده دون غيره".

"في العادة، نعم. لكنني في موقف حساس للغاية".

ثم ترددت لحظة، وتابعت: "أنا عادة لا أتحدث عن حالات مرضاي. لكن في هذا الموقف، أظن أن هذا بات ضروريًا. سيد باركر، عندما غادرت من إنجلترا مع السيدة جريل، كانت حالتها بسيطة. وبصراحة أكبر، لم تكن بها علة حقيقية. ومن المحتمل ألا يكون استنتاجي هذا صحيحًا تمامًا، فالكثير من الرفاهية والمال قد ينتجان حالة مرضية معينة. ولو كانت لديها بعض الأرضيات لتمسحها كل يوم، وخمسة أطفال أو ستة لتعتني بهم كأية امرأة عادية، لكانت السيدة جريل في صحة جيدة، وربما امرأة أكثر سعادة".

أومأ السيد باركر باين برأسه ليحثها على المتابعة.

"وبصفتي ممرضة، فإنني أرى الكثير من تلك الحالات العصبية. ويمكن أن أقول إن السيدة جريل كانت تستمتع بشكل ما بكونها معتلة الصحة، وكان دوري ألا أخفف معاناتها بصورة جادة، وأكون لبقة بقدر ما أستطيع - وأن أستمتع برحلتي قدر الإمكان".

قال السيد باركر باين: "معقول للغاية".

"لكن الأمور لم تعد كسابق عهدها يا سيد باين. الألم الذي تشكو منه هذه السيدة صار الآن حقيقيًا وليس مجرد خيال".

"ماذا تقصدين".

"أنا أشك في أن هناك من يدس السم للسيدة جريل".

"منذ متى وأنت تشكين في هذا؟".

"منذ ثلاثة أسابيع".

"هل تشكين في شخص معين؟".

وهنا غضت الآنسة ماكنوتن عينيها، ولأول مرة فقد صوتها مصداقيته، وهي تقول: "لا".

"أنا أقول لك يا آنسة ماكنوتن إنك تشكين في شخص معين، وهذا الشخص هو السير جورج جريل".

"يا إلهي، لا، لا. لا يمكنني أن أصدق أنه هو. إنه مثير للشفقة بشدة، إنه كالأطفال. لا يمكن أن يكون هو من يدس لها السم بدم بارد". وكان صوتها يحمل نبرة حزينة وهي تقول ذلك.

"ومع ذلك لقد لاحظتِ أنه متى غاب السير جورج، فإن حالة زوجته تتحسن، بينما تتزامن فترات مرضها مع عودته".

لم تجبه الآنسة ماكنوتن.

فقال: "أي سم تشكين فيه؟ الزرنيخ؟".

"شيء من هذا القبيل، الزرنيخ أو الأنتيمون".

"وما الإجراءات التي اتخذتها؟".

"لقد بذلت ما في وسعي لكي أراقب ما تأكله السيدة جريل وما تشربه".

أومأ السيد باركر باين برأسه، ثم سألها ببساطة: "هل تظنين أن السيدة جريل تساورها أية شكوك بهذا الشأن؟".

"لا، فأنا متأكدة من أنها ليست لديها أية شكوك".

قال السيد باركر باين: "حسنًا، أنت مخطئة في هذا الشأن. فالسيدة جريل تساورها الشكوك *بالفعل*".

بدت على وجه الآنسة ماكنوتن أمارات الدهشة.

فاستطرد السيد باركر باين قائلًا: "إن السيدة جريل قادرة على الاحتفاظ بالأسرار أكثر مما تتخيلين، إنها امرأة تعرف جيدًا كيف تحتفظ بما يدور في خلدها لنفسها".

قالت الآنسة ماكنوتن ببطء: "هذا يدهشني بشدة".

"ينبغي لي أن أسألك سؤالًا آخر يا آنسة ماكنوتن. هل تظنين أن السيدة جريل ترتاح لوجودك؟".

"لم أفكر في هذا من قبل قط".

ثم جاء من قطع حديثهما، حيث دخل الترجمان، تعلو وجهه ابتسامة مشرقة، ورداءه يتطاير خلفه.

"سيدتي، لقد علمت السيدة جريل أنك عدتِ؛ إنها تسأل عنك. وتقول لماذا لم تذهبي إليها حتى الآن؟".

فنهضت إلسي ماكنوتن مسرعة، وكذلك نهض السيد باركر باين واقفًا.

ثم سألها: "هل تناسبك أن تكون الاستشارة غدًا في الصباح الباكر؟".

"نعم إنه أفضل وقت. فالسيدة جريل تنام حتى وقت متأخر. ومع ذلك، سأكون حريصة للغاية".

"أظن أن السيدة جريل ستتوخى الحذر الشديد بدورها".

ثم اختفت الآنسة ماكنوتن.

لم يرَ السيد باركر باين السيدة جريل حتى قبل وقت العشاء. وكانت تجلس وهي تحرق ما يبدو أنها رسالة. لم تلتفت إليه على الإطلاق، ففهم أنها لا تزال تشعر بالإهانة.

بعد وجبة العشاء لعب السيد باركر باين الورق مع السير جورج وباميلا وباسيل. لكن بدا أن الجميع شاردون، فانتهت اللعبة مبكرًا.

وبعد مضي بضع ساعات، أيقظ شخص ما السيد باركر باين. كان ذلك هو الترجمان الذي دخل الغرفة.

قال الترجمان: "السيدة العجوز مريضة للغاية، والممرضة في حالة من الرعب الشديد. لقد حاولتُ التواصل مع طبيب".

أسرع السيد باركر باين، وارتدى بعض الثياب. ثم وصل إلى الممر المؤدي إلى حجرة السيدة جريل، في الوقت ذاته الذي وصل فيه باسيل ويست. وكان السيد جورج وباميلا في الداخل، وكانت إليس ماكنوتن تعمل جاهدة على علاج مريضتها. وعندما وصل السيد باركر باين، داهمت السيدة المسكينة نوبة تشنج أخيرة، ثم تلوى جسدها وتيبس، وأخيرًا سقط إلى الخلف فوق الوسائد.

سحب السيد باركر باين باميلا برفق خارج الغرفة.

وقالت الفتاة بصوت يشبه النحيب: "هذا فظيع! هذا فظيع! هل، هل...؟".

"ماتت؟ نعم أخشى من أن هذا هو ما حدث".

ثم تركها في رعاية باسيل، وفي هذه اللحظة خرج السير جورج من الحجرة تعلو وجهه نظرة ذهول.

وتمتم قائلًا: "لم أظن ذات يوم أنها مريضة لهذه الدرجة، لم أشك في هذا ولو للحظة".

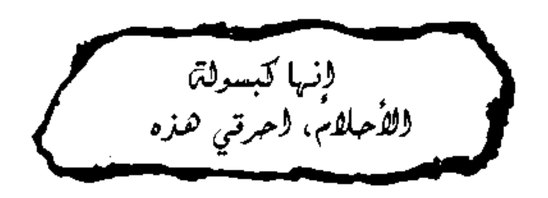
فتجاوزه السيد باركر باين ودخل الحجرة.

كان وجه إليس ماكنوتن شاحبًا ومنهكًا، فسألته: "هل أرسلوا في طلب طبيب؟".

فقال لها: "أجل". ثم سألها: "أهذا سم ستركنين؟".

"نعم. هذه التشنجات دليل لا لبس فيه على وجوده. يا إلهي، لا يمكنني أن أصدق هذا!" ثم انهارت في مقعدها وهي تنتحب. فربت السيد باركر كتفها.

ثم خطرت بباله فكرة. فغادر الحجرة سريعًا، واتجه إلى الردهة، وهناك عثر على قصاصة صغيرة من الورق تبقت دون أن تحترق في منفضة السجائر. كانت بها بضع كلمات واضحة:



قال السيد باركر باين: "الآن، أصبح الأمر مثيرًا".

وفي وقت لاحق جلس السيد باركر باين في حجرة مسئول أمني مصري بارز، وقال مفكرًا: "إذن، هذا هو الدليل".

رد عليه ذلك المسئول قائلًا: "نعم، هكذا اتضح الأمر. لا بد أن هذا الرجل أحمق للغاية".

"لا أظن أن السير جورج يتسم بالدهاء".

فقال المسئول ملخصًا الأمر: "كانت السيدة جريل ترغب في فنجان من مشروب البوفريل، فأعدته الممرضة لها. ثم لا بد من أنها وضعت فيه قليلًا من الشيري الذي يُنتجه السير جورج. وبعد مضي ساعتين، توفيت السيدة جريل بعلامات لا لبس فيها تشير إلى التسمم بسم ستركنين، ثم عُثر على عبوة من سم ستركنين في حجرة السير جورج، وعبوة أخرى في السترة التي ارتداها لتناول العشاء في ذلك اليوم".

قال السيد باركر باين: "دقيق للغاية. وبالمناسبة، من أين جاء سم ستركنين؟".

"هناك بعض الشكوك بشأن هذا، كان هناك بعض منه بحوزة الممرضة - في حال إذا عانت السيدة جريل من مشكلة في قلبها - لكنها ناقضت نفسها مرة أو مرتين. ففي البداية قالت إن المخزون الذي بحوزتها سليم لم يمس، والآن تقول إنه ليس كذلك".

علق السيد باركر باين على ذلك قائلًا: "ليس من شيم الممرضة ألا تكون متأكدة. وفي رأيي، أنهما اشتركا في الجريمة معًا، فكلاهما كان يحمل مشاعر تجاه الآخر".

"ربما؛ لكن إذا كانت الآنسة ماكنوتن تخطط للقتل بالفعل، لكان يمكنها أن تفعل هذا بطريقة أفضل من تلك. إنها شابة ماهرة".

"حسنًا إليك ما خمنته. في رأيي أن السير جورج متورط في الأمر، فاحتمال ارتكابه الجريمة ليس بالضئيل".

فرد السيد باركر باين: "حسنًا، حسنًا، يجب أن أرى ما يمكنني فعله".

ثم ذهب للقاء ابنة الأخ الجميلة.

كانت باميلا شاحبة الوجه وساخطة. قالت: "لا يمكن أن يكون عمي من فعلها - لا يمكن - لا يمكن على الإطلاق!".

فقال السيد باركر باين بهدوء: "إذن من الذي فعلها؟".

فاقتربت منه باميلا، وقالت: "هل تعرف ما الذي أفكر فيه؟ *لقد فعلت ذلك بنفسها*. لقد كانت غريبة الأطوار بشكل مخيف في الآونة الأخيرة، كما أنها اعتادت تخيل أشياء".

"أية أشياء؟".

"أشياء غريبة. وعلى سبيل المثال، باسيل. لقد كانت دائمًا تلمح إلى أن باسيل واقع في حبها. وفي الحقيقة أنا وباسيل - نحن...".

فقال السيد باركر باين مبتسمًا: "أنا أعلم هذا".

"كل ما قالته عن باسيل محض خيال. وأظن أنها لم تكن على وفاق مع عمي المسكين، وأظن أنها اختلقت هذه القصة وأخبرتك بها، ثم دست السم في حجرته وجيبه وسممت نفسها به. إن الناس يفعلون مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟".

قال السيد باركر باين متفقًا مع رأيها: "نعم إنهم يفعلون. لكنني لا أظن أن السيدة جريل فعلت هذا، فهي في رأيي لم تكن من هذا النوع".

"لكن ماذا عن الأوهام التي كانت تراودها؟".

"أعتقد أنني أرغب في سؤال السيد ويست عن ذلك الأمر".

وجد السيد باركر الشاب في حجرته، وقد أجاب باسيل عن أسئلته بأريحية.

"لا أرغب في أن أبدو سخيفًا، لكنني أظن أنها كانت معجبة بي. لهذا السبب لم أجرؤ على السماح لها بمعرفة أمري أنا وباميلا. ولو كانت علمت بالأمر، لدفعت السير جورج إلى طردي".

"هل تظن أن نظرية الآنسة جريل هي الأرجح؟".

"حسنًا، إنها ممكنة الحدوث، على ما أظن". قال هذا بلهجة متشككة.

فقال السيد باركر باين بهدوء: "لكنها ليست نظرية جيدة بما يكفي. لا، علينا أن نجد نظرية أفضل". وظل السيد باركر شارد الذهن دقيقة أو دقيقتين، ثم قال بسرعة: "الاعتراف سيكون أفضل شيء". وأزال الغطاء عن قلمه الحبر، وأخرج قطعة من الورق، ثم قال: "اكتبه هنا فقط، هلا تفضلت بذلك؟".

حدق باسيل ويست فيه بذهول، ثم قال: "أنا؟ ماذا تعني بالله عليك؟".

قال السيد باركر باين بصوت غلبت عليه نبرة أبوية: "يا عزيزي الصغير، أنا أعرف كل ما حدث، كيف أحببتَ السيدة الطيبة، وكيف كانت لديها شكوك حيالك. وكيف وقعتَ في حب ابنة الأخ المفلسة الجميلة، وكيف حِكت مؤامرتك، وعملية التسميم البطيء. بحيث يبدو الأمر كما لو أنها وفاة طبيعية بسبب التهاب المعدة والأمعاء - وإن اكتشف أحد الأمر، فسيكون من ارتكب الجريمة هو السير جورج، حيث إنك كنت حريصًا على تزامن حدوث النوبات أثناء وجوده.

ثم اكتشفتَ أن السيدة كانت تشك في الأمر، وأنها تحدثت معي في هذا الشأن. فتحركت بشكل سريع! فأخذت بعضًا من سم ستركنين من مخزون الآنسة ماكنوتن. ووضعت بعضًا منه في حجرة السير جورج، وبعضًا في جيبه، ووضعت كمية كافية منه في كبسولة وأرفقت بها ملحوظة للسيدة جريل تخبرها فيها بأنها "كبسولة الأحلام".

فكرة رومانسية. فستتناول هي الكبسولة بعد أن تتركها الممرضة، ولن يعرف أي أحد أي شيء بشأنها. لكنك ارتكبت

خطأ واحدًا أيها الشاب، ومن غير المجدي أن تطلب من سيدة أن تحرق خطابًا، فليس من عادات النساء فعل ذلك مطلقًا. لقد تمكنتُ من الحصول على كل هذه المراسلات بما فيها تلك التي أرفقتها بالكبسولة".

أصبح وجه باسيل ويست شاحبًا، وتلاشت كل أمارات وسامته، وبدا كالفأر المذعور.

ثم صرخ بغضب: "عليك اللعنة، إذن أنت تعرف كل شيء. أيها الفضولي اللعين باركر".

أنقذ ظهور الشهود - الذين رتب السيد باركر باين لحضورهم بشكل مدروس لكي يستمعوا إلى ما يدور بينهما في الحجرة عبر الباب نصف المغلق - السيد باركر باين من التعرض للعنف الجسدي.

* * *

جلس السيد باركر باين لمناقشة القضية مجددًا مع صديقه المسئول الكبير.

"لم يكن معي أي دليل! بل مجرد طلاسم على ورقة مكتوب عليها "*إنها كبسولة الأحلام، احرقي هذه!*". لقد استنتجت القصة بأكملها، وحاولت استفزاز باسيل، وقد نجح الأمر. إنني لم أعثر على الحقيقة، بل بالأحرى تعثرت بها، والسبب في هذا الخطابات. فالسيدة جريل حرقت بالفعل كل قصاصة ورق كتبها لها، لكنه *لم يكن يعرف ذلك*".

ثم استطرد: "لقد كانت امرأة غريبة بالفعل. وكنت أشعر بالحيرة عندما أتت إليّ. كان كل ما تريدني أن أخبرها به أن زوجها يسممها؛ لأنها كانت ترغب في تركه من أجل ويست الشاب. لكنها أرادت أن تتصرف بعدل، إنها شخصية غريبة".

رد عليه المسئول قائلًا: "الشابة المسكينة ستعاني".

فقال السيد باركر باين بلا اكتراث: "ستتجاوز الأمر، وهي لا تزال شابة، لكنني أتمنى أن ينال السير جورج بعضًا من الاحترام والمعاملة اللائقة قبل أن يفوت الأوان. لقد ظل يُعامل كحشرة طوال عشرة أعوام. والآن، ستعامله إليس ماكنوتن بلطف".

وأخيرًا، تهلل وجه السيد باركر باين، وأشرق بابتسامة مبتهجة، ثم تنهد وقال: "أفكر في الذهاب متنكرًا إلى اليونان؛ إذ يجب أن أحظى بإجازة حقيقية!".

درب هارلكوين

لم يكن السيد ساترثويت يعلم يقينًا ما الذي يحمله على الاحتفاظ بعلاقته بالسيد والسيدة دنمان، فهما لا يشبهانه في شيء؛ إنهما لا ينتميان من حيث الجذور إلى العالم المتقدم، ولا ينتميان إلى الأوساط الفنية المثيرة للاهتمام، بل كانا ماديا النزعة، وكانا فوق ذلك شخصين مملين بليدين حقًّا. فأول مرة التقى السيد ساترثويت بهما كانت في بلدة بياريتز الفرنسية، وقد قبل دعوتهما إياه للبقاء معهما، ثم ذهب إليهما وأصابه الملل، ومن الغريب أنه استمر في الذهاب إليهما مع ذلك.

لماذا؟ كان يسأل نفسه هذا السؤال في ذلك اليوم الموافق الواحد والعشرين من شهر يونيو، وهو ينطلق مسرعًا خارج لندن بسيارته الرولز رويس.

كان جون دنمان رجلًا في الأربعين من عمره، صارمًا ويعتمد عليه، كما كان حسن السمعة في عالم الأعمال. ولم يكن أصدقاؤه هم أصدقاء السيد ساترثويت، وكذلك لم تكن أفكار كل منهما تشبه أفكار الآخر. كما كان رجلًا ماهرًا حقًّا فيما يفعله، لكنه فيما عدا ذلك كان يفتقر إلى الخيال.

لم أفعل هذا؟ طرح السيد ساترثويت هذا السؤال على نفسه مرارًا - والإجابة الوحيدة المحتملة بدت له غامضة للغاية، وسخيفة بطبيعتها؛ لذلك تجاهلها. لأن السبب الوحيد الذي كان

منطقيًا لاستمرار هذه العلاقة هو أن إحدى غرف المنزل (ذلك المنزل المريح المترف) أثارت فضوله، وكانت هذه الغرفة هي غرفة جلوس السيدة دنمان.

كانت الغرفة تعبر بالكاد عن شخصية صاحبتها؛ لأنها - بقدر ما أمكن للسيد ساترثويت الحكم عليها - ليست لديها شخصية على الإطلاق. إنه لم يقابل في حياته قط امرأة مثلها بلا أية سمات مميزة. لقد كانت، على حد علمه، روسية المولد. وكان جون دنمان قد ذهب إلى روسيا مع اندلاع الحرب الأوروبية، وحارب مع القوات الروسية، وقد نجا بحياته بصعوبة مع اندلاع الثورة هناك، ثم جلب معه عند عودته فتاته الروسية، التي لم تكن أكثر من لاجئة مفلسة، وعلى الرغم من معارضة والديه الشديدة تزوجها.

لم تكن حجرة السيدة دنمان مميزة بأي شكل من الأشكال. بل كانت مؤثثة بعناية بأثاث هيبلوايت الفاخر - الذي يغلب عليه الطابع الذكوري أكثر من الأنثوي. وكان هناك عنصر واحد غير متسق مع كل هذا: بارافان خشبي مطلي بالبرنيق الصيني - ويجمع بين اللونين الأصفر الكريمي والوردي الباهت، وكان مما يسعد أي متحف امتلاك شيء مثله؛ فقد كان قطعة نادرة وجميلة لهواة جمع التحف.

لكن هذا البارافان لم يكن يتناسب مع هذه الخلفية من الأثاث الإنجليزي المنسق بصرامة. كان ينبغي لهذا البارافان أن يكون القطعة الرئيسية في الغرفة، وكل شيء آخر يُرتب وفقًا له بحيث يتناغم معه. ومع ذلك، لم يستطع السيد ساترثويت اتهام آل دنمان بقلة الذوق؛ لأن كل شيء آخر في المنزل كان متناغمًا بشكل مثالي.

هز السيد ساترثويت رأسه مفكرًا. وعلى الرغم من تفاهة الأمر، كان يثير حيرته. وكان يعتقد بشدة أنه يواصل الذهاب إلى منزل هذه العائلة لهذا السبب. ربما كان السبب اهتمامه بالمرأة

- لكن هذا لم يقنعه، حيث كانت المرأة المعنية هي السيدة دنمان - وهي امرأة هادئة، متجهمة الملامح، تتحدث الإنجليزية بطلاقة، لدرجة أن أحدًا لم يكن ليخمن أنها أجنبية.

وصلت السيارة إلى وجهتها وخرج هو منها مشغول الذهن بلغز البارافان الخشبي الصيني. وكان اسم منزل آل دنمان هو "أشميد"، ويشغل نحو خمسة أفدنة من منطقة ميلتون هيث، التي تبعد نحو خمسين كيلومترًا عن لندن، وكان المنزل يرتفع نحو 152 مترًا فوق مستوى البحر، وبطبيعة الحال لم يكن يسكن هذا المنزل وأمثاله غالبًا سوى من يجنون دخلًا وافرًا.

استقبله كبير الخدم بحفاوة. وكان السيد والسيدة دنمان خارج المنزل - يقومان بتجربة أداء لحدث ما - وكانا يأملان أن يعتبر السيد ساترثويت نفسه في منزله حتى يعودا.

أومأ السيد ساترثويت برأسه، وأذعن لرغبة صاحبي المنزل، فخطا داخل الحديقة. وبعد أن ألقى نظرة عابرة على أحواض الزهور، تهادى عبر ممشى ظليل حتى وجد نفسه أمام باب يتوسط جدارًا. وكان الباب غير مغلق فاجتازه، وما إن عبره حتى وجد نفسه في درب ضيق.

تلفت السيد ساترثويت يمينًا ويسارًا. وكان الدرب فاتنًا وظليلًا ومخضرًا ومحاطًا بسياج عالٍ- إنه درب ريفي ملتوٍ، ومنحنياته مصممة بأناقة على الطراز القديم. تذكر العنوان الموجود على الختم: أشميد، درب هارلكوين، كما تذكر الاسم المحلي للدرب الذي أخبرته به السيدة دنمان.

فغمغم لنفسه بصوت خفيض: "درب هارلكوين، أنا أتساءل...".

ثم انعطف.

لقد تساءل - ليس في هذه اللحظة تحديداً، وإنما لاحقاً - عند عدم شعوره بالدهشة عندما التقى صديقه المراوغ: السيد هارلي كوين في هذا المكان. تصافح الرجلان.

وقال السيد ساترثويت: "إذن أنت هنا".

فقال السيد كوين: "أجل، أنا أقيم في المنزل ذاته الذي توجد فيه الآن".

"هل تقيم هناك؟".

"نعم. هل يدهشك هذا؟".

فقال السيد ساترثويت ببطء: "لا... حسنًا، أنت لا تمكث في أي مكان وقتًا طويلًا، أليس كذلك؟".

فقال السيد كوين بجدية: "بقدر ما هو ضروري".

فقال السيد ساترثويت: "أفهم ذلك".

وقد سارا في صمت بضع دقائق، ثم عاد السيد ساترثويت إلى التحدث قائلًا: "هذا الدرب..."، لكنه لم يكمل عبارته.

فقال السيد كوين: "إنه دربي".

فقال السيد ساترثويت: "لقد ظننت هذا، فبشكل ما لا بد أن يكون كذلك. إن هناك أيضًا اسمًا آخر له، اسمًا محليًا. إنهم يطلقون عليه اسم "درب العشاق"، أتعرف هذا؟".

أومأ السيد كوين برأسه مؤمنًا على كلامه.

ثم قال بلطف: "لكن من المؤكد أن هناك "دربًا للعشاق" في كل قرية".

فقال السيد ساترثويت: "أعتقد هذا"، ثم أطلق تنهيدة قصيرة.

لقد شعر فجأة بأنه طاعن في السن، وتغيب عنه الكثير من الأشياء، إنه مجرد عجوز خرف متيبس. وكل ما يحيط به كان عبارة عن سياج نباتي أخضر جدًا، وينبض بالحياة.

ثم سأل فجأة: "أنا أتساءل: أين نهاية هذا الدرب؟".

فقال السيد كوين: "ينتهي- *هنا*".

ثم اجتازا آخر منعطف، فانتهى الدرب بقطعة أرض مليئة بالنفايات، وكانت هناك حفرة كبيرة مفتوحة عند أقدامهما.

وكانت تضم علبًا من الصفيح تتلألأ في الشمس، وعلبًا أخرى حمراء للغاية صدئة لا تلمع، وأحذية قديمة، وقصاصات من الصحف، والكثير من المتعلقات الصغيرة التي لم تعد تهم أي شخص.

صاح السيد ساترثويت متعجبًا: "مكب نفايات"، وتنهد بعمق وسخط.

فقال السيد كوين: "في بعض الأحيان توجد أشياء رائعة للغاية في مكب النفايات".

فصاح السيد ساترثويت: "أعرف، أعرف". ثم استشهد - وهو يحس بقليل من الحرج - بالقول المأثور: "*قد يولد الجمال من رحم القبح*، وأشياء من هذا القبيل، أنت تعرف ما أعنيه أليس كذلك؟".

فأومأ السيد كوين برأسه.

تطلع السيد ساترثويت إلى أنقاض كوخ صغير يقع على حافة جرف.

ثم عقَّب: "ليس هذا بالمنظر الجميل ليطل عليه منزل".

قال السيد كوين: "أتخيل أن هذه الأرض لم تكن مكب نفايات في تلك الأيام، وأعتقد أن آل دنمان عاشا هناك في بداية زواجهما، ثم انتقلا إلى المنزل الكبير عندما مات ذووهما من كبار السن. وهُدم الكوخ عندما بدأ اقتلاع الصخور هنا - ولكن لم يُنجز الكثير، كما ترى".

ثم استدار الرجلان وعاودا أدراجهما.

قال السيد ساترثويت مبتسمًا: "أظن أن العديد من المحبين تجولوا في هذا الدرب في ليالي الصيف الدافئة".

"من المحتمل".

قال السيد ساترثويت: "المحبين". وظل يكرر الكلمة متأملًا، ومتخليًا عن ذلك الحرج المعهود لدى الرجل الإنجليزي العادي، وكان هذا الشعور ينتابه بداعي تأثير السيد كوين عليه. ثم استطرد قائلًا: "المحبين... لقد بذلتَ الكثير من أجل المحبين يا سيد كوين".

فأطرق السيد كوين برأسه دون أن يجيب.

"لقد أنقذتهم من الحزن - وما هو أسوأ من الحزن الموت. لقد كنت تدافع عن سمعة الأموات أنفسهم أيضًا".

"أنت تتحدث عن نفسك - عما فعلتَه *أنت*- لا أنا".

قال السيد ساترثويت: "إنه الأمر ذاته، فأنت تعرف هذا". ثم استرسل حين لم ينطق السيد كوين: "لقد فعلت أنت ما فعلته - من خلالي. فلسبب أو لآخر أنت لا تتصرف بشكل مباشر - أي بنفسك".

فقال السيد كوين: "في بعض الأحيان أتصرف بنفسي".

حمل صوته نبرة جديدة في الوقت الذي أحس فيه السيد ساترثويت برعشة على الرغم منه، واستنتج أن جو فترة الظهيرة يغدو أكثر برودة، على الرغم من أن الشمس كانت في أتم سطوع لها.

وفي تلك اللحظة ظهرت فتاة في المنعطف الذي أمامهما، وأصبحت في مجال رؤيتهما. لقد كانت فتاة غاية في الجمال، ذات شعر أشقر، وعينين زرقاوين، وترتدي ثوبًا قطنيًا زهري اللون. وقد تعرَّف السيد ساترثويت عليها، فلم تكن سوى مولي ستانويل، التي قابلها في هذا المكان من قبل.

لوحت الفتاة بيدها تحية له.

ثم صاحت: "لقد عاد جون وآنا من فورهما. وقد كانا متأكدين من حضورك إلى المنزل اليوم، لكنهما اضطرا لحضور تجربة أداء".

فسأل السيد ساترثويت: "أي تجربة أداء؟".

"ذلك الحفل التنكري - أنا لا أعلم بالضبط ماذا ستدعوه. لكن هناك موسيقى وغناء وكل هذه الأشياء. إن السيد مانلي، هل تتذكره؟ الذي له صوت رجولي صداح، سيؤدي دور بييرو، وأنا سأؤدي دور بييريت. وسيحضر اثنان من المحترفين للأداء الاستعراضي - سيقومان بدور هارلكوين وكولومبين، كما تعلم. ثم هناك مجموعة كبيرة من الفتيات، إذ تحرص الليدي روشيمر على تدريب فتيات القرية على الغناء. إنها تجيد عملها حقًا، وتستعد بشكل جاد للحفل. والموسيقى جميلة إلى حد ما - لكنها حديثة جدًا- وغير مألوفة للكثيرين. وهناك كلود ويكام، ربما تعرفه؟

أومأ السيد ساترثويت برأسه، حيث إن موهبته - كما ذكرنا من قبل - تتمثل في أنه يعرف الجميع. بل كان يعرف كل شيء عن ذلك العبقري الطموح كلود ويكام، وعن الليدي روشيمر تلك المرأة البدينة *المهووسة* بالشباب الصغير ممن لديهم ميل للفنون. وكان يعرف كل شيء عن السير ليوبولد روشيمر، الذي أحب أن تكون زوجته سعيدة، ومن الغريب أنه - على غير عادة معظم الأزواج - لم يمانع أن تكون سعيدة على طريقتها الخاصة.

وجد ثلاثتهم الموسيقار ويكام يتناول الشاي مع آل دنمان، ويحشو فمه بأي شيء في متناول يده دون تمييز، ويتحدث بسرعة، ويلوح بيدين بيضاوين طويلتين تبدو أصابعهما كما لو أن بها مفاصل مزدوجة. وكانت عيناه قصيرتي النظر تحدقان من وراء عدستي نظارة كبيرة ذات إطار سميك.

استمع جون دنمان - الذي كان يجلس منتصبًا، ببشرته المائلة للاحمرار التي يشوبها قدر بسيط من اللمعان - إلى الموسيقار بضجر. وعند ظهور السيد ساترثويت، حول الموسيقار دفة

الحديث تجاهه. بينما جلست آنا دنمان خلف طاولة الشاي هادئة بوجه خالٍ من التعبيرات كالعادة.

استرق السيد ساترثويت نظرة خاطفة إليها. وكانت طويلة القامة، هزيلة البنية ونحيفة للغاية، بجلد مشدود فوق عظام وجنتها العالية، وكان شعرها أسود مفروقًا من المنتصف، وقد لوَّحت الشمس بشرتها. إنها امرأة تقضي الكثير من وقتها خارج منزلها، وعلى الرغم من ذلك لا تهتم ألبتة باستخدام مساحيق التجميل. امرأة كالدمية الخشبية، بلا روح - ومع ذلك...

قال في نفسه: "لا بد من أن يكون هناك معنى خلف ذلك الوجه، ومع ذلك لا يوجد شيء واضح حتى الآن. وهذا ما يجعل كل شيء يبدو على غير ما يرام. نعم، على غير ما يرام". طرد هذه الأفكار من رأسه، ثم التفت إلى كلود ويكام قائلًا: "ألتمس العذر منك! ماذا كنت تقول؟".

كرر كلود ويكام - الذي كان مولعًا بنبرة صوته - كلامه من جديد، وقال: "روسيا، هي البلد الوحيد في العالم الذي يستحق أن يكون محطًا للاهتمام. إنهم يجرون التجارب - حتى لو اقتضى ذلك التضحية بحيوات بعض الناس - لكنهم يواصلون فعل ذلك. وهذا شيء رائع!" حشا الموسيقار فمه بشطيرة مستخدمًا في ذلك يدًا واحدة، ثم التهم عقبها قطعة حلوى من نوع إكلير بالشيكولاتة كان يلوح بها بيده الثانية. ثم استطرد (بفم مملوء بالطعام): "على سبيل المثال الباليه الروسي"، ثم تذكر مضيفته، والتفت إليها، وسألها عن *رأيها* في الباليه الروسي؟

كان من الجلي أن السؤال مجرد مقدمة للنقطة المهمة - وهي بالطبع رأي كلود ويكام الخاص في الباليه الروسي - لكن إجابتها كانت غير متوقعة، وجعلته عاجزًا عن الكلام.

حيث قالت: "لم أشاهده قط".

فحدق إلى وجهها، وقد فغر فاه، وقال: "ماذا؟ لكن...من المؤكد...".

واصلت كلامها بنفس صوتها البارد الخالي من أي انفعال: "قبل زواجي، كنت مؤدية للفقرات الاستعراضية، أما الآن...".

فأكمل زوجها: "في عطلة".

هزت كتفيها بلا اكتراث، وقالت: "الاستعراض بأشكاله أعرف كل خباياه. إنه لا يثير اهتمامي".

"أوه!".

استغرق الأمر من كلود لحظة لكي يستعيد رباطة جأشه، ويعلو صوته من جديد.

قال السيد ساترثويت: "بمناسبة الحديث عن حيوات البشر وإجراء التجارب عليها. لقد أجرت الأمة الروسية تجربة مكلفة للغاية".

فاعتدل كلود ويكام، والتفت إليه، وصاح: "أنا أعرف ما الذي ستتحدث عنه. خارسانوفا! خارسانوفا التي لا مثيل لها! هل شاهدت أداءها؟".

رد السيد ساترثويت قائلًا: "ثلاث مرات. منها مرتان في باريس، ومرة في لندن. لن أنساها".

قال عبارته هذه بنبرة يغلب عليها الوقار.

فرد كلود ويكام قائلًا: "لقد رأيتها أيضًا، كنت في العاشرة من عمري، اصطحبني عمي آنذاك لمشاهدتها. يا إلهي! لن أنسى هذا ما حييت".

ثم ألقى - في غمرة حماسه - قطعة من الكعك في أحد أحواض الزهور.

فقال السيد ساترثويت: "هناك تمثال لها في متحف برلين، إنه رائع، يجسد الهشاشة - كما لو أن بإمكانهم كسرها بنقرة من

إصبعهم. لقد رأيتها في دور كولومبين، أو الحورية المحتضرة في بحيرة البجع". ثم توقف عن الحديث وهز رأسه، ثم استطرد قائلًا: "كانت عبقرية، بل ستمر سنوات طوال قبل أن يولد من يشبهها، كما أنها كانت شابة أيضًا. لقد عصفوا بها بجهل وتعسف في الأيام الأولى من الثورة".

قال كلود ويكام: "حمقى! مخابيل! أغبياء!"، ثم اختنق الكلام في حلقه بسبب فمه المليء بالشاي.

قالت السيدة دنمان: "لقد درست مع خارسانوفا، أنا أتذكرها جيدًا".

قال السيد ساترثويت: "أكانت رائعة؟".

فقالت السيدة دنمان بهدوء: "أجل، كانت رائعة".

بعدما غادر كلود ويكام المجلس، أطلق جون دنمان تنهيدة ارتياح جعلت زوجته تضحك.

أومأ السيد ساترثويت برأسه، ثم قال: "أنا أعرف ما تفكر فيه. لكن على الرغم من أي شيء، فالموسيقى التي ألفها ذلك الرجل رائعة حقًا".

فقال السيد دنمان: "أظن هذا".

"أوه، مما لا شك فيه. لكن إلى متى سيظل الناس يستمعون إليها - هذه قصة أخرى".

فنظر إليه جون دنمان بفضول، وسأله: "ماذا تقصد بقولك هذا؟".

"أقصد أن النجاح جاءه مبكرًا، وهذا خطر للغاية، بل دائمًا ما كان ذلك خطرًا". ثم نظر إلى السيد كوين وسأله: "ألا تتفق معي؟".

فقال السيد كوين: "أنت دائمًا على حق".

هنا قالت السيدة دنمان: "سنصعد إلى غرفتي. فالجو جميل هناك".

تقدمت السيدة دنمان فتبعها الجميع. والتقط السيد ساترثويت نفسًا عميقًا عندما رأى البارافان الصيني، ثم التفت ليجد السيدة دنمان تنظر إليه.

فمالت برأسها ببطء تجاهه: "بما أنك الرجل الذي على حق دائمًا، ما رأيك في البارافان؟".

شعر بصعوبة في الرد، وجاءت إجابته بطيئة متلعثمة: "حسنًا، إنه - إنه جميل، إنه مميز جدًا".

فقال دنمان الذي ظهر خلفه: "أنت محق لقد جلبناه إلى هنا في بداية زواجنا؛ حيث اشتريناه بعُشر ثمنه، لكنه في ذلك الحين أيضًا أثقل كاهلنا بثمنه طيلة عام. أتتذكرين يا آنا؟".

فردت السيدة دنمان: "نعم، أتذكر".

"في الواقع، لم يكن من المناسب أبدًا أن نشتري هذا البارافان - ليس في ذلك الوقت. أما الآن فبالطبع الأمر مختلف. لقد كانت هناك بعض قطع الأثاث الجيدة في صالة مزادات كريستي منذ بضعة أيام. وبالضبط ما كنا نحتاج إليه لكي نجعل هذه الغرفة مثالية، حيث نجعل كل الأغراض الصينية معًا، ونزيل باقي الأغراض الأخرى، فهل تصدق يا سيد ساترثويت أن زوجتي لم تأخذ بنصيحتي؟".

قالت السيدة دنمان: "أنا أحب هذه الغرفة كما هي".

كانت هناك نظرة غريبة تعلو وجهها. ومرة أخرى شعر السيد ساترثويت بأنه في غمار تحدٍ، وأنه مهزوم. وتلفت حوله، ولأول مرة لاحظ غياب أية لمسة شخصية في الغرفة. فلم تكن هناك صور فوتوغرافية، أو زهور، أو تحف صغيرة. بل لم يكن هناك ما يدل على أنها حجرة تخص امرأة ذات ذوق خاص. وباستثناء ذلك البارافان ذي النقوش الصينية الذي يناقض ما حوله، كانت الغرفة عبارة عن نموذج للغرف التي تعرض في معارض المفروشات الكبيرة.

ثم رآها السيد ساترثويت وهي تبتسم له.

قالت السيدة دنمان: "اسمع". ثم مالت إلى الأمام، وبدت لوهلة أقل شبهًا بالإنجليز، وتجلت بكل تأكيد ملامحها الأجنبية عندما استطردت وقالت: "أنا أتحدث إليك لأنك ستفهم. لقد اشترينا هذا البارافان بما هو أغلى من المال - بالحب، بسبب حبنا إياه، ولأنه كان جميلًا ومميزًا، اشتريناه دون الأشياء الأخرى التي كنا بحاجة إليها بالفعل، لكننا لم نشترها. فتلك القطع الصينية الأخرى التي يتحدث عنها زوجي، التي كنا سنشتريها بالمال فقط، ما كان يجب أن نفضلها على غرض له قيمته في نفسينا".

ضحك زوجها، وقال بصوت يخالطه بعض الضيق: "أوه، لقد فسرتِ الأمر بطريقتك، لكن هذه القطعة من الأثاث لا تتناسب مع ما يحيط بها من أثاث إنجليزي خالص. إن هذه الأغراض الأخرى جيدة، ومتينة، وحقيقية، وليست مزيفة - لكنها بسيطة. إنها من أثاث هيبلوايت الفاخر البسيط ذي الطراز الحديث".

فأومأت برأسها. وغمغمت بصوت خفيض: "أثاث إنجليزي جيد، ومتين، وأصلي".

حدق السيد ساترثويت إليها. فقد فهم المغزى وراء كلماتها. الغرفة ذات الطابع الإنجليزي - الجمال الوهاج للبارافان الصيني...لا، لقد فقد المعنى مجددًا.

ثم قال السيد ساترثويت بلهجة متحفظة: "لقد قابلت الآنسة ستانويل في الدرب، وأخبرتني بأنها ستمثل دور بييريت في العرض الليلة".

فقال دنمان: "أجل. إنها رائعة للغاية أيضًا".

وقالت آنا: "إنها تفتقر إلى الموهبة".

فرد زوجها قائلًا: "هراء. إن كل النساء متشابهات يا سيد ساترثويت. ولا يمكنها أن تحتمل سماع مديح في امرأة أخرى.

فمولـي فتـاة بهيـة الطلعـة، ولهـذا يجـب أن تقـف كل النسـاء لهـا بالمرصاد".

قالـت آنـا دنمـان وقـد بـدت عليها بعض أمـارات الدهشـة: "أنا أتحـدث عـن الأداء الاسـتعراضي. نعـم، إنهـا جميلـة للغايـة، لكـن قدميها تتحركان بشكل غير متناسق. فلا يمكنك أن تناقشني في أي شيء يتعلق بفنون الاستعراض".

تدخل السيد ساترثويت في الحوار ببراعة.

"هنـاك اثنـان مـن الفنانيـن الاسـتعراضيين قادمـان حسـبما فهمت، أليس كذلك؟".

"أجل. لتقديـم عرض باليـه متقـن، وسـيحضرهما الأميـر أورانوف معه في سيارته".

"سيرجيوس أورانوف؟".

كان السؤال صادرًا من آنا دنمان، فالتفت زوجها ونظر إليها.

"أتعرفينه؟".

"لقد كنت أعرفه... في روسيا".

لاحظ السيد ساترثويت أن جون دنمان بدا عليه الانزعاج.

"وهل سيتعرف عليك؟".

"نعم، إنه يعرفني جيدًا".

قالتهـا وضحكـت ضحكـة انتصـار خافتـة. ولـم يكـن وجههـا خاليًـا مـن التعبيـرات في هذه اللحظـة، ثم أومأت برأسـها لزوجها لتطمئنه.

"سيرجيوس إذن هـو مـن سـيحضر فنانـي الباليـه. فدائمًا ما كان مهتمًا بفنون الاستعراض".

قال جون دنمان باقتضاب: "أتذكر هذا".

ثـم اسـتدار وغـادر الغرفـة، وتبعـه السـيد كويـن، ثـم اتجهـت آنـا دنمـان للهاتـف وطلبـت رقمًا. لكنها أوقفت السـيد سـاترثويت

بإشارة من يدها؛ لأنه كان على وشك أن يحذو حذو الرجلين الآخرين.

"هل يمكنني التحدث إلى الليدي روشيمر. أوه! هذه أنتِ. هذه آنا دنمان تتحدث. فهل وصل الأمير أورانوف؟ ماذا؟ *ماذا* ؟ يا إلهي! ولكن يا له من أمر مروع".

ثم أنصتت بضع لحظات أخرى، بعدها وضعت سماعة الهاتف مكانها مرة أخرى، ثم التفتت إلى السيد ساترثويت.

قالت: "وقعت حادثة وكان سيرجيوس إيفانوفيتش هو من يقود السيارة. يا إلهي، إنه لم يتغير طوال هذه السنوات. لم تتأذَّ الفتاة بشدة، لكنها أصيبت بكدمات وتشعر بالانزعاج لدرجة لن تسمح لها بتقديم العرض الليلة. أما الرجل فقد انكسرت ذراعه، أما سيرجيوس إيفانوفيتش نفسه فلم يصب بأي أذى. إنه لذو حظ عظيم".

"وماذا عن عرض الليلة؟".

"بالضبط يا صديقي. لابد أن نفعل أي شيء حيال ذلك الأمر".

ثم جلست تفكر، ونظرت إليه وقالت:

"أنا مضيفة سيئة، يا سيد ساترثويت. هل يمكنني أن أقدم لك أي شيء؟".

"أنا أؤكد لك أن هذا غير ضروري. ومع ذلك، هناك أمر واحد يا سيدة دنمان، أرغب بشدة في معرفته".

"وما هو؟".

"كيف تعرفتم بالسيد كوين؟".

قالت ببطء: "إنه هنا أغلب الوقت، أظن أنه يمتلك قطعة من الأرض في هذه البقعة من العالم".

قال السيد ساترثويت: "بالفعل، هذا صحيح. لقد أخبرني بهذا ظهيرة هذا اليوم".

فقالت السيدة دنمان: "إنه...". ثم توقفت، والتقت عيناها بعيني السيد ساترثويت وهي تقول: "أظن أنك تعرفه أفضل مما أفعل أنا"، وصمتت.

"أنا؟".

"أليس الأمر كذلك؟".

انزعج السيد ساترثويت. فبالنسبة إلى سلوكه المهذب اللطيف كان ما تفعله السيدة مزعجًا، فقد شعر بأنها ترغب في إجباره على قول أكثر مما كان مستعدًا للبوح به، وأنها تريده أن يعبر عما لم يكن مستعدًا للاعتراف به حتى لنفسه.

قالت السيدة دنمان: "*أنت تعرف!* أظن أنك تعرف أغلب الأمور يا سيد ساترثويت".

كان هذا تملقًا، ومع ذلك فشل في تخديره. فهز رأسه بتواضع شديد، ثم قال:

"وما الذي يمكن أن يعرفه أي أحد؟ القليل - القليل للغاية".

أومأت بالموافقة، ثم تحدثت مرة أخرى بصوت متجهم ودون أن تنظر إليه:

" لنفترض أنني سأقول لك شيئًا - لن تضحك، أليس كذلك؟ لا، لا أعتقد أنك ستضحك. لنفترض، إذن، أنه للاستمرار في العمل - ثم توقفت برهة - بتجارة ما، أو مهنة ما كان على المرء أن يستغل الخيال؛ أي أن يتظاهر لنفسه بشيء غير موجود - فعلى المرء أن يتخيل شخصًا معينًا ... إنه مجرد تظاهر، كما تفهم، مجرد شيء تؤمن به - لا شيء أكثر من ذلك، لكن ذات يوم...".

فقال السيد ساترثويت: "وماذا بعد؟".

كان مهتمًا جدًا على الرغم من غموض الكلام والمعنى الكامن وراءه.

"أصبح الخيال حقيقة! فالشيء الذي تخيلته - الشيء المستحيل، الشيء الذي لا يمكن حدوثه - تحقق! هل هذا جنون؟

أخبرني يا سيد ساترثويت. هل هذا جنون - أم أنك تؤمن بهذا أيضًا؟".

"أنا..." من الغريب أنه لم يتمكن من أن يتفوه بأية كلمة، وبدت الكلمات كأنها محشورة في حلقه.

قالت السيدة دنمان في غضب: " يا لها من حماقة. حماقة خالصة".

ثم اندفعت خارجة من الغرفة، وتركت السيد ساترثويت دون أن يدلي باعترافه بشأن يؤمن به.

عندما هبط لتناول العشاء، وجد السيدة دنمان تتحاور مع ضيف، رجل طويل القامة ذي بشرة سمراء يقترب من منتصف العمر.

قالت: "الأمير أورانوف - يا سيد ساترثويت".

انحنى الرجلان ليحيي أحدهما الآخر. وشعر السيد ساترثويت بأن هناك حديثًا انقطع بدخوله، ومن الواضح أنه لن يكتمل. لكن لم يكن هناك أي قدر من التوتر. فلقد تحدث الروسي بسلاسة وشكل طبيعي عن تلك الأشياء التي كانت قريبة من قلب السيد ساترثويت. فقد كان رجلا له ذوق فني رفيع، وسرعان ما اكتشفا أن هناك الكثير من الأصدقاء المشتركين بينهما. ثم انضم إليهما جون دنمان، فغدا نطاق الحوار محدودًا. وأعرب أورانوف عن أسفه بسبب الحادث.

"الذنب ليس ذنبي. نعم، أنا أحب القيادة بسرعة، لكنني سائق جيد. إنه القدر"، ثم هز كتفيه، وقال: "إنها مشيئة الله".

قالت السيدة دنمان: "ها هو ذا الروسي الذي داخلك يتحدث يا سيرجيوس إيفانوفيتش".

فرد عليها بسرعة قائلًا: "وكلامه يلقى صدى لديك يا آنا ميكالوفنا".

نقل السيد ساترثويت نظره من واحد إلى الآخر من الثلاثة. فجون دنمان، فاتح البشرة، غير مبال، وهو إنجليزي قح، والاثنان الآخران داكنا البشرة، ونحيفان، ومتشابهان بشكل غريب. ثم طرأ شيء ما على ذهنه - ما هو؟ آه! لقد فهم الأمر الآن. فها هو أول فصل من الدراما الموسيقية فالكيري تجري أحداثه أمامه. فها هما سيجموند وسيجليند - متشابهين جدًا لدرجة التماثل - والأجنبي كان هوندينج. بدأت التخمينات تثور في دماغه. فهل كان هذا هو معنى وجود السيد كوين؟ شيء واحد كان يؤمن به بشدة - أينما أظهر السيد كوين نفسه - تحدث الدراما. فهل ستتكرر هنا إذن أحداث المأساة القديمة المبتذلة ذات الأبعاد الثلاثة؟

كان يشعر بالإحباط على نحو غامض، وقد تمنى أن تكون الأمور أكثر إثارة من ذلك.

سأل دنمان: "ما الذي رتبته يا آنا؟ سنؤجل العرض، على ما أظن. لقد سمعتك تتصلين بآل روشيمر".

فهزت رأسها نفيًا.

"لا - لن نؤجل شيئًا".

"لكن لن يمكنك تقديم العرض دون الباليه، أليس كذلك؟".

وافقت آنا دنمان على نحو غير متوقع: "لن يمكننا بالتأكيد تقديم المسرحية الإيمائية الهزلية دون هارلكوين وكولومبين. لذلك سأؤدي أنا دور كولومبين يا جون".

"أنت؟". كان مندهشًا - وبالأحرى كان منزعجًا حسب ظن السيد ساترثويت.

فأومأت برأسها بهدوء.

"لا داعي للخوف يا جون لن أخذلك. فهل نسيت أن هذه كانت مهنتي ذات يوم؟".

فكر السيد ساترثويت: "يا لغرابة صوت الإنسان. فهو ينقل الأشياء التي تقال - وكذلك الأشياء التي لا تقال وتحمل معنى خاصًا ومختلفًا! ليتني فقط أعرف...".

قطع جون دنمان تدفق أفكاره عندما قال على مضض: "حسنًا، هذا يحل نصف المشكلة. فماذا عن النصف الآخر؟ أين سنجد هارلكوين؟".

"لقد وجدته- هناك!".

ثم أشارت برأسها إلى مدخل الباب، حيث ظهر السيد كوين من فوره، وابتسم بدوره في وجهها.

قال جون دنمان: "يا إلهي، كوين. هل تعرف أي شيء مما يجري؟ لم أتخيل هذا قط".

فقالت زوجته: "السيد كوين يدعمه ويضمنه شخص خبير. فالسيد ساترثويت سيجيب بالنيابة عنه".

وابتسمت في وجه السيد ساترثويت، فوجد الرجل الضئيل نفسه يتمتم: "نعم - أنا أضمن السيد كوين".

فحوّل دنمان اهتمامه إلى أمر آخر.

"أنت تعلم أنه سيكون هناك عرض تنكري بعد ذلك، وهذا يمثل عبئًا كبيرًا. فسنضطر إلى تجهيزك يا ساترثويت لتلعب دورًا معنا".

هز السيد ساترثويت رأسه بحزم شديد معتزمًا الرفض.

"سنوات عمري ستعفيني من هذا". ثم واتته فكرة عبقرية وغيّر رأيه، فالتقط منديل طاولة من تحت ذراعه، وقال: "هأنذا مجرد نادل عجوز عاش أيامًا أفضل من هذه".

ثم ضحك.

فقال السيد كوين: "مهنة مثيرة للاهتمام، فالمرء يرى من خلالها الكثير".

قال دنمان بيأس: "أنا مضطر إلى ارتداء زي بييرو الأحمق، لكنه لطيف على أية حال". ثم التفت إلى أورانوف، وقال: "ماذا عنك؟".

فقال الروسي: "أنا سأرتدي زي هارلكوين". وتحولت عيناه لحظات تجاه وجه مضيفته.

تساءل السيد ساترثويت عما إذا كان مخطئًا في تخيله أن هذا وقت تمارس فيه بعض الضغوط غير المباشرة.

قال دنمان وهو يضحك: "قد يكون هناك ثلاثة منا. فسأرتدي أنا زي هارلكوين قديمًا صنعته زوجتي في بداية زواجنا لعرض من هذا النوع". ثم صمت برهة، وقال: "لا أعتقد أن مقاسه سيناسبني الآن".

فقالت زوجته بتأكيد: "لا، لن يناسبك الآن".

وللمرة الثانية حمل صوتها معنى يجاوز الكلمات التي تفوهت بها.

ثم ألقت نظرة على الساعة، وقالت: "إذا لم تحضر مولي بعد قليل، فلن ننتظرها".

لكن في تلك اللحظة ظهرت الفتاة وهي ترتدي زي بييريت ذا اللون الأبيض في الأخضر، وبدت فاتنة فيه، هكذا رأى السيد ساترثويت.

كانت مليئة بالإثارة والحماس حيال العرض المرتقب.

فأعلنت وهم يحتسون القهوة بعد وجبة العشاء: "ومع ذلك، فأنا متوترة للغاية؛ إذ إنني أعرف أن صوتي سيرتعش وسوف أنسى الكلمات".

فقالت آنا: "صوتك عذب للغاية. ولو كنت مكانك ينبغي ألا أشعر بالقلق".

"أوه، لكنني قلقة، أما الأمر الآخر فلا يقلقني- أعني الاستعراض. فأنا متأكدة من أنه سيسير على خير ما يرام، فلا

يمكن للمرء أن يخطئ كثيرًا وهو يحرك قدميه، أليس هذا صحيحًا؟".

كانت تنتظر إجابة من آنا، لكنها لم تجب وإنما قالت: "غنِّ شيئًا الآن للسيد ساترثويت. وستجدين أنه سيطمئنك".

اتجهت مولي للبيانو. وتصاعد صوتها العذب وهي تغني قصيدة شعبية إيرلندية قديمة:

" شيلا، شيلا السمراء، ما الذي ترينه؟
ما الذي ترينه، ما الذي ترينه في النار؟".
"أرى فتى يحبني- وأرى فتى يهجرني، وأرى فتى ثالثًا، فتى الظل
- وهو الفتى الذي يحزن عليّ".

استمرت الأغنية. وفي النهاية، أومأ السيد ساترثويت برأسه علامة على تأييده بشدة الرأي الذي سمعه قبل قليل، وهو يقول: "لقد كانت السيدة دنمان محقة. إن صوتك آسر، إنه ليس متمرسًا للغاية، ولكنه مبهج بشكل غير طبيعي، وبه روح شبابية عفوية".

قال جون دنمان معلنًا موافقته: "هذا صحيح. انطلقي يا مولي، ولا تجعلي رهبة المسرح تعطلك، يجب أن نذهب إلى آل روشيمر الآن".

افترق الجمع لارتداء أزيائهم. وكانت ليلة فريدة وخاصة، واقترحوا أن يذهبوا سيرًا، فالمنزل لم يكن بعيدًا.

ووجد السيد ساترثويت نفسه يسير بجانب صديقه.

قال السيد ساترثويت: "هذا أمر غريب، لكن الأغنية جعلتني أفكر فيك. فالفتى الثالث - فتى الظل - هناك غموض بشأنه، وأينما وجد الغموض - أفكر فيك".

فقال السيد كوين مبتسمًا: "أأنا غامض للغاية؟".

فاومأ السيد ساترثويت برأسه مؤيدًا بقوة.

"نعم، بالفعل. هل تعلم، حتى هذه الليلة لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن أنك فنان استعراضي محترف".

فقال السيد كوين: "أحقًا؟".

رد السيد ساترثويت قائلًا: "أنصت". ثم دندن لحن الحب من مسرحية فالكيري، وقال: "هذا اللحن كان يتردد في ذهني طوال العشاء وأنا أنظر إلى هذين الشخصين".

"أي شخصين؟".

"الأمير أورنواف والسيدة دنمان. ألا ترى الاختلاف الواضح عليها هذه الليلة؟ يبدو كما لو أن - كما لو أن هناك مصراع نافذة انفتح فجأة، وأصبحت ترى البريق الذي كانت تخفيه في الداخل".

فقال السيد كوين: "أجل، ربما كان هذا صحيحًا".

فقال السيد ساترثويت: "الدراما القديمة ذاتها. إنني محق، أليس كذلك؟ هذان الاثنان متحابان. إنهما ينتميان إلى العالم ذاته، يحملان الأفكار ذاتها، ويحلمان الأحلام نفسها... وبمقدور المرء أن يعرف كيف آلت الأمور إلى ما هي عليه الآن. منذ عشر سنوات مضت لا بد من أن دنمان كان شابًا بهي الطلعة، وجسورًا، ورومانسيًا. لقد أنقذ حياتها. إن كل هذا طبيعي للغاية. لكن الآن - كيف أصبحت الحال بعد كل هذه السنوات؟ إنه رفيق جيد، وثري، وناجح، لكنه رجل إنجليزي عادي وبسيط، يشبه ذلك الأثاث الفاخر البسيط في الطابق العلوي. رجل إنجليزي عادي مثل تلك الفتاة الإنجليزية الجميلة بصوتها العذب وغير المتمرس. آه، قد تضحك على هذا يا سيد كوين، لكن لا يمكنك أن تنكر ما أقوله".

"أنا لا أنكر شيئًا، فما تراه يكون صحيحًا دائمًا. ومع ذلك...".

"ومع ذلك ماذا؟".

مال السيد كوين إلى الأمام، وأمعنت عيناه الداكنتان النظر في عيني السيد ساترثويت.

ثم التقط نفسًا، وقال: "ألم تتعلم بعد الكثير من تناقضات الحياة؟".

ثم رحل تاركًا السيد ساترثويت خلفه يشعر بانزعاج مبهم، حتى إنه وقع فريسة للتفكير، حتى إنه وجد الآخرين قد سبقوه، فعزا تأخره إلى اختيار وشاح يضعه حول رقبته. وخرج إلى الحديقة، من الباب ذاته الذي اجتازه في فترة الظهيرة. كان ضوء القمر يغمر الدرب، وبينما كان يقف في المدخل رأى شخصين متعانقين.

وللحظة ظن أنهما...

ثم رآهما. لقد كانا جون *دنمان ومولي ستانويل*. وتناهى إلى مسامعه صوت دنمان مبحوحًا وملتاعًا وهو يقول: "لا يمكنني العيش دونك. ماذا سنفعل؟".

استدار السيد ساترثويت ليعود من الدرب الذي أتى منه، لكن يدًا منعته من المضي حيث أراد. فقد كان هناك من يقف في المدخل إلى جواره، إنه شخص رأت عيناه ما رآه ذاته.

وكان كافيًا أن يرى السيد ساترثويت لمحة من وجهها ليعلم كم كانت استنتاجاته كلها خاطئة تمامًا.

أوقفته يدها المرتجفة حتى مضى الاثنان في أعماق الدرب واختفيا عن الأنظار. وسمع نفسه يتحدث إليها، وهو يتفوه بأمور حمقاء كان يقصد بها مواساتها، ولم تكن هذه الأمور تكفي حجم المعاناة الذي تكهن به. بينما لم تتحدث هي سوى مرة واحدة.

قالت: "من فضلك، لا تتركني".

لقد وجد ذلك الموقف مؤثرًا بدرجة غريبة. فلقد كان حضوره حينها مفيدًا لشخص ما. واستمر في قول تلك الكلمات التي لم تعنِ شيئًا على الإطلاق، لكنها كانت على نحو ما أفضل

مـن الصمـت. ثـم سـارا في الـدرب إلى منـزل عائلة روشـيمر. وبين الحيـن والآخـر كانت تحكـم قبضة يدها على كتفـه، ففهم من هذا أنها كانت مسـرورة برفقته. ولم ترخِ قبضتها إلا عندما وصلا إلى وجهتهما. حينها وقفت في شموخ، ورفعت رأسها.

قالـت: "الآن، سـأقدم أدائـي الاسـتعراضي المرجـو! لا تخشَ عليَّ يا صديقي. فسأفعل ذلك".

ثـم تركتـه فجأة. فتلقفته الليدي روشـيمر، التـي كانت ترتدي الكثيـر مـن الألماس، وكانت كثيـرة الامتعاض، ثـم أحالته بدورها إلى كلود ويكام.

قـال ويـكام: "محطم! أنـا محطم ومحبط تمامًا، وهو الشـيء الـذي يحـدث لـي دومًـا. كل هـؤلاء السـذج الريفييـن يظنـون أنـه يمكنهم أداء الاسـتعراضات. لم يسـتشرني أحد قط..."، واسترسل في الحديث دون توقف. لقد وجد مسـتمعًا متعاطفًا، رجلًا يعرف ما يعنيه بكلامه. لقد ترك نفسه تنغمس في تلك الحالة المغرية من الإشفاق على الذات. ولم ينتهِ هذا إلا عندما تصاعدت النغمات الأولى من الموسيقى.

خـرج السـيد سـاترثويت مـن تأملاتـه. وعـاد منتبهًـا ومنتقـدًا لمـا لا يعجبـه مـن سـلوكيات مرة أخرى. كان ويكام أحمق بشـكل لا يوصف، لكنه قادر على تأليف موسيقى رقيقة النغمات، ومتماسكة كشبكة العنكبوت، وخالية من التكلف.

كان الديكور رائعًا. ولـم تكن الليدي روشـيمر تبخل قط بشـيء عندمـا يتعلـق الأمر بمسـاعدة ضيوفها. وكانت هنـاك رقعة خلابة مـن الأشـجار تتخللهـا مؤثـرات ضوئيـة تضفـي جوًا مـن الخيـال الفاتن على الأجواء.

وكان هنـاك شـخصان يتحـركان بخفـة علـى الإيقاعـات كمـا لو أنهمـا يفعـلان ذلـك منذ الأزل. لقد كان هارلكوين الرشـيق يتلألأ

تحت ضوء القمر بعصاه ووجهه المقنع...وكولومبين البيضاء تدور في حلقات كحلم سرمدي...

استوى السيد ساترثويت في جلسته. لقد عاش هذا الشعور من قبل. نعم، بكل تأكيد...

والآن صار بعيدًا بكل كيانه عن قاعة استقبال السيدة روشيمر، وانتقل في تخيلاته إلى متحف برلين، حيث أخذ ينظر إلى تمثال كولومبين الجميلة.

استمر هارلكوين وكولومبين في أداء حركاتهما الرشيقة، وكأن العالم الشاسع بأسره صار ملكهما ليدورا في أرجائه...

غمر ضوء القمر المكان - وكان هناك ظل بشري يتحرك. وأخذ بييرو يتجول في الغابة، ويغني للقمر. بييرو الذي رأى كولومبين ولم يعرف من وقتها الراحة. اختفى هارلكوين من المشهد، لكن كولومبين نظرت إلى الوراء، لقد سمعت غناء قلب بشري.

كان بييرو يتجول في الغابة...في الظلام...وأخذ صوته يبتعد ويذوى...

وكانت فتيات القرية يتمايلن بخفة في حلقات. وأدت مولي دور بييريت. لم تكن فنانة استعراضية بارعة - كانت آنا دنمان محقة في ذلك - لكن صوتها كان عذبًا وجميلًا، وهي تغني أغنيتها "بييريت تتمايل فوق عشب الغابة".

أومأ السيد ساترثويت برأسه مستمتعًا باللحن الرائع، وكان ويكام يعرف فعلا كيف يكتب ألحانًا رائعة متى دعت لذلك الضرورة. كان مستاءً من أداء باقي فتيات القرية، ولكن ذلك جعله يدرك كم كانت الليدي روشيمر تتسم بالعطف الشديد.

دعا المحتفلون بييرو لكي ينضم إليهم. لكنه رفض. وبوجه شاحب تجول الحبيب المدلّه بحثًا عن حبيبته. وحل المساء، وتوارى هارلكوين وكولومبين اللذان كانا يتمايلان بخفة،

ويبتعدان وسط الحشد. أصبح المكان مهجورًا، فقط بييرو - الذي كان ذابلًا وهامدًا- ينام على ضفة يكسوها العشب، بينما هارلكوين وكولومبين يدوران من حوله. وفجأة يستيقظ ويرى كولومبين مجددًا، ومن ثم يتودد لها، لكن دون جدوى، ويتوسل ويستعطف...

فتقف كولومبين مترددة، ويشير هارلكوين إليها لتنصرف، لكنها فجأة لم تعد تراه. فقط تستمع إلى بييرو وأغنيته عن الحب التي تدفقت مرة أخرى. ثم تسقط بين ذراعيه، ويُسدل الستار.

يدور الفصل الثاني في كوخ بييرو، حيث تجلس كولومبين أمام موقدها. شاحبة، ذابلة. تنصت إلى بييرو وهو يغني لها - ويتودد لها لكي تفكر في أمره مرة أخرى. اشتد ظلام الليل، وأخذ صوت الرعد يدوي...فتضع كولومبين مغزلها جانبًا. ويبدو عليها الشوق والحماس. إنها لم تعد تسمع صوت بييرو. فكل ما تسمعه الآن هو موسيقاها التي تصدح في الجو، موسيقى هارلكوين وكولومبين... فتستفيق وتتذكر.

يدوي الرعد! ويظهر هارلكوين في المدخل. ويعجز بييرو عن رؤيته، لكن كولومبين تهب وهي تضحك بسعادة، ثم يأتي الأطفال يركضون ناحيتها، لكنها تدفعهم جانبًا. ومع دوي آخر للرعد تسقط الجدران، وتحتفل كولومبين في هذه الأجواء المضطربة وهذه الظلمة الحالكة مع هارلكوين.

الظلام يلف المكان، تشقه النغمة التي يغنيها بييرو. ثم يضيء المكان تدريجيًا، ويظهر الكوخ مجددًا. فنرى بييرو وبييريت يجلسان، وقد هرما، وشاب شعرهما، في مقعدين أمام النار، وكانت الموسيقى سعيدة لكنها خافتة. وتجلس بييريت على مقعدها منحنية الرأس. ومن النافذة يتسلل قبس من ضوء القمر، ويصحبه لحن بييرو المنسي، فيتمايل في مقعده.

موسيقى خافتة - موسيقى فاتنة... ثم يظهر هارلكوين وكولومبين في الخارج. وينفتح الباب، وتبدو كولومبين وهي تتحرك بخفة ورشاقة إلى الداخل، ثم تنحني على بييرو النائم وتقبله...

ثم تحدث ضجة عالية! الرعد يدوي، وتخرج كولومبين مجددًا. وفي منتصف خشبة المسرح نجد النافذة المضيئة، ونرى من خلالها خيال هارلكوين وكولومبين وهما يبتعدان ببطء، وتتلاشى صورتهما تدريجيًا...

يقع أحد الألواح الخشبية فيقفز بييرو غاضبًا، ويندفع إلى النافذة، ويسدل الستار، وهكذا ينتهي العرض .

جلس السيد ساترثويت بلا حراك وسط التصفيق والصخب. وفي النهاية نهض وخرج من المكان. وفي طريقه قابل مولي ستانويل التي كانت تقف بوجه متورد وبحماس تتلقى الإطراء. ثم رأى جون دنمان، يشق دربه وسط الزحام وعيناه تلمعان بوهج جديد. فاتجهت مولي ناحيته، لكنه - غالبًا دون وعي - تخطاها. ولم تكن هي من يسعى خلفها.

"أين زوجتي؟ أين هي؟".

"أظن أنها خرجت إلى الحديقة".

غير أن السيد ساترثويت وجدها تجلس على مقعد حجري تحت شجرة السرو، وعندما اقترب منها، فعل شيئًا غريبًا. جثا أمامها، وأخذ يدها فقبلها.

فقالت: "آه، أتعتقد أنني أديت جيدًا؟".

"لقد قدمتِ أداءك الرائع - كما اعتدت دومًا - يا سيدة خارسانوفا".

فتنهدت بعمق.

وقالت: "إذن، لقد اكتشفت الحقيقة".

"هناك خارسانوفا واحدة فقط. فلا يستطيع أحد أن يراك وأنت تؤدين حركاتك الرشيقة وينساك. لكن لماذا - لماذا؟".

"ما الذي كان بوسعي فعله غير ذلك؟".

"ماذا تعنين؟".

تحدثت إليه ببساطة شديدة. فقد كانت على طبيعتها الآن. "أوه! لعلك تفهم ما أقصد. أنت تعرف كيف تسير الأمور. ففنانة استعراضية عظيمة - يمكن أن يكون لها محبون - لكن أن يكون لها زوج، فهذا أمر مختلف تمامًا. وهو لم يرضَ أن يكون حبيبًا فقط، أو أن يكون لي محبون آخرون. لقد أرادني أن أنتمي إليه - وكأنما لم يكن لـ خارسانوفا وجود مستقل على الإطلاق".

فقال السيد ساترثويت: "أفهم ذلك. أفهم ذلك. ولهذا تركت فن الاستعراض؟".

فأومأت برأسها إيجابًا.

فقال السيد ساترثويت برقة: "لابد أنك أحببته بشدة".

فقالت وهي تضحك: "أهذا لأنني قمت بهذه التضحية؟".

"ليس هكذا بالضبط، لكن لكي تفعلي شيئًا كهذا بقلب راضٍ".

"آه، نعم - ربما - أنت محق".

فسألها السيد ساترثويت، قائلًا: "والآن، ماذا ستفعلين؟".

خيم الحزن على ملامحها، ثم صمتت برهة، وقالت: "والآن؟"... ثم علا صوتها وتحدثت إلى ظل مقبل عليهما: "أهذا أنت سيرجيوس إيفانوفيتش؟".

ظهر الأمير أورانوف في ضوء القمر، وأمسك يديها، وابتسم إلى السيد ساترثويت دون خجل.

ثم قال ببساطة: "عشر سنوات وأنا مفجوع بسبب موت آنا خارسانوفا. لقد كانت بالنسبة لي نصفي الآخر. والآن وجدتها من جديد، ولن نفترق بعد الآن".

قالت آنا: "سأقابلك في نهاية الدرب بعد عشر دقائق، لن أخذلك".

فأومأ أورانوف برأسه ورحل، والتفتت الفنانة إلى السيد ساترثويت. وكانت الابتسامة تتألق على شفتيها وهي تقول: "حسنًا - أنت غير راضٍ عن هذا الوضع يا صديقي، أليس كذلك؟".

فقال السيد ساترثويت بغتة: "أتعرفين أن زوجك يبحث عنك؟".

ثم رأى الرعشة التي سرت على وجهها، لكن صوتها لم يهتز، وهي تقول بأسى: "نعم. ربما كان هذا صحيحًا".

فقال لها: "لقد رأيت عينيه، إنهما..." ثم صمت فجأة.

ظلت هادئة وهي تقول: "ربما، سيظل هكذا بعض الوقت، ساعات، سيستغرق في استعادة ذكريات الماضي، والموسيقى، وضوء القمر - هذا كل ما في الأمر".

شعر السيد ساترثويت بأنه عجوز بائس وهو يقول: "إذن، ليس هناك ما يمكنني قوله، أليس كذلك؟".

فقالت آنا خارسانوفا: "عشر سنوات عشت مع الرجل الذي أحبه. أما الآن فأنا ذاهبة لأعيش مع الرجل الذي أحبني - على الرغم من غيابي عنه - عشر سنوات".

لم يقل السيد ساترثويت شيئًا، لقد نفدت حججه. وعلاوة على أن هذا بدا الحل الملائم بكل بساطة. لكنه فقط لم يكن - بطريقة ما - الحل الذي يريده، ثم شعر بيدها تربت كتفه.

"أنا أعلم يا صديقي، أعلم ما تشعر به. لكن ليس هناك حل ثالث. دائمًا ما يبحث المرء عن شيء واحد - الحبيب المثالي، الحبيب الأبدي ... ولا يسمع المرء ساعتها سوى موسيقى هارلكوين. ليس هناك محب واحد يُرضي حبيبه طوال العمر،

فكل الأحباب مؤقتون. وهارلكوين مجرد أسطورة، حاضر غير مرئي، حتى...".

فحثها السيد ساترثويت على الاسترسال: "نعم، نعم".

"حتى يأتي الموت!".

سرت قشعريرة بجسد السيد ساترثويت. وابتعدت آنا عنه، وابتلعها الظلام...

ولم يدر كم مكث مكانه بالضبط، لكنه فجأة شعر بأنه يضيع وقتًا ثمينًا. فأسرع مبتعدًا، مدفوعًا للسير في اتجاه معين على الرغم منه.

وعندما وصل إلى الدرب انتابه إحساس خيالي. الإحساس بروعة المكان تحت ضوء القمر! ثم اقترب منه شخصان...

ظن في البداية أن هذا هو أورانوف في ثياب هارلكوين. ثم عندما مر الشخصان بجواره، تبين خطأه. فهذا القوام النحيل المتأرجح ينتمي لشخص واحد فقط - السيد كوين...

مضى الشخصان في الدرب - كانا يسيران بخفة كما لو أنهما يقفزان في الهواء. لف السيد كوين رأسه ونظر إلى الخلف، وأصابت الصدمة السيد ساترثويت، حيث إن هذا الوجه لم يكن وجه السيد كوين كما عرفه. كان ذلك وجه شخص غريب - لا، ليس غريبًا تمامًا. آه! لقد عرفه الآن، كان ذلك وجه جون دنمان كما كان يبدو قبل أن يعتاد الحياة الوادعة الرغيدة؛ إذ كان متحمسًا، مغامرًا، يحمل وجه صبي ومحب...

ثم أتته ضحكتها، ضحكة صافية وسعيدة... فنظر إليهما ورأى أضواء كوخ صغير من بعيد. فظل يحدق إليهما كما لو أنه في حلم.

وبعد لحظات أيقظته من تخيلاته بفظاظة يد وضعت على كتفه، فاستدار ليرى وجه سيرجيوس أورانوف، الذي بدا شاحبًا ومشوشًا.

"أين هي؟ أين هي؟ لقد وعدتني - ولم تأتِ".

"لقد مضت السيدة من فورها في هذا الدرب - بمفردها".

كان هذا صوت خادمة السيدة دنمان التي تتحدث من وراء الباب خلفهما. لقد كانت تنتظر وهي تحمل وشاح سيدتها.

ثم أضافت: "كنت أقف هنا ورأيتها تمر".

فقال لها السيد ساترثويت بحدة: "بمفردها؟ هل قلت بمفردها؟".

فاتسعت عينا الخادمة في دهشة.

"نعم يا سيدي، ألم ترَها وهي تمضي؟".

فتشبث السيد ساترثويت بأورانوف، وتمتم قائلًا: "أسرع. أنا - أنا خائف".

فهرع الاثنان معًا عبر ذلك الدرب، وكان الروسي يتفوه بعبارات سريعة غير مترابطة.

"إنها مخلوقة رائعة. آه! كم كان أداؤها رائعًا الليلة. وكم كان رائعًا أداء صديقك هذا. ما اسمه؟ لكنه رائع - مميز. وفي الأيام الخوالي، عندما كانت تؤدي دور كولومبين، لم تجد قط هارلكوين المثالي. حتى موردوف، وكاسنين - لا أحد منهما كان مثاليًا تمامًا بالنسبة لها؛ لأنها كانت تملك دومًا القليل من الخيال الخاص بها، لقد قالت لي هذا ذات مرة. كانت تصحب هارلكوين المثالي دائمًا معها في أحلامها - إنه رجل لم يكن موجودًا حقًا في الواقع. لقد قالت هذه المرة إن هارلكوين هو نفسه الذي جاء ليؤدي معها الاستعراض. كان تخيلها الليلة هو الذي جعلها كولومبين الرائعة للغاية".

أومأ السيد ساترثويت برأسه مسايرًا إياه، فقد كانت هناك فكرة واحدة فقط تدور في ذهنه.

وقال: "أسرع. يجب أن نصل في الوقت المناسب. أوه! يجب أن نصل في الوقت المناسب".

وصلا إلى المنعطف الأخير - ثم وجدا نفسيهما أمام الحفرة العميقة، وهناك شيء يرقد داخلها لم يكن موجودًا من قبل، إنه جسد امرأة مستلقية في وضع رائع، ذراعان مفرودتان على الجانبين، ورأس ممدد للخلف، ووجه وجسد ميتان وجميلان تحت ضوء القمر.

ترددت الكلمات في ذهن السيد ساترثويت بصوت خافت - وكانت هي كلمات السيد كوين: "*هناك أشياء رائعة يمكن أن توجد في مكب النفايات*".

لقد فهم الآن معنى هذه الكلمات.

كان أورانوف يغمغم بعبارات مبعثرة. وكانت الدموع تنساب على وجهه.

"لقد أحببتها. دائمًا ما أحببتها". استخدم الكلمات ذاتها التي خطرت على ذهن السيد ساترثويت في وقت مبكر من ذلك اليوم. "لقد كنا ننتمي للعالم ذاته، أنا وهي. ولدينا الأفكار ذاتها، والأحلام ذاتها. كنت سأحبها ما حييت...".

"كيف لك أن تعرف هذا؟".

حدق به الروسي مذهولًا - واندهش من نبرة الحنق التي سمعها في صوته.

فاستطرد السيد ساترثويت: "كيف لك أن تعرف هذا؟ هذا ما يظنه كل المتحابين - وما يقوله المتحابون...هناك حبيب واحد فقط...".

ثم استدار وكاد يصطدم بالسيد كوين الذي ظهر فجأة كعادته. وبحركة عصبية أمسك السيد ساترثويت بـ كوين من ذراعه وجذبه جانبًا.

فقال السيد ساترثويت: "أكنت أنت، *أنت* من كنت معها؟".

فانتظر السيد كوين برهة، ثم أجاب برقة: "يمكنك قول هذا إذا شئت".

"والخادمة، ألم ترك؟".

"الخادمة لم ترني".

"لكنني رأيتك. ماذا كان هذا؟".

"ربما بسبب الثمن الذي دفعتَه أصبحت ترى أشياء لا يستطيع الأشخاص الآخرون رؤيتها".

نظر السيد ساترثويت إليه وهو عاجز عن الاستيعاب دقيقة أو اثنتين، وبدأ يرتجف بغتة كورقة شجر.

ثم همس: "ما هذا المكان؟ ما هذا المكان؟".

"لقد أخبرتك بهذا في وقت مبكر من هذا اليوم. إنه دربي".

فغمغم السيد ساترثويت: "درب المحبين، والناس يمرون منه".

"أغلب الناس، عاجلًا أم آجلًا".

"وفي نهايته - ماذا يجدون؟".

ابتسم السيد كوين. كان صوته غاية في الرقة عندما أشار إلى بقايا الكوخ المحطم، وقال: "بيت أحلامهم - أو مكب النفايات - من يدري؟".

تطلع إليه السيد ساترثويت بحيرة، وثار في داخله تمرد عنيف. لقد شعر بأنه تعرض للغش والاحتيال.

وقال بصوت مصدوم: "لكنني- لم أمر بدربك هذا قط من قبل...".

"وهل أنت نادم؟".

غزت جسد السيد ساترثويت رعشة، امتزج فيها شعور الرهبة بالذهول. وبدا أن جسد السيد كوين يتضخم ويأخذ أبعادًا غير بشرية ... كان السيد ساترثويت لحظتها يطالع كيانًا عملاقًا ومرعبًا في آن واحد...لقد تجسدت أمامه مشاعر الفرح والحزن واليأس في صورة واحدة.

واعترت روحه هزة عنيفة.

فكرر السيد كوين سؤاله: "هل أنت نادم؟"، وعندما نظر إليه ساترثويت مجددًا لم يجد في مظهره أي شيء غير طبيعي.

فتلعثم السيد ساترثويت وهو يقول: "لا... لا".

ثم استعاد حيويته وانتباهه.

وصرخ قائلًا: "لكنني أرى الأشياء. قد أكون مجرد مراقب للحياة - لكنني أرى أشياء لا يراها الآخرون. لقد قلت لي ذلك من قبل، يا سيد كوين...".

لكن السيد كوين كان قد اختفى.

مغامرة النبيل الإيطالي

لديَّ أنا وبوارو الكثير من الأصدقاء والمعارف الذين تربطنا بهم علاقات غير رسمية، ومن بين هؤلاء أذكر جارنا الطبيب هوكر. فقد كان من عادة هذا الطبيب أن يمر علينا في بعض الأمسيات، ويتبادل الحديث مع بوارو، حيث كان معجبًا كبيرًا بعبقريته. أما عن الطبيب نفسه، فهو رجل صريح، ولا يبدو مثيرًا للريبة أو من النوع المتشكك في غيره على الإطلاق، كما أنه يعجب بهؤلاء الموهوبين في المجالات البعيدة عن مجال عمله.

وذات ليلة من ليالي شهر يونيو، وصل الطبيب إلى منزلنا في نحو الثامنة والنصف مساءً، وانغمس معنا في مناقشة متشعبة عن انتشار استخدام سم الزرنيخ في الجرائم. وبعد مرور ربع ساعة تقريبًا، انفتح باب غرفة جلوسنا على مصراعيه، وخطت امرأة مرتبكة إلى الغرفة.

"أوه، دكتور هوك، إن هناك من يريدك! إن ثمة صوتًا مخيفًا على الهاتف. لقد أصابني بالفزع، أفزعني بالفعل".

لم تكن هذه المرأة سوى الآنسة رايدر، مدبرة منزل الدكتور هوكر. إذ كان الطبيب أعزب، ويعيش في بيت عتيق بائس المظهر على بعد شوارع قليلة من منزلنا. وكانت الآنسة رايدر، التي تتسم بالوداعة عادة، في حالة من الاضطراب الآن.

"ما هذا الصوت المخيف؟ لمن هو، وما المشكلة؟".

"إنه الهاتف يا دكتور. فحينما رددت عليه جاءني صوت يقول: "النجدة، النجدة أيها الطبيب. لقد قتلوني!"، ثم خفت الصوت تدريجيًا، فسألتُ: "من المتحدث؟ من المتحدث؟" فرد صوت هامس يقول: "فوسكاتيني - أو شيئًا من هذ القبيل - القاطن في بناية ريجينت كورت السكنية".

فهتف الطبيب متعجبًا: "الكونت فوسكاتيني، إنه يملك شقة في بناية ريجينت كورت. يجب أن أذهب على الفور. فما الذي حدث يا تُرى؟".

فسأله بوارو: "أهذا أحد مرضاك؟".

"لقد اعتنيت بحالته منذ بضعة أسابيع بسبب وعكة بسيطة أصابته. إنه إيطالي، ومع ذلك يتحدث الإنجليزية بطلاقة. حسنًا، أنا مضطر إلى أن أغادر يا سيد بوارو، ما لم...".

وبدا عليه التردد.

فقال بوارو مبتسمًا: "لقد عرفت ما يدور في ذهنك. وستسرني مرافقتك. هاستينجز، أسرع وأحضر سيارة أجرة".

دائمًا ما يصعب على المرء إيقاف سيارة أجرة خاصة عندما يكون الموقف ملحًا، لكنني تمكنت من إيقاف واحدة في النهاية، وسرعان ما انطلقنا إلى وجهتنا في ريجينت بارك. كانت بناية ريجينت كورت مجمعًا سكنيًا جديدًا يتكون من العديد من الشقق، ويتفرع من شارع جون وود. وقد شيِّد هذا المجمع السكني مؤخرًا، ويضم أحدث الخدمات.

لم يكن هناك أحد في بهو البناية. فضغط الطبيب على زر استدعاء المصعد بنفاد صبر، وعندما وصل المصعد سأل العامل الذي يرتدي زي عمال المصاعد بحدة: "شقة 11، الكونت فوسكاتيني. أظن أن حادثًا وقع هناك".

حدق الرجل إلى وجهه بدهشة.

"أولًا لو كان هناك حادث وقع لكنت عرفت به. فالسيد جريفز - خادم الكونت فوسكاتيني- خرج منذ نصف ساعة مضت دون أن يتفوه بكلمة".

"هل كان الكونت في الشقة بمفرده؟".

"لا يا سيدي، لقد كان بصحبته سيدان يتناولان العشاء معه".

فسألته بلهفة: "كيف يبدوان؟".

كنا في ذلك الوقت في المصعد، متجهين سريعًا إلى الطابق الثاني، حيث تقع الشقة رقم 11.

رد عامل المصعد على سؤالي قائلًا: "لم أرهما بنفسي يا سيدي، لكنني أظن أنهما أجنبيان".

ثم سحب باب المصعد الحديدي، وخرجنا منه لنجد الشقة رقم 11 أمامنا، وحين قرع الطبيب الجرس. لم نتلقَّ إجابة، ولم نتمكن من سماع أي صوت يصدر من الداخل. فواصل الطبيب قرع الجرس، وكان بإمكاننا سماع صوت الجرس يدوي داخل الشقة، لكن لم يكن هناك ما يدل على وجود حياة في الداخل.

غمغم الطبيب قائلًا: "الأمر خطير". ثم استدار إلى عامل المصعد، وقال: "هل هناك مفتاح احتياطي لهذا الباب؟".

"هناك واحد في مكتب حارس العقار في الأسفل".

"أحضره إذن. انتظر، أظن أنه من الأفضل أن ترسل في طلب الشرطة".

فوافق بوارو بإيماءة من رأسه.

عاد الرجل بعد فترة وجيزة؛ وبصحبته مدير البناية.

"هل تخبرونني يا سادة، ما معنى كل هذا؟".

"بالطبع. لقد تلقيت مكالمة هاتفية من الكونت فوسكاتيني مفادها أنه تعرض لهجوم، وأنه يحتضر. وبهذا أظن أنك تفهم الآن أننا يجب ألا نضيع الوقت - هذا إن لم نكن قد أضعناه بالفعل".

أخرج المدير المفتاح دون المزيد من الجدل، ودخلنا جميعًا الشقة.

في البداية اجتزنا بهوًا مربعًا صغيرًا، وكان هناك باب نصف مغلق على اليمين، فأشار إليه المدير قائلًا: "إنها غرفة الطعام".

تقدمنا الطبيب هوكر ونحن في أعقابه، وعندما فتحنا الباب شهقتُ، فقد كانت الطاولة المستديرة في منتصف الغرفة تحمل بقايا الطعام؛ وكانت هناك ثلاثة مقاعد مدفوعة قليلًا إلى الخلف، كما لو أن شاغليها قد نهضوا من فورهم. وفي ركن الحجرة، على يمين المدفأة، كانت هناك طاولة كبيرة للكتابة، يجلس إليها رجل - أو من كان ذات يوم رجلا. وكانت يده اليمنى ما زالت تقبض على الهاتف، لكنه كان يميل إلى الأمام، بعد أن أصيب بضربة قوية في مؤخرة رأسه. لم يكن سلاح الجريمة بعيدًا، فقد كان ثمة تمثال رخامي قد وضع على عجل في مكانه، وكانت قاعدته ملطخة بالدماء.

لم يستغرق فحص الطبيب للجسد دقيقة.

"ميت، أظن أنه لقي مصرعه على الفور. وأنا أتساءل كيف تمكن من استخدام الهاتف، من الأفضل ألا نحركه حتى تصل الشرطة".

وبناء على اقتراح المدير فتشنا الشقة، لكن النتيجة كانت معروفة من قبل، فلم يكن القاتلان ليختبئا فيها بينما كل ما كان عليهما فعله هو الخروج منها بكل بساطة.

عدنا إلى غرفة الطعام، لكن بوارو لم يصحبنا في جولتنا. لقد وجدته يفحص منتصف الطاولة باهتمام شديد، فانضممت إليه. وكانت طاولة مستديرة مصقولة من خشب الماهوجني، وكان هناك وعاء من الزهور يزين منتصفها، ومفرش من الدانتيل الأبيض يتدلى على سطحها اللامع. وكان هناك أيضًا طبق فاكهة، لكن أطباق الحلوى الثلاثة كانت كما هي لم تمس. كما كانت هناك

ثلاثة فناجين بها بقايا قهوة - اثنان منهما بهما قهوة دون حليب، وواحد به قهوة بالحليب. وكان الرجال الثلاثة قد تناولوا الشراب، وكانت قارورة الشراب نصف ممتلئة بجوار الطبق الرئيسي. ومن الواضح أن أحد الرجال دخن سيجارًا، أما الاثنان الآخران فقد دخنا لفافتين من التبغ. كما كان هناك صندوق مفتوح من الصدف والفضة يحوي السيجار ولفائف التبغ على المنضدة.

لقد أحصيت كل هذه الحقائق لنفسي، لكنني اضطررت إلى الاعتراف بأنها لم تسلط أي ضوء على الوضع. وتساءلت عما رآه بوارو فيها، وجعله يبدو حازمًا وشديد التركيز هكذا، فسألته عن هذا.

أجاب بوارو: "*يا صديقي*، أنت لم تفهم بالضبط ما أفعله، فأنا أبحث عن شيء لا أراه".

"وما هذا الشيء؟".

"خطأ - حتى لو كان خطأ صغيرًا - من جانب القاتل".

ثم خطا إلى المطبخ المتاخم لغرفة الطعام سريعًا، وفحصه وهز رأسه.

ثم قال للمدير: "سيدي، فسر لي أرجوك نظامكم لتقديم الوجبات هنا".

اتجه المدير إلى كوة صغيرة في الجدار.

ثم قال مفسرًا: "هذا مصعد الخدمة، إنه يصعد إلى المطابخ في أعلى المبنى. وعندما يطلب الشخص الطعام من خلال هذا الهاتف، ترسل إليه الأطباق في المصعد، نوع واحد من الطعام في كل مرة. ثم تُرد الأطباق المتسخة مرة أخرى بالطريقة ذاتها. وبهذا لا توجد أية وسيلة لإزعاج السكان من ناحيتنا - أنت تفهم ما أعنيه - وفي الوقت ذاته يتجنب السكان الاضطرار لتناول الطعام بصورة دائمة في المطاعم مع ما يصاحب ذلك من غياب الخصوصية".

أومأ بوارو برأسه متفهمًا، ثم قال: "إذن فالأطباق والأواني التي استخدمت الليلة موجودة في المطبخ أعلى المبنى. فهل تمانع إذا صعدت إلى هناك؟".

"أوه، تفضل بكل تأكيد! فسيصحبك روبرت عامل المصعد إلى الأعلى، وسيعرفك بمن هناك؛ لكنني أخشى أنك لن تجد أي شيء يفيدك. فهؤلاء يتعاملون مع مئات الأطباق والأواني، وستجدها كلها مكدسة بعضها فوق بعض".

مع ذلك، ظل بوارو مصممًا، وزرنا معًا المطابخ، واستجوبنا الرجل الذي أخذ الطلب من شقة رقم 11.

فقال الرجل مفسرًا: " قدمت الطلب من قائمة الطعام الاختيارية - لثلاثة أشخاص، حساء جوليان، فيليه دي سول نورمان، ولحم بقري، وسوفليه أرز. ويمكنني القول إن ذلك حدث في تمام الساعة الثامنة تقريبًا. لكنني أخشى أن كل الأطباق قد غسلت الآن، للأسف. وأظن أنكم تبحثون عن بصمات الأصابع، أليس كذلك؟".

قال بوارو وعلى شفتيه ابتسامة غامضة: "ليس تمامًا". "أنا مهتم أكثر بشهية الكونت فوسكاتيني. هل أكل من كل الأطباق؟".

"نعم؛ لكنني بالطبع لا يمكنني أن أخبرك بالمقدار الذي أكله من كل طبق. فالأطباق كانت ملطخة، والأواني كانت فارغة - ما عدا طبق سوفليه الأرز. فقد كانت هناك كمية متبقية منه".

قال بوارو: "آه!" وقد بدا مرتاحًا لتأكده من هذه الحقيقة.

عندما هبطنا إلى الشقة مجددًا قال بوارو بصوت منخفض: "نحن نتعامل بكل تأكيد مع رجل يتبع نظامه الخاص".

"هل تعني القاتل أم الكونت فوسكاتيني؟".

"أقصد الأخير، لقد كان دون شك رجلًا منظمًا. فبعد التماس المساعدة والإعلان عن اقتراب وفاته، قام بوضع سماعة الهاتف بعناية".

حدقت في وجه بوارو. إن الكلام الذي قاله الآن وتحرياته الأخيرة ألهمتني فكرة.

قلت له بحماس: "هل تشك في أنه تناول سمًّا؟ وأن إصابة الرأس كانت للتمويه".

فارتسم على شفتي بوارو ظل ابتسامة.

ثم عدنا إلى الشقة لنجد مفتش الشرطة قد وصل وبصحبته اثنان من الضباط. وبدا المفتش مستاء من ظهورنا، لكن بوارو خفف من توتره عندما أتى على ذكر صديقنا المفتش جاب من شرطة العاصمة، فأذن لنا المفتش بالبقاء على مضض. ومن حسن حظنا أننا تمكنا من البقاء، فلم يمضِ على عودتنا خمس دقائق حتى اندفع رجل متوسط العمر إلى داخل الشقة، وقد تجلى الحزن والاضطراب على قسمات وجهه.

كان ذلك جريفز، خادم الكونت الراحل فوسكاتيني، وكانت القصة التي رواها مثيرة.

ففي صباح اليوم السابق، جاء رجلان لزيارة سيده. وكانا إيطاليين، أكبرهما في الأربعين من عمره واسمه السيد أسكانيو، أما الأصغر عمرًا فكان شابًا مهندمًا أنيقا في الرابعة والعشرين من عمره تقريبًا.

ومن الواضح أن الكونت فوسكاتيني كان يتوقع زيارتهما، وعلى الفور كلف جريفز بمهمة تافهة في الخارج. وهنا توقف الرجل عن الكلام، وتردد في إكمال حكايته. غير أنه في النهاية اعترف بأن الفضول راوده لمعرفة الهدف من الزيارة، فلم يطع أوامر سيده على الفور، وتلكأ ساعيًا لسماع طرف مما كان يجري.

جرى الحوار بصوت منخفض للغاية، فلم ينجح في استراق السمع بوضوح كما تمنى؛ لكنه سمع ما يكفي ليعرف أن هناك عرضًا ماليًا معينًا تتم مناقشته، وأن الأمر كان ينطوي على تهديد. فلم تكن المناقشة ودية على الإطلاق. وفي النهاية، رفع الكونت فوسكاتيني صوته قليلًا، وسمع المتنصت الكلمات التالية بوضوح:

"ليس لديَّ وقت لمناقشة هذا الأمر باستفاضة أكثر حاليًا أيها السيدان. فإذا تناولتما العشاء معي مساء غد في الثامنة مساءً، فسيمكننا حينها استئناف المناقشة".

وهنا هرع جريفز إلى الخارج لإتمام المهمة التي كُلف بها خوفًا من أن يكتشف سيده أنه كان يستمع إلى الحديث طوال هذه الفترة. وهذا المساء وصل الرجلان في تمام الثامنة بالضبط. وأثناء العشاء تحدثوا في أمور شتى - السياسة، والطقس، وعالم المسرح. وعندما وضع جريفز زجاجة الشراب على الطاولة، وأحضر القهوة، أخبره سيده بأن بإمكانه أن يأخذ الليلة راحة.

فسأله المفتش: "هل كان هذا إجراء معتادًا من جانبه عندما يكون لديه ضيوف".

"لا يا سيدي؛ لم يكن هذا أمرًا معتادًا وهذا ما جعلني أظن أنه سيناقش مع هذين الرجلين عرض عمل، أو مسألة مالية استثنائية".

وبذلك أنهى جريفز قصته. فلقد رحل في الثامنة والنصف، وقابل صديقًا له رافقه إلى قاعة ميتروبوليتان للموسيقى في شارع إيدجوير.

ولم يرَ أحد الرجلين وهما يغادران المكان، لكن الجريمة وقعت في نحو الساعة 8,47. حيث كانت هناك ساعة صغيرة على

طاولة الكتابة أطاحت بها ذراع فوسكاتيني، فتعطلت عن العمل عند هذا الوقت تمامًا، وهو الوقت الذي يتفق مع المكالمة الهاتفية التي تلقتها الآنسة رايدر.

انتهى الطبيب الشرعي من فحص الجثة، التي صارت ممددة على الأريكة في ذلك الوقت. ورأيت وجه الكونت للمرة الأولى - بشرة زيتونية اللون، وأنفًا طويلًا، وشاربًا أسود منمقًا، وشفتين حمراوين ممتلئتين تكشفان عن أسنان ناصعة البياض. ولم يكن وجهًا مريحًا على الإطلاق.

قال المفتش وهو يغلق مفكرته: "حسنًا، القضية واضحة بما فيه الكفاية. فالمشكلة الوحيدة فيها ستكون إلقاء القبض على السيد أسكانيو، ومن المستبعد أن يكون عنوانه موجودًا في مفكرة جيب القتيل، أليس كذلك؟".

لكن الراحل فوسكاتيني كان منظمًا كما قال بوارو. فلقد وجدوا العنوان مكتوبًا بخط أنيق ودقيق "السيد أسكانيو، فندق جروزفينور".

انشغل المفتش في الحديث عبر الهاتف، ثم التفت إلينا وعلى شفتيه ابتسامة عريضة، وقال: "في الوقت المناسب تمامًا. لقد كان الرجل على وشك المغادرة للحاق بقطار سيوصله إلى أوروبا. حسنًا أيها السادة، لم يتبقَّ شيء لنفعله هنا. إنها قضية خلاف حاد ودموي في شئون العمل والمال، لكنها واضحة بما فيه الكفاية. ومن المرجح أن تكون واحدة من القضايا الانتقامية الإيطالية".

وبعدما لم يعد لبقائنا سبب وجيه، أخذنا طريقنا إلى أسفل المبنى.

كان الدكتور هوكر متحمسًا إلى أقصى حد.

قال: "الأمر يشبه الروايات، أليس كذلك؟ إنه أمر مثير حقًا. فلم أكن لأصدقه لو أنني قرأت عنه".

لم ينطق بوارو بكلمة، وكان غارقًا في التفكير. وبالكاد كانت الكلمات تخرج من بين شفتيه طوال الليل.

فسأله الدكتور هوكر وهو يربت ظهره: "ما الذي يشغلك أيها المحقق الفذ؟ لا يوجد أي شيء يمكن أن ينشغل به عقلك هذه المرة".

"هل تشك في هذا؟".

"ما الذي حدث برأيك؟".

"حسنًا، على سبيل المثال، هناك النافذة".

"النافذة؟ لكنها كانت مغلقة. وليس بوسع أحد أن يخرج أو يدخل منها. لقد لاحظتها على وجه التحديد".

"ولماذا كنت قادرًا على ملاحظتها؟".

بدت الحيرة على وجه الطبيب، فأسرع بوارو يفسر له الأمر.

"أنا أقصد بقولي هذا الستائر، فلم تكن مغلقة، وهذا أمر غريب. ثم هناك القهوة، لقد كانت سوداء للغاية".

"حسنًا، وماذا في هذا؟".

فكرر بوارو: "سوداء للغاية. وعلاوة على ذلك دعنا نتذكر أمر سوفليه الأرز الذي لم يؤكل منه سوى القليل، وعندما نفكر في كل هذا - ما الذي نفهمه منه؟".

ضحك الطبيب قائلًا: "هراء، أنت تمزح معي".

"لا، أنا لا أمزح أبدًا. هاستينجز يعرف أنني جاد تمامًا".

فقلت: "أنا لا أعرف ما الذي تقصده بالضبط. أتشك في الخادم؟ ربما كان من ضمن العصابة، ووضع مخدرًا في القهوة. أظن أنهم سيتحققون من حجة غيابه، أليس كذلك؟".

"دون شك يا صديقي؛ لكن حجة السيد أسكانيو هي ما تثير اهتمامي".

"هل تظن أن لديه حجة غياب؟".

"هذا ما يشغل بالي بالتحديد. فليس لديَّ أدنى شك أننا سنستبين هذه النقطة قريبًا".

وبفضل صحيفة *دايلي نيوزمونجر* تمكنًا من الإلمام بالأحداث اللاحقة.

ألقي القبض على السيد أسكانيو، واتُّهم بقتل الكونت فوسكاتيني. وعندما ألقي القبض عليه، أنكر معرفته الكونت، وقال إنه لم يكن بالقرب من ريجينت كورت في ليلة وقوع الجريمة أو الصباح الذي سبق وقوعها، كما أن الرجل الأصغر سنًا اختفى تمامًا. لقد وصل السيد أسكانيو من أوروبا إلى فندق جروزفينور بمفرده قبل يومين من وقوع الجريمة، وباءت كل محاولات تقفي أثر الرجل الثاني بالفشل.

ومع ذلك، لم يُرسل أسكانيو إلى المحاكمة. فقد حضر السفير الإيطالي بنفسه، وشهد أمام محكمة الصلح بأن أسكانيو كان معه في السفارة من الساعة الثامنة إلى التاسعة في تلك الليلة، وبذلك أسقطت التهمة عنه. وبطبيعة الحال، ظن الكثير من الأشخاص أن الجريمة وراءها دافع سياسي، وتم التكتم على الأمر عمدًا.

اهتم بوارو بشدة بكل هذه الجوانب. ومع ذلك، اندهشت نوعًا ما عندما أخبرني فجأة ذات صباح بأنه ينتظر ضيفًا في الساعة الحادية عشرة، وأن هذا الضيف لم يكن سوى السيد أسكانيو نفسه.

"هل يرغب في استشارتك؟".

"على الإطلاق يا هاستينجز، بل أنا من يرغب في استشارته".

"بشأن ماذا؟".

"بشأن جريمة ريجينت كورت".

"ستثبتُ أنه هو من ارتكبها، أليس كذلك؟".

"لا يمكن أن يحاكم الشخص مرتين على الجريمة ذاتها يا هاستينجز. فحاول أن تفكر بمنطق سليم. أوه، ها هو ذا صديقنا يدق الجرس".

وبعد بضع دقائق أخرى دخل السيد أسكانيو - وقد بدا رجلًا نحيفًا ضئيل البنية، تشع عيناه بالغموض والمكر. وظل الرجل واقفًا، يوزع نظراته المتشككة بيننا.

ثم تساءل: "السيد بوارو؟".

نقر صديقي برفق على صدره، وهو يقول: "تفضل بالجلوس أيها السيد. لقد تلقيت رسالتي، وأنا مصمم على حل هذا اللغز. وأنت بإمكانك تقديم يد العون لي بمقدار بسيط. لقد زرت - بصحبة صديق - الكونت الراحل فوسكاتيني صباح يوم الثلاثاء الموافق التاسع من...".

فبدرت من الرجل الإيطالي حركة تنم عن غضبه.

"لم أفعل أي شيء من هذا القبيل. لقد أقسمت في المحكمة...".

"هذا ما أود التحدث بشأنه على وجه التحديد، فهناك إحساس يراودني بأنك أقسمت زورًا".

"هل تهددني؟ يا إلهي! ليس لديَّ ما يجعلني أخشاك. لقد برَّأوني".

"بالضبط؛ أنا لست معتوهًا، ومن ثم أنا لا أهددك بحبل المشنقة، بل بالفضيحة! أرى أن الكلمة لا تروق لك. وأنا أعلم أنها لن تروق لك. لكن أفكاري الصغيرة - ولعلك تعلم هذا - ثمينة للغاية بالنسبة لي. فهلم يا سيدي، إنها فرصتك الوحيدة لتكون صريحًا معي. أنا لا أطلب معرفة الحماقات التي جلبتك إلى إنجلترا، لكنني أعلم جيدًا أنك أتيت لغرض خاص وهو رؤية الكونت فوسكاتيني".

غمغم الإيطالي قائلًا: "إنه لم يكن كونتًا".

"لقد لاحظت هذا، فاسمه لم يدرج في دليل *المانش دي جوثا* للملوك والنبلاء وأصحاب الألقاب الرسمية. فلا عليك، إن لقب الكونت غالبًا ما يكون مفيدًا في مهنة الابتزاز".

"أظن أنني سأتحلى بالصراحة معك بدوري. يبدو أنك تعلم الكثير".

"لقد استغللت خلايا مخي الرمادية في بعض التفكير المفيد. فهلم أيها السيد أسكانيو، لقد زرت المتوفى صباح الثلاثاء – هذا صحيح، أليس كذلك؟".

"بلى؛ لكنني لم أزره في المساء اللاحق، ولم يكن هناك داعٍ لهذه الزيارة. وسأخبرك بالأمر كله. إن هناك بعض المعلومات المحددة تخص شخصية مرموقة للغاية في إيطاليا وقعت بحوزة ذلك المحتال. وقد طلب مبلغًا ماليًا كبيرًا جدًا مقابل الأوراق التي بحوزته، وجئت أنا إلى إنجلترا لتسوية الأمر، فاتصلت به، وحددت معه موعدًا ذلك الصباح. ولقد اصطحبت معي سكرتيرًا شابًا من السفارة. كان الكونت أكثر عقلانية وحنكة مما تمنيت، على الرغم من أن المبلغ المالي الذي دفعته له في النهاية كان ضخمًا".

"معذرة، كيف تم الدفع؟".

"عملات إيطالية من فئة صغيرة نسبيًا. لقد دفعت له المال في ذلك الصباح، وسلمني هو أوراق الإدانة، ولم أره مطلقًا مرة أخرى".

"لماذا لم تقل هذا عندما قبض عليك؟".

"بالنسبة إلى شخص في منصبي الحساس، كنت مرغمًا على إنكار أية علاقة لي بهذا الرجل".

"وكيف تفسر الأحداث التي وقعت فيما بعد في هذا المساء؟".

"لا يسعني سوى التفكير في أن هناك من انتحل شخصيتي. لقد عرفت أنه لم يُعثر على أي مال في الشقة".

نظر إليه بوارو وهز رأسه.

فتمتم: "غريب. نحن جميعًا نمتلك تلك الخلايا الرمادية الصغيرة في مخاخنا. لكن القليل منًا هم من يعرفون كيف يستخدمونها. صباحك سعيد يا سيد أسكانيو، وأنا أصدق قصتك. لقد كان الأمر إلى حد كبير كما تخيلته، وكان يجب أن أتأكد من أنه كذلك".

بعد أن أوصل بوارو ضيفه إلى الخارج، عاد إلى مقعده، وابتسم في وجهي.

"دعنا نسمع رأيك عن القضية يا سيد هاستينجز".

"حسنًا، أفترض أن أسكانيو محق - فهناك من انتحل شخصيته".

"أبدًا ، أنت لا تستخدم ذلك العقل الذي حباك الله به. تذكر بعض الكلمات التي رددتها أنا قبل أن نغادر الشقة تلك الليلة. فقد أشرت إلى ستائر النافذة التي لم تغلق. ونحن في شهر يونيو، والسماء تظل مضيئة بنور النهار حتى الثامنة مساءً، ثم يخبو الضوء نحو الثامنة والنصف. *فهل هذا يذكرك بشيء؟* يراودني شعور ملح بأنك ستصل إلى الحقيقة يومًا ما. والآن لنكمل. لقد كانت القهوة كما قلت سوداء للغاية. ومع ذلك كانت أسنان الكونت فوسكاتيني ناصعة البياض. إن القهوة تترك بقعًا على الأسنان، ومن ثم نفهم من ذلك أن الكونت فوسكاتيني لم يحتس أية قهوة. ومع ذلك كانت هناك ثلاثة فناجين من القهوة. ولم يتظاهر شخص ما بأن الكونت فوسكاتيني احتسى القهوة، بينما هو لم يفعل؟".

هززت رأسي في حيرة شديدة.

"هيا، سأساعدك. ما الدليل الذي نملكه على أن أسكانيو وصديقه - أو أي رجلين مثلهما - حضرا إلى الشقة هذه الليلة؟ فلم يرهما أحد وهما يدخلان؛ كما لم يرهما أحد وهما يغادران.

ولدينا دليل على وجود رجل واحد ومجموعة من الأغراض الجامدة".

"هل تعني؟".

"أعني السكاكين والشوك والأواني والأطباق الفارغة. آه، لكنها كانت فكرة ذكية! جريفز لص ونصاب، لكن يا له من رجل ذكي! لقد سمع جزءًا من الحوار الذي دار في الصباح، وكان ما سمعه كافيًا لكي يعرف أن أسكانيو في موقف حرج يمنعه من الدفاع عن نفسه. وفي الليلة التالية، في تمام الثامنة، أخبر سيده بأن هناك شخصًا يطلبه على الهاتف. فجلس فوسكاتيني، ومد يده والتقط سماعة الهاتف، ومن الخلف ضربه جريفز بالتمثال الرخامي. ثم توجه سريعًا إلى هاتف الخدمة -وطلب عشاء لثلاثة أشخاص! وجاء العشاء، فأعد المائدة، ولطخ الأطباق والسكاكين والشوك... إلخ. إنه ليس فقط رجلًا محنكًا؛ وإنما أيضًا لديه معدة فسيحة! لكن بعد تناول ثلاث قطع من اللحم، كان سوفليه الأرز أكثر مما تستوعبه معدته! بل إنه دخن سيجارًا ولفافتي تبغ حتى يحبك الخدعة. أجل، كانت الخدعة محكمة للغاية! ثم، حرك عقارب الساعة إلى 8:47، وبعد ذلك حطمها وأوقفها. والشيء الوحيد الذي لم يفعله هو إسدال الستائر. فإذا كان هناك حفل عشاء حقيقي لكانت الستائر قد أسدلت بمجرد غياب الضوء. ثم أسرع وأخبر عامل المصعد بالضيوف بشكل عابر. وبعد ذلك هرع إلى كابينة هاتف في الخارج في نحو الساعة 8:47 واتصل بالطبيب مقلدًا صوت سيده وهو يصرخ محتضرًا. لقد كانت فكرته ناجحة للغاية، فلم يكن هناك من سيتحقق مما إذا كانت المكالمة صادرة حقًا من شقة رقم 11 في ذلك الوقت أم من مكان آخر".

فقلت بسخرية: "ما عدا هيركيول بوارو على ما أظن؟".

فقال صديقي بابتسامة: "ولا هيركيول بوارو كذلك. وسأتحقق من استنتاجي الآن. لكن كان عليَّ أن أثبت لك وجهة نظري أولًا.

وكما سترى في النهاية فإنني سأكون محقًا كالعادة؛ ثم سيتمكن المفتش جاب - الذي ألمحت له بحقيقة الأمر بالفعل – من إلقاء القبض على جريفز الذي أتساءل حقًا ما مقدار المال الذي استطاع أن ينفقه حتى اللحظة".

كان بوارو محقًا. إنه محق دائمًا، وهو الأمر الذي يربكني ويحيرني باستمرار!

جين تبحث عن عمل

تصفحت جين كليفلاند صفحات جريدة *دايلي ليدر*، وتنهدت تنهيدة عميقة. ثم نظرت بنفور إلى الطاولة ذات السطح الرخامي، وتلك البيضة المسلوقة، وشرائح الخبز الموضوعة عليها، ووعاء الشاي الصغير. لم تنظر إلى الطعام بنفور لأنها ليست جائعة، بل إن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. فلقد كانت جين تتضور جوعًا، وتشعر بأنها قادرة في هذه اللحظة على التهام كيلو من شرائح اللحم المطهوة جيدًا، مع شرائح البطاطس وربما معهما بعض الفاصوليا الخضراء، ثم تتبع كل ذلك بتناول شراب أكثر تميزًا من الشاي.

لكن الشابات اللاتي يعانين ماديًا لا يمكنهن الاختيار. وفي الواقع، كانت جين محظوظة لأنها قادرة على طلب البيض المسلوق ووعاء الشاي، ومن المرجح أنها لن تتمكن من طلبهما غدًا. ما لم...

وعادت مرة أخرى إلى مطالعة أعمدة الإعلانات في جريدة *دايلي ليدر*. كانت جين عاطلة عن العمل، والوضع يتدهور. كما بدأت السيدة اللطيفة التي تدير المنزل المتهالك الذي تسكنه جين تنظر بارتياب إليها هي خاصة.

قالت جين محدثة نفسها، وهي ترفع ذقنها لأعلى في سخط، الأمر الذي صار عادة لديها: "ومع ذلك فأنا ذكية وحسنة المظهر ومثقفة. فما الذي يريده أي صاحب عمل أكثر من هذا؟".

ووفقًا لجريدة *دايلي ليدر*، بدا في الإعلانات أنهم يريدون كتبة مدربين على الكتابة الاختزالية، ومن أصحاب الخبرة الواسعة، أو مديرين لشركات تجارية ذات رأس مال استثماري صغير، أو سيدات يتشاركن الأرباح في مزرعة دواجن (هنا أيضًا مطلوب القليل من رأس المال)، أو عدد لا حصر له من الطهاة والخادمات ومدبرات المنازل - خاصة مدبرات المنازل.

قالت جين لنفسها: "لا أمانع أن أكون مدبرة منزل. لكن مجددًا، لن يقبلني أحد دون خبرة. يمكنني أن أذهب إلى أي مكان كشابة مستعدة لعمل ما يُطلب منها أيًا يكن - لكنهم لا يدفعون للشابات من هذا النوع شيئًا يذكر".

تنهدت ثانية، ثم وضعت الصحيفة أمامها، والتهمت البيض المسلوق بشهية شابة ممتلئة بالحيوية.

وعندما انتهت من آخر قضمة، قرأت بريد شكاوى القراء وطلباتهم، وهي تحتسي الشاي. كان هذا الجزء من الصحيفة هو آخر ما تبقى لها من أمل.

لو كانت تمتلك بضعة آلاف من الجنيهات، لصار الأمر أكثر يسرًا، ولكان هناك ما لا يقل عن سبع فرص مميزة للكسب - كلها تدر ما لا يقل عن ثلاثة آلاف جنيه في السنة. مطت جين شفتيها قليلًا، وتمتمت قائلة: "لو كان لديَّ ألفا جنيه، فلن يكون من السهل إثنائي عن انتهاز هذه الفرص".

استعرضت بعينيها سريعًا هذه الزاوية حتى نهايتها، ثم عادت إلى بدايتها بسلاسة لاعتيادها فعل ذلك منذ فترة طويلة.

كانت هناك سيدة تعرض ملابس قديمة للبيع بأسعار رائعة. مع إيراد ملاحظة أن: "ملابس السيدات المستعملة تُفحص

وتباع في منازلهن". كما كان هناك رجال يشترون أي شيء - خاصة الأسنان. وكانت هناك سيدات من ذوات الألقاب اللاتي يسافرن إلى الخارج يعرضن معاطف الفراء الخاصة بهن للبيع بأرقام غير معقولة، كما كان هناك رجل الدين المكروب، والأرملة التي تعمل بجد، والضابط المعاق، وكلهم يحتاجون إلى مبالغ تتراوح بين خمسين جنيهًا وألفي جنيه. وبغتة استرعى انتباه جين إعلان معين، فوضعت فنجان الشاي على المنضدة، وقرأت أحد الإعلانات بتمعن مرة أخرى.

ثم تمتمت قائلة: "هناك خدعة في هذا الأمر بالتأكيد. فدائمًا ما تكون هناك خدعة في الإعلانات من هذا النوع. بل يجب أن أتحلى بالحذر، لكنه يظل إعلانًا...".

كان نص الإعلان الذي أشعل حماس جين كليفلاند كالتالي:

إذا كانت هناك سيدة في الخامسة والعشرين إلى الثلاثين من عمرها، ذات عينين زرقاوين داكنتين، وشعر أشقر للغاية، وحاجباها ورموشها سود، ولها أنف مستقيم، ونحيلة الجسد، وطولها نحو 170 سم، وتجيد تقليد الآخرين، وقادرة على التحدث باللغة الفرنسية، وتوجهت إلى 7 شارع إنديرسلاي ما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء، فإنها ستسمع خبرًا سيسرها وفي صالحها.

غمغمت جين قائلة: "هذا الإعلان ساذج للغاية، وينبغي ألا تصدقه الفتيات. بل ينبغي أن أتوخى الحذر. لكن هناك الكثير من المواصفات المطلوبة حقًا في هذا الإعلان متوافرة لديَّ. وأنا أتساءل الآن عن مدى مصداقيته... سأعد قائمة".

ثم شرعت في العمل.

"السن من خمسة وعشرين إلى الثلاثين - وأنا في السادسة والعشرين من عمري، والعينان زرقاوان داكنتان، وهذا هو لون

عيناي. والشعر أشقر للغاية - والحاجبان والرموش سود - كل هذا جيد. ماذا عن الأنف المستقيم؟ نعم أنفي مستقيم بشكل كاف على أي حال. إنه ليس معقوفًا أو مرفوعًا لأعلى، كما أنني نحيفة الجسد - نحيفة حتى بمعايير عصرنا الحالي. وطولي 167 سم فقط - لكن يمكنني ارتداء حذاء ذي كعب عالٍ. كما أنني أجيد التقليد - لا أقوم بعمل رائع في هذا الصدد، لكن يمكنني تقليد أصوات الأشخاص، كما أنني أتحدث الفرنسية بطلاقة. وفي الواقع أنا الشخص المطلوب، وينبغي أن يسعدوا للغاية عندما يرون ملامحي، ويعرفون قدراتي. جين كليفلاند انطلقي وحققي الفوز".

قصت جين الإعلان بحماس، ووضعته في حقيبة يدها. ثم طلبت فاتورتها ونبرة متوثبة تطل من صوتها.

وفي الساعة الخامسة إلا عشر دقائق كانت جين تستكشف المكان في شارع إنديرسلاي الذي كان عبارة عن شارع صغير بين شارعين أكبر في حي أكسفورد سيركس، وهو شارع يتسم إيقاع الحركة فيه بالرتابة، لكنه راقٍ في النهاية.

لم يبدُ على البيت رقم 7 من بعيد أي اختلاف عن باقي منازل الحي التي كانت مصممة كما لو أنها مقار شركات. لكن عندما نظرت جين إلى المنزل من قرب، أدركت أنها ليست الفتاة الوحيدة التي يتراوح عمرها بين الخامسة والعشرين والثلاثين، وتمتلك عينين زرقاوين داكنتين، أو شعرًا أشقر، أو أنفًا مستقيمًا، أو جسدًا نحيلًا. ومن الواضح أن لندن مليئة بفتيات تحمل هذه المواصفات، فنحو أربعين أو خمسين فتاة منهن على الأقل قد تجمعن أمام منزل رقم 7 في شارع إنديرسلاي.

قالت جين: "هناك منافِسات، يجب أن أقف في الصف سريعًا".

وبمجرد أن وقفت جين في الصف، ظهرت ثلاث فتيات أخريات على ناصية الشارع، ثم تبعتهن أخريات. ولتمضية الوقت أجرت جين تقييمًا لجاراتها الحاليات، وفي كل واحدة من بينهن تمكنت من العثور على شيء خطأ - رموش شقراء بدلًا من أن تكون سوداء، أعين يغلب عليها اللون الرمادي أكثر من الأزرق، وشعر أشقر مصبوغ وليس طبيعيًا، فضلا عن مجموعة مثيرة من الأنوف، والأجساد لا يمكن أن توصف على الإطلاق بالنحيفة. وقد تسبب كل هذا في ارتفاع معنويات جين.

غمغمت لنفسها: "أظن أنني أمتلك فرصة جيدة مثل أي فتاة أخرى. أنا أتساءل ماذا عساه أن يكون كل هذا؟ أتمنى أن تكون مجرد محاولة لتجميع جوقة من الفتيات الجميلات".

كان الطابور يتحرك ببطء وثبات للأمام، وبدأ يظهر صف ثانٍ من الفتيات الخارجات من المنزل. وكان بعضهن يرفعن رءوسهن في لامبالاة، وأخريات يرسمن على شفاههن ابتسامات مصطنعة.

فقالت جين ببهجة: "لقد قوبلن بالرفض، وأتمنى ألا يسأموا قبل أن أدخل أنا".

استمر طابور الفتيات في التقدم. وكانت هناك بعض النظرات التي تنم عن القلق في المرايا الصغيرة اللاتي يحملنها، كما كن يضعن الكثير من المسحوق على أنوفهن، بينما كان أحمر الشفاه يوضع بلا حساب.

فقالت جين لنفسها بحزن: "كم كنت أتمنى لو أن لديَّ قبعة أكثر أناقة".

أخيرًا حان دورها، فبعد باب مدخل المنزل، كان هناك باب زجاجي في أحد الجوانب منقوش عليه شعار شركة كثبيرتسونز

العريقة. وكانت المتقدمات يعبرن الباب الزجاجي واحدة تلو أخرى. وعندما حان دور جين أخذت نفسًا عميقًا ودخلت.

كان هناك مكتب في الداخل، ومن الواضح أنه مخصص للموظفين، وفي طرف الغرفة كان هناك باب زجاجي آخر. ووجِّهت جين لتمر عبر هذا الباب، ففعلت هذا، ووجدت نفسها في حجرة أصغر، لكنها كانت تضم مكتبًا كبيرًا، وخلف المكتب جلس رجل في منتصف العمر ذو عينين ثاقبتين، له شارب كثيف، ومظهر أجنبي. فحص هذا الرجل جين بعينيه، ثم أشار إلى باب على اليسار.

وقال لها بحزم: "انتظري في الداخل من فضلك".

فأطاعته جين، وكان المكان الذي دخلته مزدحمًا بالفعل، حيث وجدت خمس فتيات جالسات، بشكل منتصب، وترمق كل منهن الأخريات بنظرات غاضبة. واتضح لجين أنها قد دخلت مع شبيهاتها من المترشحات الأخريات، فارتفعت روحها المعنوية. ومع ذلك، كانت مرغمة على الاعتراف بأن الفتيات الخمس الأخريات تنطبق عليهن شروط الإعلان مثلها.

مر الوقت، وكانت هناك صفوف من فتيات يعبرن إلى المكتب الداخلي، ومعظمهن صُرفن عبر باب آخر يقود إلى الرواق الخارجي، لكن بين كل حين وآخر كانت تصل مرشحة جديدة لتزيد من عدد الجمع الموجود. وفي نحو الساعة السادسة والنصف صارت هناك أربع عشرة فتاة مجتمعات في المكان ذاته.

سمعت جين صوت همهمة من المكتب الداخلي، ثم ظهر الرجل أجنبي المظهر - الذي أطلقت عليه جين لقب "الكولونيل" بسبب شاربه الذي يتميز به العسكريون - عند مدخل الباب.

وقال الرجل: "سألتقيكن أيتها السيدات واحدة تلو أخرى، إذا سمحتن، ومن فضلكن ادخلن حسب ترتيب الوصول".

كانت جين بالطبع السادسة في هذه القائمة، ومرت عشرون دقيقة قبل أن تُستدعى للدخول. وكان "الكولونيل" يقف عاقدًا ذراعيه خلف ظهره. وبسرعة أخضعها لاختبار شفوي سريع ليمتحن معرفتها باللغة الفرنسية، وقاس طولها.

قال باللغة الفرنسية: "من الممكن أن تُقبلي يا آنسة. أنا لا أعرف على وجه اليقين، لكن قبولك ممكن".

فقالت جين بلا مواربة: "ما الوظيفة، إذا سمحت لي بالسؤال؟".

فهز كتفيه، ثم قال: "لا يمكنني أن أخبرك بهذا الآن. فإذا وقع عليك الاختيار - فحينها ستعرفين".

اعترضت جين قائلة: "الأمر يبدو غامضًا للغاية. ولا يمكنني أن أقبل أية وظيفة دون أن أعرف كل شيء عنها. فهل هي مرتبطة بالمسرح، لو سمحت لي بالسؤال؟".

"المسرح؟ بالطبع لا".

قالت جين بخيبة أمل: "أوه!".

بينما كان هو يتفحصها بشدة.

"أنت تتسمين بالذكاء، أليس كذلك؟ وحسن التقدير؟".

فقالت جين بهدوء: "لديَّ الكثير من الذكاء وحسن التقدير فيما أظن. فماذا عن الراتب؟".

"سيصل الراتب إلى ألفي جنيه - مقابل عمل أسبوعين".

فقالت جين بصوت خافت: "أوه!".

لقد فوجئت أيضًا بسخاء المبلغ الذي ستحصل عليه مرة واحدة.

استأنف الكولونيل حديثه: "هناك شابة أخرى وقع عليها اختياري بالفعل، فأنت وهي مناسبتان بالقدر نفسه. ربما تكون هناك أخريات لم أرهن بعد؛ لذا سأعطيك تعليمات بخصوص

الإجراءات المستقبلية التي ستتبعينها. فهل تعرفين فندق هاريدج؟".

شهقت جين. فمن في لندن لا يعرف فندق هاريدج؟ إنه دار الضيافة الشهيرة التي تقع في شارع متفرع من حي مايفير الراقي، حيث تصل الشخصيات البارزة والملكية إلى هناك ثم تغادر كأمر طبيعي طوال الوقت. وفي صباح ذلك اليوم بالتحديد كانت جين قد قرأت عن وصول الدوقة العظيمة بولين من أوستروفا. لقد جاءت لافتتاح سوق خيرية كبرى كبير لمساعدة اللاجئين الروس، وكانت تقيم في هاريدج بالطبع.

فأجابت جين عن سؤال الكولونيل: "نعم أعرفه".

"رائع للغاية. اذهبي إلى هناك. واسألي على الكونت ستريبتيتش، وأرسلي إليه بطاقتك - فهل لديك بطاقة؟".

أخرجت جين واحدة، فأخذها منها الكولونيل، وكتب على طرفها حرف "ب" صغيرًا، ثم أعادها إليها مرة أخرى.

"هذا يضمن أن الكونت سيقابلك. وسيفهم أنك من طرفي. إن القرار النهائي في يده - ويد شخص آخر. فإذا رأى أنك مناسبة، فسيشرح لك الأمر، ويمكنك أن تقبلي عرضه أو ترفضيه. فهل يرضيك هذا؟".

قالت جين: "تمامًا".

ثم قالت محدثة نفسها وهي تسير في الشارع: "هذا مُرضٍ إلى حد ما؛ إذ لا يمكنني أن أرى أين الخدعة في الأمر. ومع ذلك، لابد أن هناك خدعة ما. ولا يمكن لأحد أن يعطي هذه النقود دون أن يكون هناك شيء. ولا بد من وجود جريمة أو أمر غير عادي! إن هناك شيئًا ما مجهولًا".

ارتفعت معنويات جين. فمن حيث المبدأ، هي لا تعترض على الجريمة ذاتها، فالصحف مليئة في الآونة الأخيرة بمآثر الكثير من عصابات الفتيات المتنوعة. وقد فكرت جين جديًا في

أن تنضم لإحدى هذه العصابات إذا باءت كل محاولاتها الأخرى للعمل بالفشل.

دخلت جين من بوابات هاريدج المميزة بشيء من الوجل. وتمنت أكثر من أي وقت آخر لو كانت تمتلك قبعة جديدة.

لكنها توجهت إلى مكتب الاستقبال بشجاعة، وأخرجت بطاقتها، وسألت عن الكونت ستريبتيتش دون أية لمحة تردد من جانبها. خيل لها أن موظف الاستقبال كان ينظر إليها بفضول، ومع ذلك أخذ منها البطاقة، ثم ناولها لخادم صغير السن، وأعطاه بعض التوجيهات بصوت منخفض لم تتمكن جين من سماعه. ثم عاد الخادم وطلب من جين أن ترافقه. فصعدت برفقته في المصعد، وخرجا منه إلى ممر طويل ينتهي بباب مزدوج كبير، قرعه الخادم.

مضت لحظة قبل أن تجد جين نفسها داخل غرفة كبيرة، وتقف أمام رجل نحيل طويل القامة له لحية شقراء، ويحمل بطاقتها بشكل متراخٍ بيده البيضاء.

قرأ البطاقة ببطء: "الآنسة جين كليفلاند. أنا الكونت ستريبتيتش". ثم انفرجت شفتاه فجأة فيما يشبه الابتسامة، كاشفًا عن صفين من الأسنان البيضاء المتساوية. لكن لم تبدُ على هيئته أية بادرة من بوادر الاحتفاء.

استطرد الكونت في حديثه قائلًا: "أفهم أنك تقدمتِ استجابة لإعلاننا. وبناء على ذلك أرسلك الكولونيل كرانين إلى هنا".

فقالت جين في نفسها: "إنه كولونيل *بالفعل*". لقد كانت تشعر بالسرور بسبب بعد نظرها، لكنها بالكاد أومأت برأسها.

"هل تأذنين لي بأن أطرح عليك بعض الأسئلة؟".

لم ينتظر حتى يتلقى منها إجابة، ومضى ليضع جين تحت اختبار مماثل لذلك الذي أجراه لها الكولونيل كرانين. وبدت

إجابتها مُرضية له، فأومأ برأسه مستحسنًا ما تقوله مرة أو مرتين.

"سأطلب منك الآن يا آنسة أن تسيري حتى الباب ذهابًا وإيابًا ببطء".

قالت جين في نفسها وهي تنفذ الأوامر: "ربما يريدون أن أكون عارضة أزياء، لكنهم لن يدفعوا راتب ألفي جنيه من أجل عارضة أزياء. ومع هذا، أظن أنه من المستحسن ألا أطرح أي سؤال الآن".

كان الكونت ستريبتيتش مقطبًا حاجبيه، كما كان ينقر بأصابعه البيضاء على الطاولة. ثم نهض فجأة، وفتح باب الغرفة المجاورة، وتحدث إلى شخص كان داخلها.

عاد الكونت إلى مقعده، ثم دخلت الغرفة سيدة قصيرة في منتصف العمر، وأغلقت الباب خلفها. وكانت سمينة وقبيحة للغاية، لكن مع ذلك كان يبدو عليها أنها شخص ذو أهمية كبيرة.

قال الكونت: "حسنًا، آنا ميكايلوفنا، ما رأيك بها؟".

فحصت السيدة جين من أسفل لأعلى، كما لو أنها تمثال شمعي في معرض، ولم تلقِ حتى أية تحية عليها.

فردت السيدة: "ربما تكون هي المنشودة. إن التشابه الفعلي بالمعنى الحرفي للكلمة ليس كبيرًا. لكن القوام والبشرة رائعان للغاية، أفضل من الأخريات. فما رأيك فيها يا فيودور ألكسندروفيتش؟".

"أنا أتفق في الرأي معك آنا ميكايلوفنا".

"هل تتحدث الفرنسية؟".

"لغتها الفرنسية ممتازة".

زاد شعور جين أكثر وأكثر بأنها مجرد دمية. فلا يبدو على أي من هذين الشخصين أنهما يتذكران أنها إنسانة.

سألت السيدة وهي عابسة بشدة في وجه الفتاة: "هل ستكون كتومة؟".

قال الكونت محدثًا جين بالفرنسية: "هذه هي الأميرة بوبورينسكي. إنها تتساءل ما إذا كان باستطاعتك التحلي بالكتمان؟".

فقالت جين مخاطبة الأميرة: "ما لم يشرح لي أحد الموقف، فلا يمكنني أن أقطع أية وعود".

فقالت السيدة: "إن ما قالته هذه الفتاة من فورها يجعلني أفترض أنها ذكية، يا فيودور ألكسندروفيتش - أذكى من الأخريات. فأخبريني أيتها الشابة: هل أنت شجاعة أيضًا؟".

قالت جين بحيرة: "لا أعرف، بالطبع أنا لا أحب أن أصاب بأذى، لكن يمكنني تحمله".

"آه! ليس هذا ما أقصده. بل أقصد أنك لا تخشين المخاطر، أليس كذلك؟".

قالت جين: "أوه! مخاطر! لا بأس بهذا، فأنا أحب المخاطر".

"وأنت فقيرة؟ ترغبين في كسب الكثير من المال؟".

قالت جين بشيء من الحماس: "جربيني".

تبادل الكونت ستريبيتش والأميرة بوبورينسكي النظرات، ثم أومأ برأسيهما في اللحظة ذاتها.

ثم سأل الأول: "هل لي أن أفسر لها الأمر آنا ميكايلوفنا؟".

فهزت الأميرة رأسها نفيًا.

"سموها ترغب في أن تؤدي هذه المهمة بنفسها".

"إنه أمر غير ضروري - وغير حكيم".

"ومع ذلك، هذه هي أوامرها. لقد كنت سأحضر الفتاة إليها بمجرد أن تنهي أنت دورك معها".

هز ستريبيتش كتفيه، ومن الواضح أنه لم يكن يشعر بالرضا عن هذا الأمر. ومن الواضح أيضًا أنه لم تكن لديه أية نية لمخالفته. فالتفت إلى جين قائلًا:

"الأميرة بوبورينسكي ستعرفك على سمو الدوقة الكبرى بولين. فلا تجزعي".

لم تكن جين تشعر بالجزع إطلاقًا، بل كانت مسرورة من فكرة أنها ستقابل دوقة على أرض الواقع. وعلى أية حال، لم تكن جين تؤمن بالفكر الجديد في روسيا وما يحمله من عداء للملكية ورموزها. وللحظة نسيت قلقها بشأن قبعتها.

تقدمتها الأميرة بوبورينسكي، وكانت تتهادى في مشيتها بقدر من الوقار على الرغم من تعارضه مع ابتذال ملامحها. وعبرت المرأتان من الغرفة المتاخمة، التي كانت تشبه غرفة الانتظار، ثم قرعت الأميرة بابًا في أقصى الحجرة. ومن الداخل أجاب صوت، ففتحت الأميرة الباب ودخلت وكانت جين في أعقابها.

قالت الأميرة بصوت رصين: "اسمحي لي بأن أقدم لكِ يا سيدتي الآنسة جين كليفلاند".

فقفزت المرأة الشابة التي كانت تجلس على مقعد كبير في الطرف الآخر من الحجرة من مقعدها وركضت تجاههما. وظلت عيناها معلقتين بجين دقيقة أو دقيقتين، ثم ضحكت بسعادة.

قالت الدوقة: "هذا رائع يا آنا. لم أتخيل قط أننا سننجح بهذه الطريقة. فهيا، دعينا ننظر إلى أنفسنا ونحن نقف جنبًا إلى جنب".

أمسكت الدوقة ذراع جين، وسحبتها عبر الغرفة، وتوقفت بها أمام مرآة زينة كبيرة وممتدة بطول الجدار.

ثم صاحت بسعادة: "هل ترين؟ إنه تطابق مثالي!".

بالطبع، بدأت جين تفهم الأمر منذ أن وقعت عيناها لأول مرة على الدوقة بولين. كانت الدوقة أكبر من جين ربما بعام أو اثنين. وكان لها لون الشعر الأشقر نفسه، والقوام النحيل ذاته، وربما كانت أطول من جين بعض الشيء. والآن بعد أن وقفتا جنبًا إلى جنب، بدا الشبه بينهما واضحًا للغاية.

صفقت الدوقة الكبرى بيديها، وكان يبدو عليها أنها شابة مرحة للغاية.

قالت الدوقة: "لا يمكن أن يكون هناك ما هو أفضل من هذا. بل يجب أن تهنئي فيودور ألكسندروفيتش نيابة عني آنا. فقد أحسن صنعًا".

تمتمت الأميرة قائلة بصوت منخفض: "ومع ذلك يا سيدتي، هذه الشابة لا تعرف بعد ما هو المطلوب منها".

فقالت الدوقة الكبرى، وقد أصبحت أهدأ نوعًا ما: "هذا صحيح، فقد نسيت. حسنًا، سأخبرها بالأمر. لذا دعينا بمفردنا. يا آنا ميكايلوفنا".

"لكن يا سيدتي...".

"قلت دعينا بمفردنا".

قالت عبارتها وهي تضرب الأرض بقدميها بغضب، وبتلكؤ شديد، غادرت آنا ميكايلوفنا الحجرة. وجلست الدوقة الكبرى، وطلبت من جين أن تجلس أيضًا.

قالت بولين: "مزعجات هن هؤلاء النساء الكبيرات في السن. لكن وجودهن أمر لابد منه. إن آنا ميكايلوفنا أفضل من كثيرات في كل الأحوال. والآن يا آنسة...، آه، نعم آنسة جين كليفلاند. أعجبني اسمك. كما أعجبتني أنت أيضًا. فأنت حساسة، إذ يمكنني التعرف على الأشخاص الحساسين من النظرة الأولى".

قالت جين التي تحدثت لأول مرة: "هذا ذكاء منك يا سيدتي".

فقالت بولين بهدوء: "نعم، أنا ذكية. والآن سأفسر لك الأمور على الرغم من أنه لا يوجد الكثير لأقوله. لعلك تعرفين طرفًا من تاريخ أوستروفا، فعمليًا كل أهلي توفوا - أي ذُبحوا على أيدي الثوار. وربما أكون أنا الأخيرة من بينهم. وبالطبع، أنا امرأة ولا يمكنني الجلوس على العرش، ومن ثم قد تظنين أنهم سيتركونني

وشأني. لكن لا، فأينما ذهبت هناك محاولات لاغتيالي. إنه أمر غريب، أليس كذلك؟ إن هؤلاء القساة الموتورين ليس لديهم أدنى قدر من الإحساس".

قالت جين، وهي تشعر بأن هناك شيئًا مطلوبًا منها: "أفهم ذلك".

"في معظم الوقت أعيش في عزلتي - حيث يمكنني اتخاذ احتياطاتي، لكن بين الحين والآخر أضطر للمشاركة في بعض الاحتفالات العامة. وعلى سبيل المثال أثناء وجودي هنا سأحضر العديد من الاحتفالات شبه العامة، وأيضًا في باريس أثناء عودتي، كما أمتلك مقاطعة في المجر. وممارسة الرياضة هناك أمر رائع".

فقالت جين: "حقًا؟".

"رائع بالفعل. أنا أعشق الرياضة، كما أن - على الرغم من أنه ليس من المفترض أن أخبرك بهذا، لكنني سأخبرك، فوجهك يبدو ودودًا للغاية - هناك خططًا تدبر في سرية تامة لإيذائي. وإجمالًا، من المهم للغاية ألا أغتال خلال الأسبوعين المقبلين".

فقالت جين: "لكن من المؤكد أن الشرطة...".

"الشرطة؟ آه، نعم، إنها رائعة للغاية، على ما أظن. ونحن أيضًا - لدينا جواسيسنا. ومن الممكن أن أتلقى تحذيرات مسبقة بخصوص محاولات اغتيالي هذه. لكن مجددًا، إنني قد لا أتلقى أي تحذير".

ثم هزت كتفيها في تسليم.

قالت جين ببطء: "بدأت أفهم الأمر، فأنت تريدين أن أحل محلك؟".

فقالت الدوقة الكبرى بحماس: "في مناسبات معينة فقط. يجب أن تكوني في مكان قريب، هل تفهمين؟ قد أطلب منك مرتين أو ثلاث مرات أو أربعًا خلال الأسبوعين المقبلين. وكل

مـرة سيكون هـذا أثنـاء بعض الاحتفـالات العامـة. وبالطبـع لـن يمكنك تمثيلي في أية معاملات خاصة من أي نوع".

فوافقتها جين، قائلة: "بالطبع لا".

"سوف تبلين بلاءً حسنًا بالفعل. لقد كان ذكاءً من فيودور ألكسندروفيتش أن يفكر في الإعلان، أليس كذلك؟".

فقالت جين: "فلنفترض أنني أُغتلت؟".

فهزت الدوقة كتفيها، وقالت: "هناك مخاطرة بالطبع، لكن وفقًا لمعلوماتنا السرية، إنهم يريدون اختطافي، لا قتلي. لكنني سأكون صريحة للغاية معك - هناك احتمال قائم دائمًا بأنهم قد يلقون قنبلة".

قالت جين: "أفهم ذلك".

حاولت جين أن تحاكي طبيعة بولين المرحة، وكانت ترغب بشدة في أن تتحدث عن مسألة المال، لكنها لم تكن تعلم ما أفضل طريقة تطرح بها هذا الموضوع، لكن بولين وفرت عليها عناء هذا.

قالت بعدم اكتراث: "بالطبع سندفع لك مبلغًا جيدًا. فأنا لا أتذكر الآن المبلغ الذي اقترحه فيودور ألكسندروفيتش بالضبط. وهل سيكون بعملة الفرانك أم الكرونة؟".

قالت جين: "لقد ذكر الكولونيل كرانين مبلغ ألفي جنيه".

قالت بولين ببهجة: "نعم كان ذلك هو المبلغ، لقد تذكرتُ الآن. وأتمنى أن يكون هذا كافيًا، أم تريدين ثلاثة آلاف؟".

فقالت جين: "إذا كان الأمر لن يشكل أي فارق بالنسبة لك، فسأفضل أن أتلقى ثلاثة آلاف".

قالت الدوقة الكبرى بحنان: "أرى أنك ذات طابع عملي. لقد كنت أتمنى أن أكون كذلك. لكن ليست لديَّ أية فكرة عن الأمور المالية على الإطلاق، فكل ما أرغب فيه أجده".

بدت لجين طريقة الدوقة في التفكير بسيطة، وعلى الرغم من ذلك مثيرة للإعجاب.

ثم استطردت بولين: "وبالطبع كما تقولين هناك خطر. فعلى الرغم من أنك لا تبدين لي كمن يبالون بالخطر. لكن أنا نفسي لا أبالي، وأتمنى ألا تظني أنني جبانة؛ لأنني أريد منك أن تحلي محلي. فكما تعلمين من المهم بالنسبة لآل أوستروفا وسلالتها أن أتزوج وأنجب على الأقل ولدين. وبعد ذلك، لا يهم ما يحدث لي".

قالت جين: "أفهم ذلك".

"وهل تقبلين؟".

قالت جين بحزم: "نعم، أقبل".

صفقت بولين عدة مرات بيديها بقوة، فظهرت الأميرة بوبورينسكي على الفور.

وصرحت الدوقة الكبرى قائلة: "لقد أخبرتها بالأمر برمته يا آنا. وستفعل ما نريد، وستتقاضى ثلاثة آلاف جنيه. فأخبري فيودور ليكون على علم بهذا. إنها تشبهني كثيرًا، أليس كذلك؟ مع أنني أظن أنها أجمل مني".

تهادت الأميرة خارج الغرفة، وعادت ومعها الكونت ستريبتيتش.

قالت الدوقة الكبرى: "لقد رتبنا كل شيء، يا فيودور ألكسندروفيتش".

فانحنى. ثم قال متسائلًا، وهو يفحص جين بعينين متشككتين: "أنا أتساءل: هل يمكنها أن تؤدي دور الدوقة؟".

قالت الفتاة بغتة: "سأجعلك ترى"، ثم قالت للدوقة: "هل تأذنين لي يا سيدتي؟".

فأومأت لها الأخيرة بمرح.

نهضت جين.

وقالت: "هذا رائع يا آنا، فلم أتخيل قط أننا سنحقق هذا النجاح. هيا دعينا نرَ أنفسنا ونحن نقف جنبًا إلى جنب".

وكما فعلت الدوقة معها، سحبت جين الدوقة الشابة من ذراعها باتجاه المرآة.

"هل ترين؟ تطابق تام!".

الكلمات والأسلوب والإيماءة، كانت جين تحاكي تحية بولين بشكل ممتاز. فأومأت الأميرة برأسها، وأطلقت صيحة استحسان.

ثم قالت: "هذا رائع. سينخدع أغلب الأشخاص".

بعدها أكدت بولين باستحسان: "أنت ذكية للغاية. بل أنا نفسي لا يسعني تقليد أي شخص آخر لإنقاذ حياتي".

صدقتها جين. لقد أذهلها بالفعل أن بولين كانت شابة تتصرف بتلقائية وبساطة.

قالت الدوقة: "آنا سترتب معك التفاصيل. فاصحبيها إلى غرفة نومي يا آنا، واجعليها تجرب بعض ملابسي".

ثم أومأت برأسها بلطف لتودعها، ثم اقتادت الأميرة بوبورينسكي جين بعيدًا.

قالت السيدة العجوز وهي تحمل بين يديها ثوبًا رائعًا باللونين الأسود والأبيض: "هذا هو الثوب الذي سترتديه سموها وقت افتتاح البازار، وسيحدث هذا بعد ثلاثة أيام. ربما سيكون من الضروري عندئذ أن تحلي محلها هناك. إذ لا نعلم ماذا سيحدث، كما لم نتلقَّ أية معلومات بعد".

وبأمر من آنا، خلعت جين ثيابها الرثة في حركة سريعة، وارتدت الفستان. لقد كان مقاسه مضبوطًا عليها تمامًا، فأومأت الأميرة برأسها في رضا.

"تقريبًا مثالي - إنه طويل عليك قليلًا، لأنك أقصر بحوالي سنتيمترين أو نحو ذلك من سموها".

فقالت جين سريعًا: "هذا يمكن علاجه بسهولة. لقد لاحظت أن الدوقة الكبرى ترتدي حذاء كعبه منخفض. فإذا ارتديت الحذاء ذاته، لكن بكعب أعلى، فستلائمني الثياب بشكل رائع".

أطلعتها آنا ميكايلوفنا على الحذاء الذي عادة ما ترتديه الدوقة الكبرى مع الفستان. إنه حذاء مصنوع من جلد السحالي وله سيور متقاطعة. فحفظت جين صورته في ذاكرتها، ورتبت للحصول على زوج مثله، ولكن بكعب مختلف.

قالت آنا ميكايلوفنا: "سيكون من الرائع أن تمتلكي فستانًا ذا لون وخامة مميزين غير فستان سموها. بحيث إذا أصبح من الضروري بالنسبة لكما أن تتبادلا الأماكن في أية لحظة، لا يلاحظ أحد هذا".

فكرت جين دقيقة.

"ماذا عن فستان لونه أحمر ناري أو فاقع؟ وربما أرتدي نظارة. فهذا سيغير المظهر كثيرًا".

لاقى الاقتراحان قبولًا، ثم واصلنا مناقشة التفاصيل الأخرى.

غادرت جين الفندق ومعها مبلغ قدره مائة جنيه في حقيبتها، وتعليمات بشراء الثوب اللازم وحجز غرفة في فندق بليتز بصفتها الآنسة مونتريسور الآتية من نيويورك.

وفي اليوم التالي ذهب الكونت ستريبتيتش إليها هناك.

وقال لها وهو ينحني محييًا إياها: "هناك تحول لافت بالفعل".

حيته جين بانحناءة مماثلة بدورها، وكانت مستمتعة للغاية بالثياب الجديدة والرفاهية التي تعيشها.

تنهدت جين وقالت: "هذا لطيف للغاية. لكن أعتقد أن زيارتك تعني أنني سأكون مشغولة وأعمل مقابل المال الذي سأجنيه".

"هذا صحيح. لقد تلقينا معلومات. ومن المحتمل أن تكون هناك محاولة لاختطاف سموها وهي في طريقها من المنزل إلى السوق الخيرية. وهذا، كما تعرفين، سيحدث في منزل أوريون، وهو على بعد 16 كيلو خارج لندن. فسموها مضطرة لزيارة السوق الخيرية بنفسها، فالكونتيسة أنشيستر هي التي تدعو له بنفسها،

وهي تعرفها معرفة شخصية. لكنني سأخبرك فيما يلي بالخطة التي وضعتُها".

أنصتت جين بانتباه وهو يشرحها لها.

ثم سألته جين بضعة أسئلة، وفي النهاية قالت إنها تفهم جيدًا الدور الذي عليها القيام به.

بزغ فجر اليوم التالي مشرقًا وصافيًا - إنه يوم مثالي لأحد الأحداث العظيمة في موسم لندن، وهي السوق الخيرية في منزل أوريون التي أقامتها الكونتيسة أنشيستر لمساعدة اللاجئين الأوستروفيين في هذا البلد.

ونظرًا لعدم استقرار المناخ الإنجليزي، أقيمت السوق داخل الغرف الفسيحة لمنزل أوريون، الذي كان ملك إيرل أنشيستر طيلة خمسمائة عام. لقد تمت الاستعانة بمجموعات مختلفة من المجوهرات المنتقاة للعرض في السوق، وتمثلت إحدى الأفكار الذكية في الهدية التي قدمتها مائة امرأة من سيدات المجتمع، وهي عبارة عن لؤلؤة واحدة مأخوذة من قلاداتهن، على أن تباع كل لؤلؤة في مزاد علني في اليوم الثاني. وكانت هناك أيضًا العديد من العروض الجانبية والألعاب.

حضرت جين هناك في وقت مبكر، وهي تتقمص شخصية الآنسة مونتريسور. وكانت ترتدي فستانًا باللون الأحمر الناري وقبعة حمراء صغيرة، وانتعلت حذاء عالي الكعبين من جلد السحلية.

كان وصول الدوقة الكبرى بولين حدثًا عظيمًا، حيث اعتلت المنصة، وقدم لها طفل صغير باقة من الزهور كما جرت العادة في مثل هذه المناسبات. ثم ألقت الدوقة خطابًا قصيرًا رائعًا، وأعلنت افتتاح السوق الخيرية. وكان الكونت ستريبتيتش والأميرة بوبورينسكي يحيطان بها طوال الوقت.

كانت الدوقة ترتدي الفستان الذي رأته جين، باللون الأبيض مع مسحة من اللون الأسود، وكانت ترتدي قبعة صغيرة سوداء مزينة بالكثير من الريش الأبيض فوق الحافة، وساتر صغير من الدانتيل ينسدل على نصف الوجه، وهو المظهر الذي دعا جين إلى الابتسام خفية.

جالت الدوقة في أنحاء السوق، ومرت بكل مقصورة فيها، حيث اشترت بضعة أغراض، وكانت تتعامل بعطف شديد. ثم استعدت للرحيل.

كانت جين مستعدة لتقوم بدورها، حيث طلبت التحدث مع الأميرة بوبورينسكي وطلبت تقديمها إلى الدوقة الكبرى.

فقالت بولين بصوت واضح: "آه، نعم! آنسة مونتريسور، أتذكر الاسم. إنها صحفية أمريكية، على ما أعتقد. لقد فعلت الكثير من أجل قضيتنا، ويسعدني أن أجري معها مقابلة قصيرة من أجل جريدتها. فهل هناك أي مكان يمكن أن نكون فيه دون إزعاج؟".

وفي الحال وضعت ردهة صغيرة تحت تصرف الدوقة الكبرى، وأُرسل الكونت ستريبتيتش لإحضار الآنسة مونتريسور. وبمجرد أن فعل ذلك انسحب مجددًا. وبقيت الأميرة بوبورينسكي في حضرة الدوقة، ثم استبدلتا الثياب بسرعة كبيرة.

وبعد مرور ثلاث دقائق، انفتح الباب وخرجت الدوقة الكبرى، وهي تحمل باقة الزهور أمام وجهها.

لقد انحنت بلطف، ونطقت بكلمات قليلة، ودَعت بها السيدة أنشيستر باللغة الفرنسية، ثم خرجت ودخلت سيارتها التي كانت في انتظارها. وبعدما اتخذت الأميرة بوبورينسكي مكانها إلى جوارها، انطلقت السيارة.

قالت جين: "حسنًا هذا كل ما في الأمر. أتساءل كيف ستتعامل الآنسة مونتريسور؟".

فردت الأميرة: "لن يلاحظها أحد. ويمكنها أن تنسل خارجة بهدوء".

فقالت جين: "هذا صحيح. لقد أديتُ ذلك بشكل جيد، أليس كذلك؟".

"لقد مثلتِ دورك بتميز عظيم".

"لِمَ لا يرافقنا الكونت؟".

"كان مضطرًا للبقاء. لا بد أن يبقى شخص ما للاعتناء بسلامة سموها".

قالت جين بقلق: "أتمنى ألا يلقي أحد أية قنابل. مهلًا! نحن ننحرف عن الطريق الرئيسي. فما هذا؟".

وبأقصى سرعة انطلقت السيارة في طريق جانبي.

قفزت جين، وأخرجت رأسها من النافذة محتجة على تصرف السائق. ولم يفعل السائق شيئًا سوى الانفجار في الضحك وزيادة سرعته، فعادت جين إلى الجلوس في مقعدها مجددًا.

قالت جين وهي تضحك: "لقد كان جواسيسك محقين بشأن الخطر المحدق بكم دائمًا، ونحن مع ذلك بخير. أفترض أنني كلما استمررتُ في العمل فترة أطول، فإن الأمر يكون أكثر أمانًا للدوقة. وعلى أية حال، يجب أن نمنحها الوقت للعودة إلى لندن بأمان".

مع احتمال وجود خطر، كانت معنويات جين ترتفع. فلم يكن يبهجها بالطبع احتمال وجود قنبلة، لكن هذا النوع من المغامرات كان يتوافق مع استعدادها لمجابهة المخاطر والتحديات.

فجأة، ومع الضغط على الفرامل، توقفت السيارة. وقفز أمام بابها رجل يحمل في يده مسدسًا.

صرخ الرجل غاضبًا: "ارفعي يديك إلى أعلى".

رفعت الأميرة بوبورينسكي يديها بسرعة، لكن جين نظرت إليه بازدراء، ولم ترفع يديها من مكانهما على رجليها.

ثم قالت لرفيقتها باللغة الفرنسية: "اسأليه عن معنى هذا السلوك المشين".

وقبل أن تتفوه الأخيرة بكلمة، اقتحم الرجل السيارة. ثم انهمر منه سيل من الكلمات التي قالها بلغة أجنبية.

لم تفهم جين شيئًا مما قاله، فاكتفت بهز كتفيها بلا اكتراث، ولم تقل شيئًا. فخرج السائق من مقعده وانضم إلى الرجل الآخر.

قال السائق وابتسامة عريضة تزين وجهه: "هلا تتفضل السيدة الشهيرة بالنزول؟".

خرجت جين من السيارة، وهي ترفع الزهور أمام وجهها، وتبعتها الأميرة بوبورينسكي.

"هلا تتفضل السيدة الشهيرة وتسير من هذا الطريق؟".

لم تولِ جين للأسلوب الوقح الساخر من قبل الرجل أي اهتمام، لكنها سارت من تلقاء نفسها نحو منزل منخفض البناء، كثير الممرات، على بعد نحو مائة متر تقريبًا من المكان الذي توقفت فيه السيارة. وكان الطريق مسدودًا وينتهي ببوابة وممر يقود إلى هذا المبنى الذي يبدو أنه غير مسكون.

اقترب الرجل - الذي لا يزال يلوح بمسدسه - من خلف المرأتين. وعندما صعدتا درجات السلم، تجاوزهما، وفتح بابًا على اليسار. وكانت غرفة فارغة، وضعت فيها طاولة وكرسيان.

خطت جين داخل الغرفة وجلست وتبعتها آنا ميكايلوفنا. ثم صفق الرجل الباب وأغلقه بالمفتاح.

سارت جين نحو النافذة، ونظرت من خلالها.

قالت جين: "بالطبع يمكنني القفز من هنا. لكن ينبغي ألا أتمادى في تصرفاتي. لا، لابد أن نجلس هنا الآن فقط، ونتكيف مع وضعنا على أفضل نحو ممكن. غير أنني أتساءل ما إذا كانوا سيحضرون لنا طعامًا؟".

بعد مرور نصف ساعة جاءت إجابة سؤالها. فقد أحضروا طبقًا كبيرًا من الحساء الساخن، ووضعوه على الطاولة أمامها، بالإضافة إلى شريحتين من الخبز المحمص.

قالت جين بمرح عندما أُوصد الباب مجددًا: "لا معاملة مرفهة هنا كدأب الأرستقراطيين، فهل ستتناولين الطعام، أم سأتناوله أنا بمفردي؟".

رفضت الأميرة بوبورينسكي مجرد التفكير في تناول الطعام مع ما تشعر به من رعب، وقالت: "كيف يمكنني أن أتناول الطعام؟ من يدري ما حجم الخطر المحدق بالدوقة الآن؟".

قالت جين: "إن الدوقة بخير. بل أنا قلقة على نفسي. وأنت تعلمين أن هؤلاء الأشخاص لن يسروا إذا اكتشفوا أنهم يحتجزون المرأة الخطأ. وفي الواقع، ربما يصبحون بغيضين للغاية. لذا يجب أن أستمر في تمثيل دور الدوقة الكبرى قدر إمكاني، وسأحاول الهرب متى سنحت الفرصة".

لم تقدم الأميرة بوبورينسكي أي رد.

تجرعت جين - التي كانت تتضور جوعًا - الحساء كله، وكان له مذاق غريب، لكنه كان ساخنًا ولذيذًا.

بعد قليل شعرت جين بالنعاس، أما الأميرة بوبورينسكي فبدا أنها تنتحب في صمت. وجلست جين بطريقة تجعلها تشعر بالراحة بشكل كبير في مقعد غير مريح، وأتاحت لرأسها أن يميل إلى الأسفل.

ثم غفت.

استيقظت جين فجأة، وخمنت أنها نامت وقتًا طويلًا للغاية. فقد كان رأسها ثقيلًا وكانت تشعر بالتعب.

ثم فجأة رأت شيئًا أيقظ كل حواسها مرة أخرى.

كانت ترتدي الرداء الأحمر الناري.

فنهضت ونظرت حولها. إنها ما زالت في غرفتها في المنزل الخاوي. وكل شيء كان على حاله تمامًا قبل أن تنام، ما عدا أمرين: الأول هو أن الأميرة بوبورينسكي لم تعد تجلس على المقعد الآخر، والثاني كان التغيير غير المفهوم لثيابها.

قالت جين: "لا يمكن أن يكون هذا حلمًا؛ إذ لو كنت أحلم، لما كنت هنا الآن".

نظرت جين عبر النافذة، ولاحظت حقيقة مهمة أخرى. إنها عندما نامت كانت الشمس تتسلل عبر النافذة، أما الآن فالمنزل يلقي بظله الحاد على ممر السيارة المشمس في الخارج.

فكرت جين قائلة: "المنزل يواجه جهة الغرب. وعندما رحت في النوم كان ذلك في فترة الظهيرة. إذن لا بد أننا الآن في صباح اليوم التالي. إذن كان هناك مخدر في الحساء. أوه - أنا لا أعرف ما حدث بالفعل، إن الأمر يبدو جنونيًا".

نهضت جين واتجهت إلى الباب. ولم يكن الباب مغلقًا، فاستكشفت المنزل، الذي كان صامتًا وخاويًا.

وضعت جين يدها على رأسها الذي كان يؤلمها، وحاولت التفكير.

ثم وقع بصرها على صحيفة ممزقة ملقاة أمام الباب الأمامي. لقد كانت الصحيفة تحتوي على عناوين صارخة لفتت انتباهها.

قرأت بصوت مسموع: "لصة أمريكية شابة في لندن، الفتاة ذات الرداء الأحمر، سطو مسلح مثير على السوق الخيرية بمنزل أوريون".

ترنحت جين في ضوء الشمس. ثم جلست على الدرج تقرأ، وعيناها تتسعان وتتسعان من فرط الدهشة. لقد كانت العناوين تحمل حقائق موجزة ومختصرة.

بعد رحيل الدوقة الكبرى بولين مباشرة، أخرج ثلاثة رجال وفتاة في ثوب أحمر مسدسات، ونجحوا في احتجاز الحشد

الموجود في السوق الخيرية. لقد استولوا على مئات اللآلئ الثمينة المعروضة ثم فروا في سيارة سباق سريعة، وحتى الآن لم يُعثر لهم على أي أثر.

في الطبعة المتأخرة (كانت الصحيفة مسائية وليست صباحية) كان هناك بضع معلومات موجزة عن أن: "الفتاة اللصة ذات الثوب الأحمر" كانت تقيم في فندق بليتز بصفتها الآنسة مونتريسور من نيويورك.

قالت جين، "لقد خُدعت. بالتأكيد خدعت. فدائمًا ما توقعت أن هناك خدعة في الأمر".

جفلت جين، حيث سمعت صوت غريب يشق الهواء من حولها. إنه صوت رجل ينطق بكلمة واحدة على فترات متكررة.

كان يقول: "تبًا، تبًا". ثم يعود ويكررها: "تبًا!".

أثار الصوت اهتمام جين. فقد عبَّر عن مشاعرها بالضبط. فركضت على الدرج إلى الأسفل. وفي أحد الأركان كان يرقد شاب يحاول رفع رأسه عن الأرض. صدمت جين عندما رأت وجهه، فقد كان من أجمل الوجوه التي رأتها على الإطلاق. كما كان مليئًا بالنمش وتعبيراته محيرة بعض الشيء.

قال الشاب: "تبًا رأسي. تبًا، أنا...".

ثم قطع كلامه وحدق إلى جين.

وقال بصوت واهن: "لابد أنني أحلم".

قالت جين: "هذا ما قلته أنا، لكننا لا نحلم، فما خطب رأسك؟".

"شخص ما ضربني على رأسي. ولحسن الحظ، إن رأسي غليظ".

ثم اعتدل جالسًا، وبدا وجهه ساخرًا.

"سيبدأ مخي في العمل قريبًا على ما أظن. فما زلتُ موجودًا في البقعة القديمة نفسها كما أرى".

فسألته جين بفضول: "كيف أتيت إلى هنا؟".

"هذه قصة طويلة. وبالمناسبة، أنتِ لست الدوقة الكبرى، ما اسمها، هل أنت هي؟".

"لا أنا لست هي، بل أنا جين كليفلاند العادية".

فقال الشاب وهو ينظر إليها بإعجاب واضح: "أنت لست عادية بأية حال من الأحوال".

فتورد وجه جين خجلًا.

فسألته متشككة: "هل يجب أن أحضر لك ماء أو أي شيء من هذا القبيل؟".

فأجابها الشاب: "أظن أن هذا هو الطبيعي، فلا فارق لديَّ، لكنني سأفضل تناول العصير إذا تمكنتِ من العثور على أي قدر منه هنا".

لم تتمكن جين من العثور على أي عصير، فشرب الشاب جرعة كبيرة من الماء، وأعلن أنه يشعر بتحسن.

سأل الشاب: "هل أروي قصتي أم ترويين أنت أولًا؟".

"تفضل أنت أولًا".

"ليس هناك الكثير لأقصه. لقد لاحظت أن الدوقة دخلت تلك الغرفة وهي ترتدي حذاء ذا كعب منخفض، وعندما خرجت كانت ترتدي حذاء كعبه عالٍ. فشعرت بأن هناك شيئًا غريبًا. وأنا لا أحب الأمور الغريبة ولا أتقبلها بسهولة.

فتبعت السيارة بدراجتي البخارية، ورأيتهم وهم يقودونك إلى هذا المنزل، وبعد عشر دقائق جاءت سيارة سباق كبيرة مسرعة. وخرجت من تلك السيارة فتاة ذات رداء أحمر، وبصحبتها ثلاثة رجال. كانت الفتاة ترتدي حذاء كعبه منخفض، ثم دخلوا جميعًا المنزل. وبعد هذا بقليل خرجت ذات الكعب المنخفض وهي ترتدي فستانًا لونه أبيض في أسود، وانطلقت في السيارة الأولى مع امرأة كبيرة في السن ورجل له لحية شقراء. أما الباقون فقد

انطلقوا بسيارة السباق. فظننت أن الجميع قد رحلوا، وبينما كنت أحاول الدخول من هذه النافذة لإنقاذك ضربني شخص ما على رأسي من الخلف. وهذا كل ما في الأمر. والآن حان دورك".

قصت عليه جين مغامرتها.

وأنهت قصتها قائلة: "ومن حسن حظي أنك تبعتني. فهل ترى الورطة الفظيعة التي كنت سأقع فيها لو لم تتبعني؟ إن الدوقة لديها حجة غياب مثالية. لقد رحلت عن السوق الخيرية قبل بدء السطو، ووصلت إلى لندن بسيارتها. فهل كان أي شخص سيصدق قصتي الرائعة غير المحتملة؟".

قال الشاب بثقة: "ما كان ليصدقها أحد".

كانت جين والشاب مستغرقين في رواياتهما الخاصة لدرجة أنهما كانا غافلين تمامًا عما يحيط بهما. وعندما رفعا أعينهما لأعلى جفلا بعض الشيء عندما رأيا رجلًا طويلًا يكسو الحزن ملامح وجهه، وهو يتكئ على جدار المنزل، ويومئ برأسه لهما.

ثم عقَّب قائلًا: "أمر مثير للغاية".

فقالت جين متسائلة: "من أنت؟".

لمعت عين الرجل ذي الوجه الحزين قليلًا. ثم قال برقة: "المحقق فاريل. لقد كنت مهتمًا للغاية بسماع قصتك أنت وهذه الشابة حتى النهاية. وربما كنا سنجد بعض الصعوبة في تصديقها، لولا توافر معلومتين أخيرًا".

"وهما؟".

"حسنًا، لقد سمعنا هذا الصباح أن الدوقة الحقيقية هربت مع سائق سيارة في باريس".

شهقت جين.

"ثم علمنا أن هذه "اللصة" الأمريكية قد حضرت إلى هذا البلد في وقت سابق، وتوقعنا حدوث تحول أو خداع في الأحداث

من هذا النوع. لكننا سنلقي القبض عليهم في أقرب فرصة، إنني أعدكما بهذا. هلا سمحتما لي بالغياب لدقيقة؟".

ثم ركض صاعدًا درجات المنزل.

فقالت جين بتعجب وحيرة ظاهرين: "*حسنًا، إذن!*".

ثم عقبت بغتة: "أظن أنه من الذكاء الشديد أنك لاحظت مسألة اختلاف الحذاء".

فقال الشاب: "لا أظن هذا على الإطلاق. فقد نشأت في عالم تجارة الأحذية، ووالدي كان يعد ملك الأحذية. لقد أراد مني أن أدخل هذه التجارة - ثم أتزوج وأستقر. وكل الأشياء التي من هذا القبيل لم تكن لديَّ موهبة معينة خاصة بها، لكن هذا هو واقعي. غير أنه على الجانب الآخر أردت أن أكون فنانًا".

ثم تنهد.

قالت جين بتعاطف: "أشعر بالأسف من أجلك".

"أنا أحاول منذ ست سنوات. وليست هناك بارقة أمل. إنني رسام فاشل وأفكر في نسيان الأمر والعودة إلى المنزل مثل الابن الضال. فهناك مأوى جيد ينتظرني على الأقل".

قالت جين بحزن: "امتلاك وظيفة شيء رائع على أية حال. فهل تظن أنه من الممكن أن أحصل على وظيفة في مكان ما تتيح لي قياس الأحذية؟".

"يمكنني أن أعطيك وظيفة أفضل من تلك - إذا كنت ستقبلين".

"أوه، ماذا؟".

"لا تشغلي بالك الآن، فسأخبرك بما أقصده فيما بعد. فحتى أمس لم أكن رأيت فتاة تجعلني أشعر بأنني أرغب في الزواج".

"أمس؟".

"نعم رأيتها في السوق الخيرية. ثم رأيتها هنا مرة أخرى - لا أحد سواها!".

ثم أمعن النظر إلى جين.

قالت جين بسرعة وبخدين متوردين للغاية كي تتفادى نظراته: "كم هي جميلة زهور الدلفينيوم المحيطة بنا".

فقال الشاب: "إنها في الحقيقة زهور الترمس البرية".

فقالت جين: "لا يهم".

فقال موافقًا: "بالطبع، لا يهم"، ثم اقترب منها قليلًا.



اختفاء السيد دافينهايم

كنت أنا وبوارو ننتظر زيارة صديقنا القديم المحقق جاب من شرطة العاصمة لاحتساء الشاي معنا. وقد جلسنا حول طاولة الشاي في انتظار وصوله، وقد انتهى بوارو من فوره من ضبط الفناجين وأطباقها التي اعتادت مدبرة منزلنا وضعها بإهمال - بدلًا من ترتيبها بعناية - على الطاولة. ثم نفخ نفخة قوية فوق الإناء المعدني وقام بتلميعه بمنديل حريري. لقد كان الإناء ساخنًا، وبجواره وعاء صغير من المينا يحتوي على شيكولاتة لذيذة سميكة، كان مذاقها حلوًا للغاية في فم بوارو حتى إنه وصفها بـ"السم الإنجليزي".

علا صوت جرس الباب، وبعد بضع دقائق دلف جاب إلى المنزل بخفة.

وقال وهو يحيينا: "أتمنى ألا أكون قد تأخرت. فالحقيقة إنني استغرقت في الكلام مع ميلر، وهو الرجل المسئول عن قضية دافينهايم".

تنبهت أذناي، فقد كان الاختفاء الغريب للسيد دافينهايم - الشريك السابق في شركة دافينهايم وسَلمون، المصرفيين والخبيرين الماليين ذائعي الصيت - هو حديث الصحف خلال الأيام الثلاثة الماضية. ففي يوم السبت الماضي خرج الرجل من

منزله، ولم يره أحد منذ ذلك الحين. وكنت أتطلع إلى استخلاص بعض المعلومات المهمة من جاب.

فقلت: "كنت أظن أنه من المستحيل تقريبًا أن "يختفي تمامًا" أي شخص في عصرنا هذا".

حرك بوارو طبقًا به خبز وزبد ناحيته، وقال بحدة: "كن دقيقًا يا صديقي. فماذا تعني بكلمة "اختفاء"؟ وإلى أي نوع من الاختفاء تشير؟".

فقلت ضاحكًا: "وهل للاختفاء فئات ومسميات؟".

ابتسم جاب أيضًا، فعبس بوارو في وجهينا.

"بالطبع هو كذلك! إنه ينقسم إلى ثلاث فئات: الأولى والأكثر شيوعًا، الاختفاء الطوعي. والثانية، وهي الأكثر سوءًا حالة "فقدان الذاكرة" - إنها حالات نادرة لكنها تحدث في بعض الأحيان. والثالثة، القتل والتخلص من الجثة بنجاح. فهل تشير إلى الفئات الثلاث جميعًا كأمر مستبعد؟".

"إلى حد كبير، على ما أظن. فقد تفقد ذاكرتك، لكن هناك من سيتعرف عليك - خاصة في حالة رجل ذائع الصيت مثل دافينهايم، ثم إن "الجثث" لا يمكن أن تتلاشى في الهواء. فعاجلًا أم آجلًا ستظهر، سواء أكانت مخبأة في مكان معزول أم في حاوية. بل إن جريمة القتل ستُكشف مهما طال الوقت. وبالطريقة ذاتها، الموظف الهارب، أو المتعثر في سداد ديونه، لا بد أنه سيلاقي صعوبة في الهرب في أيام التلغراف اللاسلكي هذه. إنه قد يتمكن من المغادرة إلى دول أجنبية؛ لكن الموانئ ومحطات السكك الحديدية صارت تخضع للمراقبة؛ وأما عن التخفي في داخل هذا البلد، فإن ملامحه ومظهره سيكونان معروفين لكل من يقرأ صحيفة يومية. إن شخصًا في مثل هذه الحال سيواجه كل العقبات التي أفرزها التطور الحضاري".

قال بوارو: "يا صديقي، لقد ارتكبت خطأ واحدًا. فأنت لم تضع في الحسبان أن الرجل الذي قرر قتل آخر - أو التظاهر بأنه هو نفسه قد قُتل - ربما كان إنسانًا ذا ذكاء نادر، ورجلًا له طريقته الخاصة في معالجة الأمور. وربما نفذ مهمته مستندًا إلى الكثير من الذكاء غير التقليدي والموهبة والحساب الدقيق للتفاصيل؛ وهنا قد ينجح حقًا في إرباك قوات الشرطة".

قال جاب مداعبًا، وهو يغمز إليَّ بعينه: "لكنه لن ينجح في إرباكك *أنت*، أليس هذا صحيحًا؟ إنه لن يستطيع أن يخدعك يا سيد بوارو".

سعى بوارو - على الرغم من أنه لم ينجح في هذا - إلى أن يبدو متواضعًا، وقال: "لا يمكنه خداعي! لم لا؟ فمع أنني أتعامل مع مثل هذه القضايا بعلم دقيق، ودقة رياضية، فإنها تبدو، للأسف، نادرة جدًا في الجيل الجديد من المحققين!".

اتسعت ابتسامة جاب بشكل أكبر، وقال: "لا أعلم. وعلى أية حال إن ميلر، المحقق الذي يعمل على هذه القضية، رجل ذكي. فكن متأكدًا من أنه لن يهمل بصمة قدم، أو رماد سجائر، أو فتات الطعام كذلك. إن له عينين تريان كل شيء".

قال بوارو: "والشيء نفسه يا صديقي ينطبق على أي عصفور في لندن. لكن مع ذلك لا يمكنني أن أطلب من ذلك العصفور الصغير أن يحل لغز السيد دافينهايم".

"بربك سيدي، هل تقلل من شأن التفاصيل بوصفها قرائن؟".

"لا، على الإطلاق. فهذه الأمور جيدة في حد ذاتها. إنما الخطر يكمن في أنها ربما تكتسب أهمية لا تستحقها. ومعظم التفاصيل تكون غير مهمة؛ لكن ربما تكون هناك تفصيلة أو اثنتان غاية في الأهمية". ثم تابع وهو ينقر جبهته: "إنه المخ، تلك الخلايا الرمادية الصغيرة هي التي يجب للمرء أن يعتمد

عليها، فالحواس مضللة. يجب على المرء أن يسعى خلف الحقيقة داخل عقله - لا خارجه".

"هل تعني يا سيد بوارو أنك تستطيع حل هذه القضية دون أن تتحرك من مقعدك هنا، هل تعني هذا حقًا؟".

"هذا بالضبط ما أعنيه - ما دامت الحقائق ستوضع أمامي. فأنا أشير إلى نفسي دومًا بوصفي شخصًا متخصصًا يقدم استشارات لحل القضايا".

طرق جاب على ركبته، وقال: "لا أستطيع إلا أن أثق بكلمتك. وأتحداك مقابل خمسة جنيهات بأنه لن يمكنك أن تضع يديك - أو بالأحرى تجعلني أضع يدي- على السيد دافينهايم ميتًا أو حيًا، قبل نهاية الأسبوع".

فكر بوارو في الأمر، ثم قال: "موافق يا صديقي، فأنا أقبل التحدي، *فالتنافس* شغف عندكم أيها الإنجليز. والآن - أعطني الحقائق".

"يوم السبت الماضي، استقل السيد دافينهايم كعادته قطار الساعة 12:40 من فيكتوريا إلى تشينجسايد، حيث يقع بيته الريفي الفخم، ذا سيدارز. وبعد تناول الغداء تجول السيد دافينهايم عبر الأراضي، وألقى العديد من التوجيهات للمزارعين. ويتفق الجميع على أن أسلوبه كان طبيعيًا، كما هو معهود منه. فبعد أن تناول الشاي أطل على مخدع زوجته، وقال لها إنه ذاهب للتنزه في القرية، وسيرسل بعض الخطابات، كما قال لها إنه ينتظر حضور السيد لوين لمناقشة بعض أمور العمل. وإذا جاء الزائر قبل أن يعود، فعليها أن تدخله غرفة المكتب، وتجعله ينتظره فيها. ثم غادر السيد دافينهايم المنزل عبر الباب الأمامي، ومر عبر ممر السيارة وخرج من البوابة، ولم يره أحد مجددًا. ومنذ هذه الساعة اختفى تمامًا".

تمتم بوارو: "جميل - جميل جدًا - قضية صغيرة جذابة، أكمل يا صديقي العزيز".

بعد نحو ربع ساعة، قرع رجل أسود طويل القامة بشارب أسود كثيف جرس الباب الأمامي، وأوضح أن لديه موعدًا مع السيد دافينهايم. وقال الرجل إن اسمه لوين، ووفقًا للتعليمات المسبقة أُدخل غرفة المكتب. ومر ما يقرب من ساعة، لكن دافينهايم لم يعد. وأخيرًا، قرع السيد لوين الجرس، وأوضح أنه لم يعد قادرًا على الانتظار فترة أطول، حيث يتعين عليه ركوب قطاره عائدًا إلى المدينة.

اعتذرت السيدة دافينهايم عن غياب زوجها الذي بدا تفسيره متعذرًا؛ لأنها كانت تعلم أنه كان يتوقع حضور الزائر. فكرر السيد لوين أسفه ورحل.

حسنًا، كما يعرف الجميع، لم يعد دافينهايم. وفي وقت مبكر من صباح يوم الأحد أُبلغت الشرطة، لكن لم تتمكن الشرطة من التوصل إلى سر ما حدث. لقد بدا أن السيد دافينهايم قد تلاشى حرفيًا. فهو لم يذهب إلى مكتب البريد؛ ولم يره أحد يتجول عبر القرية. وفي المحطة أكد القائمون على شئونها أنه لم يغادر في أي قطار، وسيارته الخاصة كانت مصفوفة في المرآب. وإذا كان قد استأجر سيارة لتوصله إلى أي مكان منعزل، فمن المؤكد - نظرًا للمكافأة الكبيرة المعروضة مقابل أية معلومات عنه - أن يأتي سائق هذه السيارة ليدلي بما يعرفه. وبالمناسبة، كان هناك تجمع لمشاهدة أحد سباقات الخيول في أنتيفيلد على بعد نحو ثمانية كيلومترات من هنا، ولو أن السيد دافينهايم ذهب إلى هذه المحطة، فسيمر وسط الجمع دون أن يلاحظه أحد. لكن منذ ذلك الحين نُشرت صورته ووصف كامل له في جميع الصحف، ولم ينجح أحد في منحنا أية أخبار عنه. وبالطبع تلقينا العديد

مـن الخطابـات مـن كل أنحـاء إنجلتـرا، لكـن كل دليـل، حتـى الآن، انتهى بإحباط.

وفـي صبـاح يـوم الاثنين كُشـف النقاب عن اكتشـاف مثير آخر. فخلـف *ستارة* بمكتـب السـيد دافينهايـم كانت هنـاك خزانـة، وكانت هـذه الخزانـة مفتوحـة ومسـروقة. وكانـت النوافـذ مغلقـة بإحكام مـن الداخـل، مـا يبعـد الشـك عن وجود عملية سـطو عاديـة، ما لم يكـن هنـاك متآمـر داخـل المنـزل - بالطبـع - هو مـن أغلق النوافذ مجـددًا بعـد السـرقة. علـى الجانـب الآخـر، بعدما حـدث يوم الأحد كانت حالة من الاضطراب تسود المنزل، وعلى ما يبدو أن السـرقة وقعت يوم السبت، ولم يُكتشف أمرها سوى يوم الاثنين".

قـال بـوارو بنبـرة جافة: "صحيـح، هل ألقـي القبض على ذلك السيد لوين المسكين؟".

اتسعت ابتسامة جاب، وقال: "ليس بعد، لكنه يخضع لمراقبة دقيقة".

أومـأ بـوارو برأسـه وسـأل: "مـا الـذي سُـرق مـن الخزانـة؟ هل لديك أية فكرة؟".

"كنـا نناقـش هـذا الأمـر مـع الشـريك الأصغـر فـي المؤسسـة والسـيدة دافينهايـم. ومـن الواضـح أنـه كان هنـاك مبلـغ كبيـر فـي شـكل سـندات، ومبلـغ كبيـر مـن الأوراق النقديـة يعـود إلـى صفقـة كبيـرة كان السـيد دافينهايـم قد أجراها مـن فوره. كما كانت هناك مجموعـة مـن الحلـي تمثـل ثروة صغيـرة، فكل مجوهرات السـيدة دافينهايـم كانـت في الخزانة، وصار اقتناء هذه المجوهرات هوسًـا لـدى زوجهـا فـي السـنوات الأخيـرة، وبالـكاد كان يمر شـهر دون أن يقدم لها هدية من بعض الأحجار النادرة والثمينة".

قـال بـوارو مفكـرًا: "كل هذا صيد هائل. والآن ماذا عن لوين؟ هل عُرفت طبيعة العمل الذي كان سيناقشـه مع السـيد دافينهايم في ذلك المساء؟".

"حسنًا، من الواضح أن الرجلين لم يكونا على وفاق. فـ لوين سمسار عقاري ومُضارب تجاري صغير. ومع ذلك، تمكن في مرة أو مرتين من تسديد ضربة موفقة للسيد دافينهايم في البورصة، على الرغم من أنهما لم يتقابلا من قبل قط. كان هناك أمر يخص بعض الأسهم في أمريكا الجنوبية هو ما قاد دافينهايم لترتيب هذا الموعد".

"إذن للسيد دافينهايم مصالح في أمريكا الجنوبية؟".

"أعتقد ذلك. فقد تصادف أن ذكرت السيدة دافينهايم أنه قضى الخريف الماضي كله في بوينس آيرس".

"هل يعاني أية مشكلات في حياته الأسرية؟ هل كان الزوجان على وفاق؟".

"يمكنني قول إن حياته الأسرية هادئة تمامًا، وليس بها ما يجدر ذكره. فالسيدة دافينهايم لطيفة، على الرغم من أنها لا تتسم بالذكاء، وأظن أنها شخصية ضئيلة الشأن".

"إذن ينبغي ألا نبحث عن حل اللغز داخل أسرته. فهل لديه أي أعداء؟".

"لديه الكثير من المنافسين الماليين، وما لا شك فيه أن هناك العديد من الأشخاص ممن استحوذ على ما لديهم، ولا يحملون له أية نية حسنة. ولكن لا يوجد شخص معين يرجح أنه حاول قتله - وإذا كان هناك من فعل ذلك، فأين هي الجثة؟".

"بالضبط كما يقول هاستينجز، إن الجثث تخرج إلى النور عند البحث الدقيق عنها".

"بالمناسبة، أحد المزارعين يقول إنه رأى شخصًا يحوم حول المنزل تجاه حديقة الزهور، ونافذة حجرة المكتب الطويلة تطل على حديقة الزهور، ومن عادة السيد دافينهايم أن يدخل المنزل ويغادره من هذا الجانب. لكن المزارع كان بعيدًا للغاية، ومشغولًا بالعمل على تحويط بعض الخيار، ولم يتمكن من الجزم بما إذا

كان ذلك الشخص الذي رآه هو سيده أم لا. كما أنه لم يتمكن من تحديد وقت وقوع هذا الحدث بدقة، لا بد أن ذلك حدث قبل الساعة السادسة، حيث إن المزارعين ينهون عملهم في ذلك الوقت".

"ومتى غادر السيد دافينهايم المنزل؟".

"نحو الخامسة والنصف أو نحو ذلك".

"ما الذي يقع خلف حديقة الزهور؟".

"بحيرة".

"هل بها مأوى للقوارب؟".

"نعم، هناك اثنان من القوارب الصغيرة به. أظن أنك تفكر في احتمال الانتحار، أليس كذلك يا سيد بوارو؟ حسنًا، لا مانع لديَّ من أن أخبرك بأن ميلر متوجه غدًا ليفحص هذا المكان. فميلر من ذلك الطراز من المحققين الذي يعاين كل شيء عن قرب!".

ابتسم بوارو ابتسامة باهتة، ثم التفت إليَّ وقال: "هاستينجز، أستأذنك أن تناولني نسخة من جريدة *دايلي ميجافون*. فإذا كانت ذاكرتي لم تخني، فإن بها صورة واضحة على غير المعتاد للرجل المفقود".

نهضت ووجدت الصحيفة المطلوبة وأعطيته إياها، فدرس بوارو ملامح الرجل بتركيز.

ثم غمغم قائلًا: "إممم! شعره طويل ومموج، وشارب كبير، ولحية مدببة، وحواجب كثيفة. وهل عيناه داكنتان؟".

"نعم".

"وهل خط الشيب شعره ولحيته؟".

فأومأ المحقق برأسه إيجابًا، ثم قال: "حسنًا يا سيد بوارو، ماذا ستقول بعد كل ما عرفت؟ إنه أمر واضح وضوح الشمس في كبد السماء، أليس كذلك؟".

"على العكس، إنه غامض للغاية".

فتهللت أسارير ضابط شرطة العاصمة.

وأنهى بوارو عبارته باسترخاء: "مما يمنحني أملًا كبيرًا في حل ذلك اللغز".

"ماذا؟".

"أنا أرى أن غموض القضية علامة جيدة. فإذا كانت الحقيقة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء - *إذن* لا تثق بها! لأن شخصًا ما جعلها كذلك".

هز جاب رأسه بشفقة، ثم قال: "حسنًا، لكل منا تخيلاته. لكن على أية حال ليس من السيئ أن ترى الطريق أمامك واضحًا".

فغمغم بوارو: "أنا لا أرى. أنا أغمض عينيَّ - وأفكر".

تنهد جاب قائلًا: "حسنًا، أمامك أسبوع كامل للتفكير".

"وأنت، هل ستوافيني بأية تطورات قد تطرأ أولًا فأولًا - نتيجة العمل الشاق لثاقب النظر المفتش ميلر؟".

"بالتأكيد. هذا ضمن الصفقة التي عقدناها".

قال جاب لي وأنا أرافقه إلى الباب: "يبدو الحصول على معلومات جاهزة أمرًا مخزيًا، أليس كذلك؟ كمن يسرق طفلًا صغيرًا!".

لم أتمكن من إخفاء ابتسامتي وأنا أحييه، وظللت مبتسمًا حتى عندما عدت إلى الغرفة.

فقال بوارو على الفور: "*لا بأس*، فأنت تسخر من معلمك بوارو، أليس كذلك؟" ثم استطرد وهو يلوح بإصبعه في وجهي: "ألا تثق بخلاياه الرمادية؟ آه، لا ترتبك. بل دعنا نناقش هذه القضية الصغيرة - التي أعترف بأنها غير مكتملة الأركان حتى الآن، لكن هناك نقطة أو نقطتين تثيران اهتمامي".

فقلت باهتمام: "البحيرة!".

"والأهم من البحيرة، مرفأ القوارب!".

استرقت نظرة إلى وجه بوارو، وكانت ابتسامته تنبئ بغموض شديد. فشعرت للحظة بأنه من غير المجدي أن أسأله عن شيء أكثر من هذا.

لم نسمع أي شيء من جاب حتى مساء اليوم التالي، عندما أتى إلى المنزل في تمام الساعة التاسعة، لقد تبينت على الفور من التعبيرات المرتسمة على وجهه أنه يحمل أخبار مهمة.

قال بوارو: "*حسنًا* يا صديقي، هل كل الأمور تسير على خير ما يرام؟ لكن لا تخبرني بأنك وجدت جثة السيد دافينهايم في تلك البحيرة؛ لأنني لن أصدقك".

"لم نعثر على الجثة، لكننا عثرنا على *ثيابه*، ثياب مماثلة لتلك التي كانت يرتديها في ذلك اليوم. فما قولك في هذا؟".

"هل هناك أية ثياب أخرى مفقودة من المنزل؟".

"لا، كان خادمه دقيقًا تمامًا بشأن هذه النقطة. فباقي ثيابه في الخزانة كما هي. وهناك المزيد من الأخبار، لقد ألقينا القبض على لوين. فإحدى الخادمات التي كانت من شئون وظيفتها إغلاق نوافذ حجرة النوم، قالت إنها رأت السيد لوين يتجه إلى حجرة المكتب من ناحية حديقة الزهور في نحو الساعة السادسة والربع. وكان هذا قبل مغادرته المنزل بعشر دقائق".

"ماذا قال السيد لوين عن هذا؟".

"لقد أنكر في البداية أنه غادر حجرة المكتب على الإطلاق. لكن عندما أصرت الخادمة على أقوالها، ادعى أنه نسي أنه خرج من النافذة ليفحص نوعًا غريبًا من الزهور جذب انتباهه. يا لها من قصة مهلهلة! وهناك دليل آخر ظهر ضده. فقد كان السيد دافينهايم يرتدي دائمًا خاتمًا ذهبيًا سميكًا ومرصعًا بماسة واحدة في خنصر يده اليمنى. حسنًا، هذا الخاتم كان مرهونًا في لندن ليلة السبت من قبل رجل يُدعى بيلي كيليت! إنه رجل معروف بالفعل للشرطة - لقد حُبس ثلاثة أشهر في الخريف الماضي

لسرقته ساعة رجل عجوز. ويبدو أنه حاول رهن الخاتم فيما لا يقل عن خمسة أماكن مختلفة، ونجح في آخر مكان، وقد ثمل فرحًا بعائد الرهن ونتيجة ذلك اعتدى على شرطي، واعتُقل مرة أخرى بسبب هذا. فذهبت إلى قسم الشرطة في شارع باو مع ميلر ورأيته. وكان قد استرد كامل وعيه ويقظته، ولا أمانع في الاعتراف بأننا أثرنا خوفه بشدة، وألمحنا إلى أنه قد يكون متهمًا بالقتل. وإليك قصته، إنها قصة غريبة للغاية.

لقد كان في سباق أنتيفيلد يوم السبت، ومع ذلك يمكنني القول إن عمله اقتصر على سرقة دبابيس الأوشحة، لا المراهنة. وعلى أية حال، كان يومه سيئًا، فلم يحالفه الحظ. بعدها كان يسير على طول الطريق المؤدي إلى تشينجسايد، وجلس بجوار إحدى قنوات الري ليستريح قبل دخوله القرية. وبعد بضع دقائق، لاحظ رجلًا آتيًا على طول الطريق المؤدي إلى القرية، على حد وصفه "رجل ذو بشرة داكنة، وشارب كبير، يبدو عليه أنه من الطبقة الراقية".

كان كيليت يجلس وراء كومة من الحجارة، جعلته لا يظهر بوضوح لأي عابر على الطريق. وقبل أن يقترب منه الرجل، نظر سريعًا إلى أعلى وأسفل الطريق، ورأى أنه يبدو مهجورًا، فأخذ شيئًا صغيرًا من جيبه وألقاه فوق السياج. ثم اتجه نحو المحطة. لقد سقط الشيء الذي ألقاه فوق السياج، وأصدر "رنينًا" طفيفًا أثار الفضول في قلب الرجل المختفي وراء الأحجار. ففتش وبعد بحث قصير اكتشف الخاتم! وكانت هذه قصة كيليت. ومن العدل أن نقول إن لوين ينفي ذلك تمامًا، وبالطبع لا يمكن الاعتماد على كلمة رجل مثل كيليت على الإطلاق. فمن ضمن الاحتمالات القائمة أن كيليت التقى دافينهايم في الطريق وسرقه وقتله".

هز بوارو رأسه، ثم قال: "هذا الاحتمال بعيد جدًا، يا صديقي. أولًا، لم تكن لديه وسيلة للتخلص من الجسد، ولو فعل لعثرنا

على الجثة. ثانيًا، الطريقة الصريحة التي رهن بها الخاتم تجعل من غير المرجح أن يكون قد ارتكب جريمة قتل للحصول عليه. ثالثًا، نادرًا ما يكون اللص المتسلل قاتلًا. رابعًا، نظرًا لأنه كان في السجن منذ يوم السبت، فستكون مصادفة عجيبة أن يكون قادرًا على تقديم وصف دقيق للغاية للوين".

أومأ جاب برأسه موافقًا، وقال: "أنا لا أقول إنك لست على حق. لكن مع هذا لن تستطيع أن تجعل هيئة المحلفين تضع في اعتبارها دليلًا يقدمه سجين. فما أراه غريبًا أن لوين لم يجد طريقة أكثر براعة للتخلص من الخاتم".

هز بوارو كتفيه، وقال: "حسنًا، في نهاية المطاف، إذا عُثر على الخاتم في مكان ما في الحي، فمن الممكن الاحتجاج بأنه سقط من دافينهايم نفسه".

صحت قائلًا: "لكن لِمَ ينزع الخاتم من الجثة؟".

قال جاب: "ربما هناك سبب لذلك، هل تعلم أن خلف البحيرة توجد بوابة صغيرة تقود إلى التل، وعلى بعد أقل من ثلاث دقائق من السير تجد نفسك أمام - *فرن للجير*".

فصحت: "يا إلهي. هل تعني أن الجير الذي حلل الجثة لن يكون له تأثير على خاتم من المعدن؟".

"بالضبط".

فقلت: "يبدو لي أن هذا يفسر الأمر برمته. فهذه جريمة بشعة!".

وبعدما توافقنا نحن الاثنين على ذلك، استدرنا ونظرنا إلى بوارو، الذي بدا غارقًا في التفكير، عاقدًا حاجبيه، كما لو كان يبذل جهدًا عقليًا فائقًا. وشعرت في النهاية بأن عقله النشيط كان يسعى لإثبات وجوده. فماذا ستكون كلماته الأولى؟ لم تطل حيرتنا؛ حيث انطلقت منه تنهيدة خففت من حدة تركيزه، ثم التفت إلى جاب، وسأله:

"هل لديك أية فكرة يا صديقي عما إذا كان السيد والسيدة دافينهايم يشغلان حجرة النوم ذاتها؟".

بدا السؤال غير مناسب بشكل سخيف للغاية، لدرجة أننا حدقنا إليه بصمت لحظة، ثم انفجر جاب ضاحكًا، وقال: "يا إلهي، يا سيد بوارو، لقد ظننت أنك ستخرج من كل هذا بشيء يذهلنا. أما بالنسبة لسؤالك، فأنا لا أعرف إجابته".

فسأله بوارو بإصرار غريب: "أيمكنك أن تعرف إجابة هذا السؤال؟".

"أوه، بكل تأكيد - إذا أردت مني هذا *بالفعل*".

"*شكرًا يا صديقي*. فأنا مضطر إلى أن أجعلك تستجلي حقيقة هذا الأمر". فحدق إليه جاب لحظات، لكن بدا أن بوارو لا يشعر بوجودنا. فهز المحقق رأسه بأسف وهو ينظر إليَّ، وقال متمتمًا: "مسكين يا صديقي العزيز! لقد كانت فترة الحرب وقتًا عصيبًا بالنسبة إليه". ثم انسل بخفة من الغرفة.

بدا أن بوارو كان غارقًا في أحلام اليقظة، فأخذت قطعة من الورق، وانشغلت بتدوين بعض الملاحظات عليها، ثم أيقظني صوت صديقي. لقد خرج من شروده، وكان يبدو نشيطًا ومتيقظًا.

"ماذا تفعل يا صديقي؟".

"كنت أدون ما بدا أنه لي النقاط الرئيسية المهمة في هذه القضية".

قال بوارو في استحسان: "لقد أصبحت منهجيًا - أخيرًا!".

أخفيت سعادتي، وقلت: "هل أقرؤها عليك؟".

"بكل سرور".

تنحنحت وشرعت في القراءة: "أولًا: كل الأدلة تشير إلى أن لوين هو الرجل الذي سرق الخزانة.

ثانيًا: إنه يحمل ضغينة تجاه دافينهايم.

ثالثًا: لقد كذب في شهادته الأولى، وقال إنه لم يغادر حجرة المكتب قط.

رابعًا: إذا أقررتَ بأن قصة بيلي كيليت صحيحة، فـ لوين متورط بشكل لا لبس فيه".

ثم توقفت لحظات، وسألت: "ما رأيك؟". كنت أشعر بأنني قد أشرت إلى كل الحقائق المهمة.

نظر إليَّ بوارو بشفقة، ثم هز رأسه برفق، وقال: "يا لصديقي المسكين! أنت لا تمتلك هذه الموهبة! لأنك لم تقدر التفاصيل المهمة! كما أن منطقك خاطئ".

"كيف؟".

"دعني أستعرض معك النقاط الأربع التي ذكرتها".

"أولًا: السيد لوين لم يكن بإمكانه أن يعرف أن الفرصة كانت ستتسنى له لكي يفتح الخزانة. لقد كان ذاهبًا في مقابلة عمل. ولم يكن بمقدوره أن يعرف مسبقًا أن السيد دافينهايم سيكون غائبًا في مكتب البريد، وأنه بالتالي سيكون بمفرده في حجرة المكتب!".

قلت مقترحًا احتمالًا معينًا: "ربما انتهز الفرصة".

"وماذا عن الأدوات المستخدمة؟ إن الرجال المحترمين لا يتجولون وهم يحملون معهم أدوات اقتحام المنازل في حال إذا تسنت لهم الفرصة! ولا يمكن لأي شخص أن يفتح تلك الخزانة بمدية بالطبع!".

"حسنًا، وماذا ثانيًا؟".

"أنت تقول إن لوين يحمل ضغينة للسيد دافينهايم، وتقول إن هذا لتغلبه عليه مرة أو مرتين في البورصة. ومن المفترض أن هذه الصفقة كانت ستبرم بينه وبين دافينهايم لكي يحقق فائدة لنفسه. وعلى أية حال لا يمكنك أن تحمل ضغينة لرجل تغلبت

عليه - بل يجب أن يكون الأمر على العكس. فإذا كان لا بد من وجود من يحمل ضغينة، فهذا الشخص هو دافينهايم".

"حسنًا، أيمكنك أن تنكر أنه كذب بشأن عدم مغادرته المكتب قط؟".

"لا. لكن ربما شعر بالخوف. وتذكر أن ملابس الرجل المفقود عُثر عليها في البحيرة. وبالطبع كالعادة، كان من الأفضل له أن يقول الحقيقة منذ البداية".

"والنقطة الرابعة؟".

"أؤكد لك أنه إذا كانت قصة كيليت حقيقية، فسيكون لوين متورطًا بشكل لا يمكن إنكاره. وهذا ما يجعل القضية مثيرة للغاية".

"إذن، هل تمكنتُ من تقدير أهمية حقيقة واحدة على الأقل؟".

"ربما - لكنك تغاضيت تمامًا عن أهم نقطتين، وهما تحملان مفتاح حل اللغز برمته بشكل لا لبس فيه".

"وما هما؟".

"الأولى، ذلك الشغف الذي ازداد لدى السيد دافينهايم في السنوات القليلة الأخيرة تجاه شراء المجوهرات. والنقطة الثانية هي رحلته إلى بوينس آيرس في الخريف الماضي".

"بوارو، هل تمزح؟".

"أنا جاد. يا إلهي، أتمنى ألا ينسى جاب عمولتي البسيطة بعد انقضاء هذا الأمر".

وعلى الرغم من أن المحقق كان قد تعامل مع طلب بوارو منه على أنه دعابة، فهو لم ينسَ أن يرسل إلى بوارو برقية في الساعة الحادية عشرة اليوم التالي. وبناءً على طلب بوارو فضضت البرقية وقرأتها عليه:

"الزوج والزوجة يشغلان حجرتين منفصلتين منذ الشتاء الماضي".

فصاح بوارو: "أهـا! ونحن الآن في منتصف شهر يونيو! لقد حللت الأمر كله!".

فحدقت إليه.

"هل لديك أية أموال مودعة في بنك دافينهايم وسَلمون يا صديقي؟".

قلت له متسائلًا: "لا، لماذا؟".

"لأنه يحق لي أن أنصحك بسحب هذه الأموال - قبل فوات الأوان".

"لماذا، ما الذي تتوقعه؟".

"أتوقع انهيارًا كبيرًا خلال الأيام القليلة المقبلة - وربما قبل ذلك، وهذا يذكرني بأن أثني على برقية جاب. فناولني قلمًا من فضلك وورقة، *وإليك ما طلبت!*".

"أنصحك بأن تسحب أي مال لك مودع لدى المؤسسة دون سؤال". إن هذه الرسالة ستثير حيرة جاب ودهشته! بل ستتسع عيناه عن آخرهما! ولن يتمكن من فهم أي شيء - حتى غد - أو بعد غد!".

ظللت متشككًا، لكن الغد أجبرني على أن أشيد بقوى صديقي الرائعة. ففي كل صحيفة كان ثمة عنوان ضخم يعلن الفشل المدوي لبنك دافينهايم. وقد اتخذ اختفاء الممول المصرفي الشهير منحى مختلفًا تمامًا في ضوء الكشف عن الشئون المالية للبنك.

وبينما كنا نتناول فطورنا، انفتح الباب بقوة، ودخل جاب مندفعًا. كان يحمل في يده اليسرى الصحيفة؛ وفي يده اليمنى برقية بوارو التي ألقاها على الطاولة أمام صديقي.

"كيف عرفت يا سيد بوارو؟ كيف بالله عليك عرفت ذلك؟".

ابتسم بوارو بثقة في وجهه، ثم قال: "آه يا صديقي، بعد البرقية التي أرسلتها، تأكد الأمر لديَّ! فمنذ البداية صدمتني سرقة الخزانة بطريقة مدهشة للغاية. فالمجوهرات والأموال النقدية والسندات كانت كلها من أجل من؟ حسنًا، لقد كان العزيز دافينهايم من الناس الذين "يضعون أنفسهم في المقام الأول"! لقد بدا واضحًا أنه رتب كل هذا لنفسه! ثم مسألة شغفه في السنوات الأخيرة بشراء المجوهرات! يا للبساطة! الأموال التي اختلسها، حوَّلها إلى مجوهرات، ومن المرجح جدًا أنه بدَّل هذه المجوهرات بنسخ مقلدة، وبهذا وضع في مكان آمن وتحت اسم آخر ثروة كبيرة ليتمتع بها كلها في الوقت المناسب عندما يتوقف الجميع عن تقفي أثره. وعندما اكتملت ترتيباته حدد موعدًا مع السيد لوين (الذي لم يكن حكيمًا بما يكفي في الماضي بتغلبه على الرجل العظيم مرة أو مرتين)، ثم حفر ثقبًا في الخزانة، وأعطى أوامر بإدخال الضيف إلى المكتب، ثم خرج من المنزل - إلى أين؟". توقف بوارو عن الحديث ومد يده للحصول على بيضة مسلوقة أخرى. ثم عبس وغمغم: "إنه أمر لا يُحتمل حقًا، أن تضع كل دجاجة بيضة بحجم مختلف! كيف سيكون هناك تناسق على مائدة الفطور؟ على الأقل يجب أن يقوموا بفرز البيض تبعًا لأحجامه في المتجر!".

فقال جاب بنفاد صبر: "دعك من البيض الآن. إنني سأحضر لك بيضًا مربع الشكل لو أردت. لكن أخبرنا أين ذهب دافينهايم بعد أن غادر ذا سيدارز - هذا إذا كنت تعرف".

"حسنًا، لقد ذهب إلى مخبئه، آه يا سيد دافينهايم، ربما يكون هناك خلل في بعض الخلايا الرمادية لهذا الرجل، ومع ذلك فمخه رائع!".

"هل تعرف أين يختبئ؟".

"بالتأكيد! إنه مكان عبقري".

"بالله عليك أخبرنا به".

جمع بوارو برفق كل جزء من قشر البيض الذي في صحنه، ثم وضعه في كأس البيض، ثم وضع قشرة البيضة الفارغة فوقه. وأخيرًا انتهى من عمله، وابتسم مسرورًا بالعمل المتقن الذي أداه، وبعدها تهلل وجهه بكل مودة، وقال:

"هيا يا صديقيَّ، أنتما رجلان ذكيان. فاطرحا على نفسيكما السؤال الذي طرحته على نفسي: "إذا كنت مكان هذا الرجل، فأين ينبغي أن أختبئ؟ هاستينجز، ماذا تعتقد أنت؟".

فقلت: "حسنًا، أنا أميل إلى اعتقاد أنني لم أكن لأفر على الإطلاق. فسأبقى في لندن - في قلب الأحداث، أتنقل بقطارات الأنفاق والحافلات؛ وبنسبة عشرة إلى واحد لن يتم التعرف عليَّ أبدًا. فهناك أمان وسط الزحام".

التفت بوارو إلى جاب منتظرًا إجابته.

قال جاب: "أنا لا أتفق مع هذا، فسأهرب في الحال - إن هذا هو الاحتمال الوحيد. فستكون لديَّ فسحة من الوقت لأعد الأمور مسبقًا. وسأجعل زورقًا ينتظرني، وهو مستعد للانطلاق، وسأنطلق إلى أحد أركان العالم النائية قبل أن تبدأ الضجة!".

ثم نظرنا نحن الاثنين إلى بوارو، وسألناه: "ما *رأيك* أنت؟".

ظل بوارو صامتًا لحظة، ثم علت وجهه ابتسامة غريبة للغاية.

"يا صديقيَّ، إذا كنت سأختبئ من الشرطة، فهل تعلمون *أين* سأختبئ؟ *في السجن*!".

"*ماذا؟*".

"أنتم تسعون خلف السيد دافينهايم للزج به في السجن، لكنكم لم تتخيلوا قط أن تتحققوا مما إذا كان موجودًا داخله بالفعل!".

"ماذا تعني؟".

"لقد أخبرتني بأن السيدة دافينهايم لا تتمتع بالذكاء الشديد. وعلى الرغم من هذا فأنا أظن أنك إذا اصطحبتها إلى السجن وواجهتها بذلك الرجل المدعو بيلي كيليت فستتعرف عليه على الفورا مع أنه حلق لحيته وشاربه وحاجبيه الكثيفين، وقصَّر شعره للغاية. فالمرأة تعرف زوجها حتى لو نجح في خداع العالم بأسره".

"بيلي كيليت؟ لكنه معروف للشرطة!".

"ألم أخبرك بأن السيد دافينهايم رجل ذكي؟ لقد أعد حجة غيابه منذ زمن بعيد. إنه لم يذهب إلى بوينس آيرس الخريف الماضي - لقد كان يخلق شخصية بيلي كيليت، "فقد قضى عقوبة ثلاثة أشهر"، حتى لا يكون لدى الشرطة أي شك عندما يحين الوقت المحدد. وتذكر أنه كان يفعل كل ذلك من أجل ثروة كبيرة، وكذلك من أجل نيل تحرره من أي قيد. فقد كان كل ذلك يستحق القيام بهذا الأمر بدقة. فقط...".

"ماذا؟".

"كان مضطرًا فيما بعد لارتداء لحية وشعر مستعارين، لكي يعود *إلى هيئته الأصلية مجددًا*، والنوم بلحية مستعارة ليس بالأمر الهين - فقد ينكشف أمره! ومن ثم لم يستطع المخاطرة بمشاركة الحجرة ذاتها مع زوجته. لقد كشفت أنت لي أنه خلال الأشهر الستة الماضية، أو منذ عودته المفترضة من بوينس آيرس، شغل هو والسيدة دافينهايم غرف نوم منفصلة. فتأكدت من الأمر! إن كل شيء يبدو واضحًا. لقد كان البستاني الذي تخيل أنه رأى سيده يتحرك حول المنزل على حق تمامًا. فقد ذهب إلى مرفأ القوارب، وارتدى ملابسه "البالية"، التي كان على يقين بأنها مخبأة بأمان بعيدًا عن أعين خادمه الخاص، ثم رمى الثياب الأخرى في البحيرة، وشرع في تنفيذ خطته عن طريق رهن الخاتم أمام عدد كبير من الأشخاص. ثم اعتدى على

شرطي، ودخل بأمان إلى ملاذه، أي السجن في شارع باو، حيث لن يفكر أحد أبدًا في البحث عنه هناك! ".

فتمتم جاب قائلًا: "هذا مستحيل".

فقال صديقي مبتسمًا: "اسأل السيدة زوجته".

في اليوم التالي كان هناك خطاب مسجل بعلم الوصول يرقد بجوار طبق بوارو ففتحه، وأخرج منه ورقة من فئة الخمسة جنيهات، ثم انعقد حاجباه.

وردد مؤنبًا نفسه: "يا إلهي! لكن ما الذي سأفعله بهذا المبلغ البسيط؟ أشعر بتأنيب الضمير! يا لصديقي المسكين جاب، لقد خسر رهانه. آه، لقد واتتني فكرة! سنتناول عشاء صغيرًا نحن الثلاثة! فهذا سيريح ضميري. لقد كان حل القضية سهلًا للغاية، وأنا أشعر بالحرج مما طلبته، فالأمر يبدو كمن يسرق شيئًا من طفل صغير. ما بك يا صديقي، لماذا تقهقه؟".

منزل عشتروت المسكون

"والآن، يا دكتور بيندر، ماذا ستقص علينا؟".

ابتسم رجل الدين العجوز برقة، وقال:

"لقد عشت حياتي في أماكن هادئة، ولم تمر بي سوى بعض الحوادث القليلة المهمة. ومع ذلك، عندما كنت شابًا، مررت بتجربة غريبة ومأساوية للغاية".

فقالت جويس ليمبريير مشجعة إياه على الاسترسال: "حقًا!".

فاستطرد الرجل قائلًا: "لم أنسَ هذه التجربة قط. فقد تركت داخلي أثرًا عميقًا حينها، وحتى يومنا هذا عندما تمر ذكراها ببالي أشعر مجددًا بالرعب والرهبة اللذين تملكاني في تلك اللحظات المريعة، عندما رأيت رجلًا يسقط قتيلًا دون وجود أي تدخل بشري واضح تسبب في ذلك".

قال السير هنري بريبة: "أنت تجعلني أشعر بالرعب الشديد يا بيندر".

فأجاب بيندر: "لقد أصابني ذلك بالرعب أيضًا كما تقول، ومنذ ذلك الحين لم أسخر ممن يستخدمون كلمة روح المكان. فهناك بعض الأماكن المسكونة والمشبعة بالمؤثرات الطيبة أو الشريرة التي تهيمن عليها، ومن ثم يمكن الشعور بها".

فقالت الآنسة ماربل: "ذلك البيت المسمى لارتشيز، إنه بيت خانق للغاية. فقد خسر السيد سميذرز العجوز كل أمواله واضطر لتركه، ثم اشترته أسرة كارسليك، فسقط جوني كارسليك من فوق الدرج وكُسرت ساقه، واضطرت السيدة كارسليك إلى الذهاب إلى جنوب فرنسا لتلقي العلاج، والآن يسكن هذا المنزل آل بيردن ولقد سمعت أن السيد المسكين بيردن أجرى عملية جراحية فور انتقاله إليه".

فقال السيد بيثيريك: "ومع ذلك، أظن أن هناك العديد من الخرافات المنتشرة بشأن هذا الموضوع. فهناك الكثير من الأضرار التي لحقت بالعديد من الممتلكات والعقارات بسبب الشائعات الحمقاء التي تروج بلا دليل".

قال السير هنري وهو يقهقه: "أنا عن نفسي أعرف "شبحًا" أو اثنين لهما شخصية قوية وحيوية للغاية".

قال رايموند: "أظن أنه ينبغي لنا أن نسمح للدكتور بيندر باستكمال حكايته".

نهضت جويس وأطفأت المصباحين، تاركة الغرفة مضاءة فقط بالضوء الخافت للنار.

ثم قالت: "الجو العام صار مهيأ، والآن يمكننا أن نكمل".

ابتسم لها الدكتور بيندر، ثم استرخى في مقعده وخلع نظارته، وبدأ يروي حكايته بصوت رقيق محمل بالذكريات.

"لا أعرف ما إذا كان أحدكم يعرف منطقة دارتمور، فالمكان الذي سأحدثكم عنه يقع على حدودها. لقد كان عقارًا رائعًا وفريدًا، على الرغم من أنه ظل معروضًا للبيع سنوات عديدة دون أن يجد له مشتريًا. ربما كان الموقع قاتمًا وباردًا بعض الشيء في الشتاء، لكن المناظر كانت رائعة، وهناك بعض السمات الفريدة والأصيلة التي تخص العقار نفسه. لقد اشتراه رجل يدعى هايدن - السير ريتشارد هايدن. وكنت أعرفه خلال أيام دراسته

الجامعية، وعلى الرغم من أنني لم أكن قد رأيته عدة سنوات، فإن روابط الصداقة القديمة ظلت قائمة، وقبلت بسرور دعوته للذهاب إلى بيته الجديد الذي دعاه باسم سايلنت جروف.

لم تكن الحفلة التي أقامها في المنزل ضخمة، فكان هناك ريتشارد هايدن، وابن عمه إليوت هايدن. وكانت هناك سيدة تدعى الليدي مانرينج تصحبها ابنة شاحبة الوجه ليس بها ما يلفت النظر وتدعى فيوليت. كما حضر الكابتن روجرز وزوجته، وهما زوجان احترفا ركوب الخيل، وصبغت بشرتهما بالسمرة أحوال الطقس المختلفة التي تعرضا لها، وهما يعيشان فقط من أجل الخيل والصيد. وكان هناك أيضًا دكتور سيموندز الشاب والآنسة ديانا آشلي. وكنت أعرف بعض المعلومات عن الأخيرة. فقد كانت صورتها تظهر في كثير من الأحيان في صحف المجتمع بوصفها واحدة من الجميلات اللاتي تحيط بسمعتهن الكثير من الأقاويل المتضاربة. وكان مظهرها رائعًا ولافتًا حقًّا، حيث كان لها شعر داكن، وكانت طويلة القامة، وذات بشرة جميلة لونها أبيض شاحب، وعيناها السوداوان اللتان كانتا نصف مغلقتين منحتاها مظهرًا آسيويًا شرقيًا مثيرًا للفضول. وكان لديها أيضًا صوت رائع عند الحديث، فقد كانت نبرته عميقة وشبيهة بالجرس.

لقد علمت منذ الوهلة الأولى أن صديقي ريتشارد هايدن منجذب إليها بشدة، وخمنت أن الحفلة كلها كانت مرتبة من أجل مقابلتها. ولم أكن متأكدًا من مشاعرها تجاهه، فقد كانت متقلبة المزاج. فيومًا تتحدث مع ريتشارد وتتجاهل أي شخص آخر سواه، ويومًا تفضل ابن عمه إليوت عليه وتبدو كأنها لا تلاحظ وجود ريتشارد على الإطلاق، وفي أحيان أخرى ترسل أكثر ابتساماتها فتنة للهادئ المنعزل الدكتور سيموندز.

وفي الصباح التالي لوصولي أخذنا مضيفنا في جولة لتفقد المنطقة. وكان المنزل في ذاته غير مميز، إنه مجرد منزل قوي

البنيان مشيد من جرانيت ديفونشاير، وقد صُمم لتحمل غوائل الزمن وعوامل التعرية. فلم يكن المنزل يحمل طابعًا رومانسيًا، ولكنه مريح للغاية. ومن نوافذه كان بوسع المرء أن يطالع صورة بانورامية للأراضي السبخة والتلال الواسعة المتدرجة التي تتوجها نتوءات صخرية نحتتها عوامل الطقس.

على منحدرات التلال الأقرب إلينا، كانت هناك دوائر مختلفة من الأكواخ، وهي آثار تنتمي إلى فترة العصر الحجري المتأخر. وعلى تل آخر كان هناك قبر أثري أجريت أعمال تنقيب به مؤخرًا، حيث عُثر على بعض الأدوات البرونزية. وكان هايدن مهتمًا بالأمور الأثرية وقد تحدث إلينا بقدر كبير من الطاقة والحماس. وأوضح أن هذه البقعة بالذات كانت غنية بشكل خاص بآثار الماضي.

فقد عُثر فيها على آثار لسكان أكواخ العصر الحجري الحديث من شعوب الدرويد، والرومان، وكذلك آثار الفينيقيين الأوائل.

ثم قال هايدن: "لكن هذا المكان أكثر بقعة مثيرة بين هذه الأماكن. فهل تعرفون ما اسمه - سايلنت جروف، حسنًا من السهل على المرء أن يخمن من أين جاء الاسم، فهو يعني الأيكة الصامتة".

ثم أشار بيده. كان ذلك الجزء من البلاد خاصة أجرد خاليًا على نحو ملحوظ - ليس به سوى صخور، ونباتات الخلنج والسرخس، ولكن على بعد نحو مائة متر من المنزل كانت هناك أيكة ذات أشجار كثيفة.

قال هايدن: "هذه من آثار الماضي السحيق، لقد ماتت الأشجار وأعيد زرعها، ولكنها بشكل عام تبدو كما كانت - ربما في زمن المستوطنين الفينيقيين. فتعالوا وألقوا نظرة عليها".

تبعناه جميعًا، وعندما دخلنا أيكة الأشجار انتابني شعور غريب بالضيق، وأعتقد أن السبب في ذلك كان الصمت المخيم.

فلم يبدُ أن هناك طيورًا تعشش في هذه الأشجار. وكانت تبدو كما لو أن أجواء الخراب والرعب تخيم عليها. ورأيت أن هايدن ينظر إليّ بابتسامة فضولية.

ثم سألني: "أهناك شعور معين ينتابك تجاه هذا المكان يا بيندر؟ أتشعر بالكراهية تجاهه؟ أم بعدم الراحة؟".

فقلت بهدوء: "هذا المكان لا يروق لي".

"معك كل الحق في ذلك. فقد كان هذا حصنًا لأحد الملوك القدامى، وهذه هي أيكة عشتروت".

"عشتروت؟".

"عشتروت أو عشتار أو عشتوريث، أو أي اسم تختاره لتطلقه عليها. وأنا أفضل الاسم الذي أطلقه عليها الفينيقيون، عشتروت. فهناك، على ما أعتقد، أيكة واحدة معروفة باسم أيكة عشتروت في هذا البلد - في الشمال عند السور. وليس لديَّ دليل حاسم على ذلك بالطبع، لكنني أحب أن أصدق أن لدينا هنا أيكة عشتروت حقيقية وأصيلة. فهنا، داخل هذه الدائرة الكثيفة من الأشجار، كانت تُمارس ذات يوم بعض الطقوس العقائدية عند شعب معين".

فغمغمت ديانا آشلي: "طقوس عقائدية". ثم ارتسمت في عينيها نظرة حالمة، وقالت: "أنا أتساءل، ما كانت طبيعة هذه الطقوس؟".

فقال الكابتن روجرز وهو يصدر ضحكة عالية غير مفهومة: "إنها ليست ذات سمعة طيبة على أية حال. لكنني أتخيل أنها كانت أمورًا مثيرة".

لم يلتفت هايدن إليه.

ثم قال: "في منتصف الأيكة كان من المفترض أن يكون هناك مكان للعبادة. ولا يسعني زيارة كثير من هذه الأماكن في الواقع، لكنني كوَّنت تخيلًا خاصًا بي عن هذا المكان".

خطونا في تلك اللحظة إلى منطقة خالية وسط الأشجار، وفي منتصفها كان هناك شيء يشبه إلى حد كبير منزلًا صيفيًا مصنوعًا من الحجر. ثم نظرت ديانا آشلي إلى هايدن نظرة تساؤل.

فقال: "أنا أطلق عليه اسم المنزل المسكون، إنه منزل عشتروت المسكون".

ثم قادنا إلى الداخل. وفي الداخل، على عمود بسيط من خشب الأبنوس، وضعت صورة صغيرة مثيرة للفضول تمثل امرأة ذات قرون هلالية، وهي تمتطي أسدًا.

قال هايدن: "عشتروت الفينيقيين، إنها رمز القمر".

صاحت ديانا: "رمز القمر. أوه، فلنقم حفلًا الليلة. بل أقترح أن نرتدي ملابس تنكرية، ونحضر إلى هنا في ضوء القمر ونحتفل بطقوس عشتروت".

صدرت مني حركة مباغتة: فالتفت إليوت هايدن ابن عم ريتشارد إليَّ مسرعًا.

ثم قال: "أنت لا يروق لك كل هذا، أليس كذلك يا بيندر".

فقلت متجهمًا: "لا، لا يروق لي".

فنظر إليَّ بفضول، ثم قال: "لكن كل هذه مجرد تخمينات. فلا يمكن لـ ريتشارد أن يعرف ما إذا كانت هذه الأيكة حقًّا مسكونة أم لا. إنه شيء من وحي خياله فقط؛ إنه يحب التسلي بهذه الفكرة. وعلى أية حال، إذا كانت...".

"إذا كانت ماذا؟".

فصدرت منه ضحكة مزعجة، وقال: "حسنًا، أنت لا تؤمن بهذا النوع من الأمور. أليس كذلك؟ فأنت رجل دين".

"لست متأكدًا من أنني بوصفي رجل دين يجب أن أؤمن بذلك".

"لكن كل هذه الأمور انتهت وأصبحت ماضيًا".

فقلت، وأنا غارق في التفكير: "أنا لست متأكدًا تمامًا، بل أنا أعرف فقط أنني رجل لا يؤمن بكلمة أو تأثير ما يعرف بروح المكان، ولكن منذ دخولي أيكة الأشجار هذه شعرت بانطباع غريب وإحساس بالشر والتهديد من حولي".

نظر حوله باضطراب، ثم قال: "نعم، إن هذا غريب نوعًا ما. أنا أفهم ما تعنيه لكنني أفترض أنها فقط مخيلتنا هي ما تجعلنا نشعر بهذه الطريقة. فما رأيك يا سيموندز؟".

ظل الطبيب صامتًا دقيقة أو دقيقتين قبل أن يجيب بهدوء قائلًا:

"أنا لا أحب هذا المكان، ولا يمكنني أن أخبركم بالسبب، لكن بطريقة ما أو بأخرى، أنا لا أحبه".

في تلك اللحظة اقتربت فيوليت مانرينج مني ثم صرخت: "أنا أبغض هذا المكان، أبغضه، فهيا دعونا نغادره".

ومن ثم تحركنا مبتعدين، فتبعنا الآخرون. لكن ديانا آشلي تلكأت خلفنا، فالتفت ورأيتها تقف أمام المنزل المسكون تحدق بشغف إلى الصورة الموضوعة داخله.

كان اليوم حارًا ولكنه جميل على نحو غير معتاد، وقد لقي اقتراح ديانا آشلي بإقامة حفلة تنكرية في ذلك المساء استحسانًا عامًا. وحدث لاحقًا ما هو مألوف في أجواء كهذه من ضحك وهمس وإعداد للأزياء في سرية، وعندما حضرنا جميعًا لتناول العشاء، صدرت عن بعض الأشخاص صيحات الفرح والبهجة المعتادة. وكان روجرز وزوجته يرتديان ثياب سكان أكواخ العصر الحجري الحديث - ما فسَّر الاختفاء المفاجئ للسجاد من أمام الموقد. وادعى ريتشارد هايدن أنه بحار فينيقي، بينما ارتدى ابن عمه زي قطاع الطرق، وكان الدكتور سيموندز طاهيًا، وكانت السيدة مانرينج ممرضة في المستشفى، بينما صارت ابنتها فتاة شركسية. أما أنا فلبست بترحاب شديد ملابس رجل دين من

العصور القديمة. ثم نزلت ديانا آشلي في النهاية وخيبت أملنا جميعًا على نحو ما، فقد كانت ترتدي عباءة سوداء قبيحة.

قالت باستخفاف: "المجهولة، هذه هي أنا. والآن بالله عليكم هيا بنا لنتناول وجبة العشاء".

وبعد تناول العشاء خرجنا جميعًا. وكانت ليلة جميلة دافئة وناعمة، وكان القمر بازغًا.

تجولنا وتحدثنا ومر الوقت بسرعة كبيرة. وبعد مرور ساعة تقريبًا أدركنا أن ديانا آشلي لم تكن معنا.

قال ريتشارد هايدن: "من المؤكد أنها أوت إلى الفراش".

فهزت فيوليت مانرينج رأسها نفيًا، وقالت: "لا. لقد رأيتها تنطلق في هذا الاتجاه منذ ربع ساعة مضت". وكانت تشير وهي تتحدث إلى أيكة الأشجار التي بدت معتمة وحالكة الظلام تحت ضوء القمر.

فقال ريتشارد هايدن: "أنا أتساءل عما تفعله هناك. فلا بد أنه أمر شرير، فلنذهب لنرى".

تجمعنا معًا، وكان لدينا فضول كبير بشأن ما كانت الآنسة آشلي تفعله. ومع ذلك، شعرت لوهلة، برغبة غريبة في العودة عند دخول دائرة الأشجار المظلمة المنذرة بالخطر. وبدا أن هناك شيئًا أقوى مني يمنعني ويحثني على عدم الدخول. كما غدوت أكثر اقتناعًا من أي وقت مضى بالشر الكامن في المكان. وأعتقد أن الآخرين مروا بهذه الأحاسيس ذاتها التي شعرت بها، مع أنهم ما كانوا ليقبلوا الاعتراف بذلك. لقد زرعت الأشجار متقاربة بعضها من بعض بشكل كبير بحيث لم يستطع ضوء القمر اختراقها. وكان هناك العديد من الأصوات الخافتة حولنا، همسات وتنهدات. وبدا هذا الشعور مخيفًا إلى أقصى الحدود، وباتفاقنا المشترك ظللنا قريبين بعضنا من بعض.

فجأة خرجنا إلى المنطقة الفسيحة في وسط الأيكة، ووقفنا جامدين من الدهشة، فهناك على عتبة البيت المسكون، وقفت امرأة متلألئة وملتفة بإحكام بشاش شفاف، ولديها قرنان على شكل الهلال يبرزان من كتل شعرها الداكنة.

قال ريتشارد هايدن والعرق يتساقط من جبينه: "يا إلهي!".

لكن فيوليت مانرينج كانت أكثر انتباهًا. لقد صاحت متعجبة: "هذه ديانا، ما الذي فعلته بنفسها؟ أوه، إنها تبدو مختلفة إلى حد ما!".

رفعت المرأة الواقفة عند الباب يديها، ثم خطت خطوة للأمام، وأنشدت بصوت مرتفع وعذب.

وغنت قائلة: "أنا عشتروت، احترس وأنت تقترب مني، لأنني أحمل الموت بين يدي".

فقالت السيدة مانرينج معترضة: "لا تفعلي ذلك يا عزيزتي. لقد أفزعتنا، لقد أفزعتنا حقًا".

اندفع هايدن تجاهها، وهو يصيح: "يا إلهي، ديانا! أنت رائعة".

كانت عيناي قد اعتادتا ضوء القمر، وتمكنت من الرؤية بوضوح أكبر. لقد بدت بالفعل مختلفة تمامًا كما قالت فيوليت. كان وجهها يبدو آسيويًا بشكل كبير، وعيناها تلمعان بوحشية، وهناك ابتسامة غريبة مرتسمة على شفتيها لم أرَ لها مثيلًا من قبل.

صرخت ديانا محذرة: "احترسوا، لا تقتربوا مني، فإذا وضع أي واحد منكم يده عليَّ فسيكون الموت هو مصيره".

فصاح هايدن: "أنت رائعة يا ديانا، لكن توقفي عن هذا. فبطريقة أو بأخرى لا يروقني ما تفعلين".

كان يقترب منها عبر العشب، فرفعت يدها محذرة إياه.

ثم صاحت: "توقف. فلو اقتربت خطوة أخرى، فسأرديك بقوة عشتروت الخارقة".

ضحك ريتشارد هايدن وأسرع نحوها، وفجأة حدث أمر غريب. لقد تردد لحظة، ثم بدا كأنه تعثر ثم سقط على الأرض.

لم ينهض مجددًا، لكنه ظل مستلقيًا مكانه على الأرض.

وفجأة بدأت ديانا تضحك بشكل هستيري، وكان صوت ضحكتها غريبًا رهيبًا يشق صمت الأيكة.

بعدها اندفع إليوت للأمام وهو يطلق سبابًا.

ثم صاح: "لا يمكنني تحمل ذلك، انهض يا ريتشارد، انهض يا رجل".

لكن ريتشارد هايدن لم يبرح المكان الذي سقط فيه. وحين وصل إليوت إليه، جثا بجواره وقلّبه برفق. ثم انحنى وظل يحدق إلى وجهه.

وسرعان ما هب واقفًا على قدميه وهو يترنح قليلًا.

ثم قال: "أيها الطبيب، أيها الطبيب، بالله عليك اقترب. أظن - أظن أنه لقي مصرعه".

ركض سيموندز تجاهه، بينما انضم إليوت إلينا مجددًا وهو يمشي ببطء شديد. وكان ينظر إلى أسفل نحو يديه بطريقة لم أفهمها.

وفي هذه اللحظة أطلقت ديانا صرخة وحشية.

ثم صاحت: "لقد قتلته، يا إلهي! لم أقصد هذا، لكنني قتلته".

بعدها خرت مغشيًا عليها، وسقطت على كومة مجعدة من العشب.

ثم صدرت صرخة من السيدة روجز.

صرخت قائلة: "يا للهول، هيا نخرج من هذا المكان المخيف. قد يحدث لنا أي شيء هنا. إن هذا مريع!".

أمسك إليوت بكتفي ثم غمغم: "هذا مستحيل يا رجل. إنني أخبرك بأن هذا *مستحيل*. لا يمكن لرجل أن يُقتل بهذه الطريقة. إن هذا - ضد قوانين الطبيعة".

حاولت تهدئته، فقلت له:

"إليك تفسيري لما حدث. لا بد من أن ابن عمك كان يعاني ضعفًا في القلب، والصدمة والإثارة...".

فقاطعني قائلًا:

"أنت لا تفهم". ثم رفع يديه لأراهما، فلاحظت بقعة حمراء عليهما.

"لم يمت ريتشارد من الصدمة، لقد طُعن - طعن في قلبه، دون *سلاح*".

حدقت به غير مصدق. وفي تلك اللحظة نهض سيموندز بعد أن انتهى من فحصه الجسد وتقدم نحونا. لقد كان شاحبًا وجسده كله يرتجف.

ثم قال: "أجننا جميعًا؟ ما هذا المكان الذي يمكن أن تحدث فيه مثل هذه الأمور؟".

فقلت: "إذن، ما حدث كان حقيقيًا".

فأومأ برأسه إيجابًا.

"الجرح يبدو كما لو أنه من صُنع خنجر له نصل رفيع طويل، لكن، لكن ليس ثمة أي خنجر هناك".

نظرنا جميعًا بعضنا إلى بعض.

ثم صاح إليوت هايدن: "لا بد أنه سقط. لابد أنه ملقى في مكان ما على الأرض. فهيا نبحث".

بحثنا في الأرض لكن دون جدوى. ثم قالت فيوليت مانرينج بغتة:

"هناك شيء في يد ديانا. إنه شيء يشبه الخنجر. لقد رأيته. لقد رأيت بريقه عندما هددته".

هز إليوت هايدن رأسه نافيًا.

ثم قال معترضًا: "لقد كان بعيدًا عنها بمسافة لا تقل عن ثلاثة أمتار تقريبًا".

انحنت السيدة مانرينج على الفتاة المتمددة على الأرض.

ثم قالت: "ليس هناك أي شيء بيدها الآن. ولا أستطيع أن أرى أي شيء على الأرض. هل أنت واثقة بأنك رأيته يا فيوليت؟ فأنا لم أرَ أي شيء".

اقترب الدكتور سيموندز من الفتاة، ثم قال:

"لابد من أن نحملها إلى المنزل. روجرز، هلا ساعدتني؟".

حملنا جسد الفتاة المغشى عليها، وعدنا به إلى المنزل. ثم عدنا وجلبنا جسد السير ريتشارد".

توقف الدكتور بيندر عن سرد حكايته معتذرًا، ثم نظر حوله، وقال:

"إن المرء لديه معرفة أفضل في الوقت الحاضر بسبب انتشار الأدب البوليسي. فكل فتى في الشارع يعرف الآن أنه يجب ترك الجثة في مكان وجودها، لكن في تلك الأيام لم تكن لدينا المعرفة نفسها. وبناءً عليه، حملنا جثة ريتشارد هايدن إلى غرفة نومه في المنزل المربع المصنوع من الجرانيت، وأرسلنا الخادم الشخصي بدراجة بحثًا عن الشرطة - في رحلة مسافتها تقارب العشرين كيلومترًا.

حينها انتحى بي إليوت هايدن جانبًا، ثم قال: "اسمع سأعود إلى الأيكة؛ إذ يجب أن نجد السلاح".

فقلت بنبرة متشككة: "إذا كان هناك سلاح".

فجذبني من ذراعي وهزه بعنف: "لقد دخلت هذه الخرافات في رأسك. فأنت تظن إذن أن موته حدث خارق للطبيعة؛ حسنًا، سأعود إلى الأيكة لأكتشف الأمر".

عارضت ذهابه لسبب غير مفهوم، وكرهت أن يفعل ذلك. فبذلت قصارى جهدي لأثنيه عن الذهاب، لكن دون نتيجة. فمجرد فكرة وجود تلك الدائرة الكثيفة من الأشجار كانت مقيتة بالنسبة لي، وسيطر عليَّ هاجس قوي ينبئ بحدوث كارثة أخرى، لكن إليوت كان مصممًا بشدة. أعتقد أنه كان خائفًا، لكنه لم يكن ليعترف بذلك. لقد انطلق وهو عاقد العزم تمامًا على التوصل إلى حل اللغز.

كانت ليلة مروعة للغاية، فلم يستطع أحد منا النوم أو محاولة القيام بذلك. وعندما وصل رجال الشرطة، لم يكونوا متأكدين بصراحة من حقيقة الأمر برمته. لقد أظهروا رغبة قوية في استجواب الآنسة آشلي، لكن كان عليهم الرجوع إلى الدكتور سيموندز الذي عارض الفكرة بشدة؛ إذ كانت الآنسة آشلي قد أفاقت من إغمائها أو غيبوبتها، ومن ثم أعطاها جرعة منومة؛ لذا لم يكن هناك مجال لإزعاجها حتى اليوم التالي.

لم يفكر أحد في شأن إليوت هايدن إلا في نحو الساعة السابعة صباحًا، ثم سأل سيموندز فجأة عن مكانه. فأوضحت له ما فعله إليوت، فغدا وجه سيموندز المتجهم بطبيعته أكثر تجهمًا. ثم قال: "أتمنى لو لم يفعل. إن... إن هذه حماقة".

"أتظن أن هناك أذى ما من الممكن أن يكون قد لحق به؟".

"أتمنى ألا يكون قد أصابه مكروه، وأظن أنه من الأفضل أن نذهب أنا وأنت يا بيندر لتفقده".

كنت أعلم أنه على حق، لكن الأمر تطلب مني أن أستجمع كل شجاعتي لكي أدفع نفسي للقيام بهذه المهمة. انطلقنا معًا، ودخلنا مرة أخرى أيكة الأشجار المنكوبة. وهتفنا باسمه مرتين، ولم نتلقَّ أي رد. وفي غضون دقيقة أو دقيقتين، وصلنا إلى المنطقة الخالية، التي بدت شاحبة وشبحية في ضوء الصباح الباكر. وعندئذ أمسك سيموندز بذراعي، وأطلقت أنا صيحة دهشة. ففي

الليلة الماضية تحت ضوء القمر وقعت أبصارنا على جثة رجل مستلقٍ بوجهه على العشب. أما الآن في ضوء الصباح الباكر، فقد وقعت أبصارنا على المشهد ذاته، لكن هذه المرة كان إليوت هايدن مستلقيًا في المكان ذاته الذي لقي فيه ابن عمه مصرعه.

صاح سيموندز: "*يا إلهي! لقد نالت منه أيضًا!*".

ركضنا معًا على العشب. وكان إليوت هايدن فاقد الوعي ويتنفس بوهن، وفي هذه المرة لم يكن هناك أي مجال للشك في سبب حدوث تلك المأساة. فقد كان هناك سلاح برونزي طويل رفيع لا يزال مغروسًا في الجرح.

عقّب الطبيب قائلًا: "لقد أصابه في كتفه لا قلبه. هذا من حسن الحظ. ولا أعرف فيما يمكن أن أفكر، ولا أستطيع تخيل ما حدث، لكن على أية حال إنه لم يمت، وسيتمكن من إخبارنا بهذا".

لكن هذا هو بالضبط ما لم يتمكن إليوت هايدن من فعله. فعندما استفاق كان وصفه غامضًا إلى أقصى حد. لقد بحث عن الخنجر بلا طائل، وفي النهاية تخلى عن البحث ووقف بالقرب من البيت المسكون. وفي ذلك الوقت، أصبح على يقين متزايد بأن شخصًا ما كان يراقبه من بين حزام الأشجار. فقاوم إليوت هذا الإحساس، لكنه لم يتمكن من التخلص منه. وقال إن هناك رياحًا باردة غريبة بدأت تهب، ولم يكن يبدو أنها آتية من الأشجار بل من داخل المنزل المسكون. فاستدار إليوت، وهو يحدق إلى داخل المنزل. ثم رأى التمثال الصغير لعشتروت وشعر بأنه كان تحت تأثير شكل من أشكال الوهم البصري. إذ يبدو أن ذلك التمثال كان ينمو بشكل أكبر فأكبر. ثم فجأة تلقى ما يشبه ضربة بين صدغيه جعلته يترنح إلى الوراء، وعندما سقط كان يشعر بألم حاد في كتفه اليسرى.

تطابق ذلك الخنجر هذه المرة مع ذلك الذي عُثر عليه في القبر الأثري على التل، واشتراه ريتشارد هايدن. لم يعرف أي

شـخص ما إذا كان قد احتفظ به ريتشـارد في المنزل أو في البيت المسكون في الأيكة.

وكانت الشـرطة ترى، وسـتظل تـرى دائمًا، أن ريتشـارد تعرض للطعن عمدًا من قبل الآنسة آشلي، ولكن في ضوء دليلنا المشترك المتمثـل فـي أنهـا كانـت تبعد عنه ثلاثـة أمتار على الأقل، لم يكن بإمـكان رجـال الشـرطة إثبـات التهمـة الموجهـة ضدهـا وإن كانـوا يأملون هذا. لذلك كان هذا الأمر ولا يزال لغزًا".

عم الصمت المكان.

وبعد صمت طويل قالت جويس ليمبريير: "لا يبدو أن هناك شـيئًا يمكـن أن يقـال. فهـذا فظيـع للغايـة - وخـارق للطبيعـة. ألا تمتلك من جانبك أية تفسيرات يا دكتور بيندر؟".

أومـأ الرجـل العجـوز برأسـه، وقـال: "نعـم. لديَّ تفسـير، ومـع ذلك هو تفسير من نوع آخر. وربما يبدو غريبًا في جوهره - لكنه يظل في رأيي يفتقر إلى الإجابة عن عوامل محددة لم تُفسَّـر كما ينبغي، ومن ثم لن أعلن عنه".

قالـت جويـس: "لقد ذهبتُ إلى جلسـات روحيـة، ويمكن للمرء أن يـحدِّث عمـا يجـري فيهـا ولا حـرج، ففـي هـذه الجلسـات مـن الممكـن أن تحـدث أشـياء غريبـة جـدًا. وإننـي أفترض أنـه يمكـن تفسيرها على أنها نوع من التنويم المغناطيسي. لقد حوَّلت ديانا نفسـها إلى عشـتروت حقًا، وأعتقد بطريقة أو بأخرى أنها طعنته. وربما ألقت بعيدًا بالخنجر الذي رأته الآنسة مانرينج في يدها".

فقـال رايمونـد ويسـت مقترحًـا: "أو ربمـا كان رمحًـا، ففـي النهايـة، ضـوء القمـر ليـس قويًـا جدًا؛ لـذا ربما كان هنـاك رمح ما فـي يدهـا ومـن ثـم أمكنهـا طعنـه مـن مسـافة بعيـدة، كمـا أجـد أن احتمـال تعرضكم للتنويم المغناطيسـي الجماعـي يمكن أن نضعه في الاعتبار. وأعني، لقد كنتم جميعًا في هذا المكان على استعداد

لرؤيته مضروبًا بوسائل خارقة للطبيعة، وهكذا رأيتموه على هذا النحو".

قال السير هنري: "لقد رأيت العديد من الألعاب الرائعة التي أُجريت باستخدام الأسلحة والسكاكين في الاحتفالات المختلفة. وأفترض أنه من الممكن أن يكون هناك رجل مختبئ في أيكة الأشجار، وأنه ربما رمى سكينًا أو خنجرًا بدقة كافية من مكمنه هذا - حسب اتفاق مسبق بالطبع. وأعترف بأن هذا قد يصعب تصديقه، لكن يبدو أن هذا هو النظرية الوحيدة الممكنة حقًا. وأنتم تذكرون أن إليوت كان يشعر بأن هناك شخصًا ما في أيكة الأشجار يراقبه. أما قول الآنسة مانرينج إن الآنسة آشلي كانت تحمل خنجرًا في يدها، ثم قول الآخرين إنها لم تحمل شيئًا، فهذا لا يفاجئني. ولو كانت لكم خبرتي، فستعرفون أن رواية خمسة أشخاص للحدث ذاته ستختلف لدرجة تكاد تكون مذهلة".

سعل السيد بيثيريك، ثم قال:

" ولكن في كل هذه النظريات يبدو أننا نتجاهل حقيقة أساسية واحدة. ماذا حدث للسلاح؟ فمن الصعب أن تتمكن الآنسة آشلي التخلص من الرمح وهي واقفة؛ لأنها كانت في وسط مكان مفتوح؛ ولو ألقى قاتل مختبئ خنجرًا، لظل الخنجر مغروسًا في موضع الجرح عندما فُحص جسد ريتشارد. بل أعتقد أننا يجب أن نتجاهل كل النظريات بعيدة الاحتمال ونقتصر على الحقائق الموضوعية".

"وإلى أين قادتنا هذه الحقائق الموضوعية؟".

"حسنًا، هناك شيء واحد يبدو واضحًا. لم يكن هناك أحد بالقرب من ريتشارد عندما سقط صريعًا، لذا فالشخص الوحيد الذي قد يكون طعنه، هو ريتشارد نفسه. إنه حادث انتحار في الواقع".

سـأل رايمونـد ويسـت متشـككًا: "لكـن لمـاذا قـد يـرغـب فـي الإقدام على الانتحار؟".

سـعل المحامـي مجـددًا، ثـم قـال: "آه، هـذا السـؤال يطـرح نظريـات أخـرى. فـفـي الوقـت الحالـي أنـا لا أهتـم بالنظريـات. بـل هكـذا بـدا الأمـر بالنسـبة لـي، فعنـد اسـتبعاد الحـوادث الخارقـة للطبيعـة التـي لا أؤمـن بهـا ولـو للحظـة، يظل مـا قلتـه هـو الشـيء الوحيد الذي يمكن أن يكون قد حدث. لقد طعن نفسه، ثم عندما شـعر بأنـه أصـاب هدفه، انتزع الخنجر من الجـرح ورماه بعيدًا في المنطقة المليئة بالأشـجار. وهذا ما أعتقد أنه يمكن أن يكون قد حـدث، علـى الرغـم مـن أن هـذا فـي نهايـة المطـاف يظـل احتمـالًا مستبعدًا بعض الشـيء".

قالـت الآنسـة ماربـل: "لا أحـب أن أقطـع بـرأيـي، فهـذا الأمـر برمتـه يحيرنـي كثيـرًا. لكـن الأشـياء الغريبـة تحـدث دومًـا. فـفـي حفلة حديقة السيدة شاربلي العام الماضي، تعثر الرجل الذي كان يرتـب لعبـة الجولـف الدائريـة بأحد الأرقـام - وظل فاقـدًا الوعي تمامًا - ولـم يسـترد وعيه قبل مرور خمس دقائق تقريبًا".

فقال رايموند برفق: "أجل، يا خالتي العزيزة، لكنه لم يُطعن. أليس كذلك؟".

فقالـت الآنسـة ماربـل: "بالطبـع لا يـا عزيـزي. وهـذا مـا كنـت سـأخبركم به. بالطبع لم يكن هناك سـوى طريقة واحدة قد يكون السـير ريتشـارد المسكين طُعن بها، لكنني كنت أتمنى لو عرفت ما الـذي جعلـه يتعثـر في المقـام الأول. بالطبع، ربما كان هذا بسـبب جذور شـجرة أو ما شـابهها على الأرض. لقد كان ينظر إلى الفتاة، وبمـا أنـه لـم يكن هناك سـوى ضوء القمر فمـن الطبيعي أن يتعثـر المرء في أشياء دون انتباه".

فقال رجل الدين وهو ينظر إلى الآنسة ماربل بفضول شديد: "هل تقولين إن هناك طريقة واحدة لا غير قد يكون السير ريتشارد قد طُعن بها يا آنسة ماربل؟".

"هذا أمر محزن للغاية ولا يروق لي التفكير فيه. لقد كان ريتشارد يستخدم يده اليمنى وليست اليسرى، ألم يكن كذلك؟ فلكي يتمكن من إصابة نفسه في كتفه اليسرى لا بد أن يكون كذلك. وكثيرًا ما شعرت بالأسف الشديد على جاك باينز المسكين أثناء الحرب، حيث أطلق النار على قدمه، كما تتذكرون، بعد قتال عنيف للغاية في أراس لينأى بنفسه عن مناطق القتال. لقد أخبرني بسره عندما ذهبت لرؤيته في المستشفى، وكان يشعر بالخزي الشديد جراء ذلك. ولا أتوقع أن يكون هذا الرجل المسكين، إليوت هايدن، قد استفاد كثيرًا من جريمته الشريرة".

فصاح رايموند: "إليوت هايدن، هل تظنين أنه من فعلها؟".

قالت الآنسة ماربل، وقد اتسعت عيناها دهشة: "لا أرى أنه يمكن لأي شخص غيره أن يفعلها بأية طريقة. أعني، كما يقول السيد بيثيريك، إذا نظر المرء إلى الحقائق وتجاهل كل ذلك الحديث عن الخرافات والأوهام البصرية التي لا أعتقد أنها جذابة بأي قدر. فلقد توجه إليوت إلى ريتشارد أولًا، ثم قلَبه، وبطبيعة الحال، كان عليه أن يولي ظهره لهم جميعًا، ولأنه كان يرتدي زي رئيس عصابة من قطاع الطرق، فمن المؤكد أنه كان يملك سلاحًا من أي نوع في حزامه. وإنني أتذكر في إحدى الحفلات التنكرية، كنت فيها بصحبة رجل يرتدي زي رئيس عصابة تقليديًا عندما كنت فتاة صغيرة. وكانت لديه خمسة أنواع من السكاكين والخناجر في حزامه، ولا يمكنني أن أخبركم كيف كان الأمر محرجًا وغير مريح لي".

تحولت كل الأعين إلى الدكتور بيندر.

فقال: "لقد عرفتُ الحقيقة بعد مضي خمس سنوات من وقوع هذه المأساة. فقد جاءتني الحقيقة في شكل خطاب كتبه لي إليوت هايدن، وقال فيه إنه تخيل أنني كنت أشتبه به دائمًا، وقال إن ما حدث كان إغواءً مفاجئًا. فقد كان هو أيضًا يحب ديانا آشلي، لكنه كان مجرد محامٍ فقير مكافح. وبما أن إزاحة ريتشارد عن الطريق تعني وراثته لقبه وممتلكاته، فقد رأى إليوت أن ثمة فرصة رائعة تتهيأ أمامه. حيث برز الخنجر خارج غمده عندما جثا على ركبتيه بجانب ابن عمه، وقبل أن يتدبر الأمر جيدًا أخرج الخنجر بكامله من حزامه، وطعن به ريتشارد، وأعاده إلى حزامه مرة أخرى. ثم طعن نفسه في وقت لاحق ليصرف الشبهات عنه. لقد كتب إليَّ عشية سفره مع رحلة استكشافية إلى القطب الجنوبي في حال - كما قال- لم يعد قط. ولا أعتقد أنه كان ينوي العودة، وأنا أعلم أن جريمته - كما قالت الآنسة ماربل - لم تنفعه بشيء. فقد كتب لي قائلًا: "طوال خمس سنوات عشت في جحيم من عذاب الضمير. وآمل، على الأقل، أن أكفر عن جريمتي بالموت بصورة مشرفة".

خيَّم الصمت على المكان.

ثم قال السير هنري: "ولقد مات بشرف حقًّا يا دكتور بيندر. لقد غيَّرت أنت أسماء أبطال القصة الحقيقيين، لكنني أظن أنني تعرفت على الرجل الذي تقصده".

فاستأنف الدكتور بيندر حديثه قائلًا: "كما قلت، لا أعتقد أن ذلك التفسير وحده يغطي كل الحقائق. فما زلت أعتقد أنه كان هناك تأثير شرير لتلك الأيكة، وهو التأثير الذي وجَّه إليوت هايدن على نحو ما لاقتراف جريمته. وحتى يومنا هذا لا يسعني إلا أن أرتعد حال التفكير بأي شكل في منزل عشتروت المسكون".

زمردة الراجا

بذل جيمس بوند جهدًا حقيقيًا لكي يولي انتباهه مرة أخرى ذلك الكتاب الأصفر الصغير الذي كان يحمله بين يديه. وعلى غلاف الكتاب كتبت تلك العبارة الساذجة والمغرية للكثيرين مع ذلك: "هل ترغب في زيادة راتبك 300 جنيه سنويًا؟" أما الكتاب نفسه، فكان سعره شلنًا واحدًا. وكان جيمس قد انتهى من فوره من قراءة صفحتين من الفقرات المحددة التي تطلب منه أمورًا من نوع أن ينظر إلى وجه رئيسه في العمل عند محادثته، ويكتسب شخصية حيوية، وأن يُظهر لمن حوله سمات الكفاءة والنشاط. ثم وصل إلى أمر أكثر أهمية: "هناك وقت للتحلي فيه بالصراحة، ووقت لالتزام التكتم"، لقد أخبره الكتاب الأصفر الصغير بأن "الرجل القوي لا يفصح عن *كل* ما يعرفه". وقد أغلق جيمس الكتاب الصغير، ورفع رأسه، وحدق إلى المحيط الأزرق الممتد. لقد راوده شك بأنه *ليس* رجلا قويًا. فالرجل القوي يسيطر على موقفه الحالي ولا يصبح ضحية له، وللمرة الستين في هذا الصباح راجع جيمس أخطاءه.

كانت هذه إجازته. أهي إجازته؟ ها ها! ترددت داخله ضحكة متهكمة. فمن الذي أقنعه بالقدوم إلى منتجع أنيق بجانب البحر، كيمبتون - أون - سي؟ جريس. من الذي حثه على إنفاق أكثر مما يمكنه تحمله؟ جريس. ولقد نفذ هو تلك الخطة بكل حماس.

لقد دفعته إلى الحضور إلى هنا، وماذا كانت النتيجة؟ بينما يقيم هو في نزل مغمور على بعد كيلومترين ونصف الكيلو تقريبًا من شاطئ البحر، هجرته جريس - التي على الأقل كان من الواجب أن تقيم في نزل مماثل - (ليس النُزل نفسه بالطبع - حيث كانت التقاليد المتبعة في الدائرة المقربة من جيمس صارمة للغاية) بشكل صادم، وأقامت هي في فندق إيسبلانيد الذي يطل على البحر.

لقد بدا أن لها أصدقاء هنا. أصدقاء! قالها جيمس وهو يطلق ضحكة متهكمة أخرى. وعاد بذاكرته إلى السنوات الثلاث الأخيرة، حيث كانت بداية تقربه من جريس. وكانت وقتها غاية في البهجة لأنه اختصها بالاهتمام والمحبة، وكان ذلك قبل أن تصل إلى أوج مجدها في متجر القبعات في شارع هاي ستريت. وفي تلك الأيام الأولى كان جيمس هو صاحب الحظوة في العلاقة بينهما، أما الآن! للأسف تغيرت الحال. فكانت جريس من الأشخاص الذين ينطبق عليهم وصف "يجني المال الوفير" وقد جعلها هذا متعجرفة. نعم، هكذا أصبحت، متعجرفة تمامًا. وخطرت على ذهن جيمس أبيات مشوشة من كتاب شعر كانت تتحدث عن: "شكر الخالق، إذا أحبكِ رجل صالح". لكن الأشياء من هذا القبيل لم تكن هي ما يلفت انتباه جريس، التي صارت معتادة تناول طعام فندق مثل إيسبلانيد بشهية، لقد كانت تتجاهل حب الرجل الصالح تمامًا. كما كانت تحظى بالفعل - دون ممانعة من جانبها- باهتمام شخص أحمق خبيث يُدعى كلود سوبورث، وهو الرجل الذي كان جيمس على يقين بأنه بلا أخلاق على الإطلاق.

دق جيمس الأرض بكعبه، ثم عبس وهو يحدق في الأفق. كيمبتون - أون - سي، ما الذي دفعه للقدوم إلى مكان مثل هذا؟ لقد كان منتجعًا بارزًا للأثرياء ومحبي الموضة، وكان به فندقان كبيران، وعلى مسافة عدة كيلومترات تمتد الأجنحة السكنية

الخلابة التي تسكنها الممثلات، وأعضاء الطبقة الأرستقراطية الإنجليزية الذين تزوجوا بزوجات ثريات. كان إيجار أصغر جناح مفروش 25 جنيهًا إسترلينيًا في الأسبوع. إن مثل هذا الرقم يحفز الخيال للتفكير في ثمن إيجار الأجنحة الأكبر حجمًا. وكان واحد من هذه الأماكن يقع خلف مقعد جيمس مباشرة، ويخص الرياضي الشهير اللورد إدوارد كامبيون، وكان يجلس هناك في هذه اللحظة عدد من الضيوف المهمين، ومنهم راجا مارابوتنا، الذي يمتلك ثروة هائلة. قرأ جيمس كل شيء عن هذا الرجل في الصحيفة الأسبوعية المحلية هذا الصباح؛ حيث قرأ عن الحدود المترامية لممتلكاته الهندية، وقصوره، ومجموعته الرائعة من المجوهرات، وبخاصة تلك الزمردة الشهيرة التي أعلنت الصحف بحماس أنها كانت بحجم بيضة الحمامة. لم يكن جيمس - الذي تربى في المدينة - يعرف جيدًا ما هو حجم بيض الحمام، لكن هذا الوصف خلَّف لديه انطباعًا مؤثرًا.

قال جيمس وهو يحدق متجهمًا في الأفق: "لو كنت أمتلك زمردة مثل هذه، لكان بإمكاني جعلها تندم على ما فعلته بي".

كانت مشاعر جيمس مبهمة ومختلطة، لكن التعبير عنها جعله يشعر بتحسن. ثم سمع جيمس أصواتًا ضاحكة تحييه من الخلف، فاستدار فجأة ليرى أمامه جريس. وكانت معها كلارا وأليس ودوروثي سوبورث - وللأسف! كلود سوبورث. لقد كانت الفتيات متشابكات الأيدي ويضحكن.

صاحت جريس بمكر: "تبدو غريبًا هنا!".

فقال جيمس: "نعم،...".

كان بإمكانه، بل شعر بأنه كان بإمكانه أن يرد ردًا أكثر إيضاحًا؛ إذ لا يسعك نقل انطباع الشخصية الحيوية من خلال استخدام كلمة "نعم" فقط. لكنه نظر بامتعاض شديد إلى كلود سوبورث الذي كان يرتدي ثيابًا جميلة كأنه بطل في أحد العروض

الكوميدية الموسيقية. وكان جيمس يتوق بشغف إلى اللحظة التي يلوث فيها أحد كلاب الشاطئ المتحمسين بأقدامه الرطبة التي تملؤها الرمال البياض الناصع لسروال كلود القطني. مع أن جيمس نفسه كان يرتدي سروالًا من القطن الرمادي الداكن لا يتسم بالأناقة.

فقالت كلارا وهي تستنشق الهواء بامتنان: "أليس الهواء منعشًا؟ ألا يشعرك ذلك بالذنب لجلوسك ساكنًا دون نشاط؟".

ثم قهقهت.

قالت أليس سوبورث: "إنه الأوزون. إنه يعد منشطًا رائعًا كما تعرفين"، ثم قهقهت هي الأخرى.

قال جيمس في نفسه: "أود أن أطرق رأسيهما الغبيين أحدهما بالآخر. فما الفائدة من الضحك طوال الوقت؟ إنهما لا تقولان أي شيء مضحك".

غمغم كلود - السمج في نظر جيمس - بهدوء:

"هلا ذهبنا للسباحة، أم سيكون هذا عملًا شاقًا للغاية؟".

قوبلت فكرة السباحة بترحاب شديد، وجاراهم جيمس في حماسهم، حتى إنه تمكن بذكاء من التأخر عنهم قليلًا ليكون برفقة جريس.

ثم قال متذمرًا: "اسمعي! أنا لا أكاد أراكِ".

فقالت جريس: "حسنًا، أنا متأكدة من أننا جميعًا معًا الآن، وبإمكانك أن تأتي وتتناول الغداء معنا في الفندق، على الأقل يمكنك أن تغيّر ...".

ثم نظرت إلى ساقي جيمس نظرة شك.

فسألها جيمس بشراسة: "ما الخطب؟ لست أنيقًا بما يكفي لك على ما أظن، أليس كذلك؟".

فقالت جريس: "أظن يا عزيزي أن عليك أن تبذل جهدًا أكبر بعض الشيء، فالجميع هنا غاية في الأناقة. انظر إلى كلود سوبورث!".

قال جيمس متجهمًا: "أعرف كيف يبدو. فلم أرَ رجلا أكثر حماقة منه".

فابتعدت جريس عنه.

"ليس هناك داعٍ لانتقاد أصدقائي يا جيمس، فهذا غير لائق. إنه يرتدي مثل أي سيد أنيق في هذا الفندق".

قال جيمس: "هه! هل تعلمين ما الذي قرأته ذات يوم في جريدة "سوسايتي سنبيتس"؟ أن الدوق - دوق... لا يمكنني تذكر أي دوق هو، لكن على أية حال كان هناك دوق ما أسوأ من يرتدي ثيابًا في إنجلترا!".

فقالت جريس: "يمكنني أن أتجرأ وأقول لك إنه على الرغم من ذلك، يظل دوقًا في نهاية المطاف".

فسألها جيمس: "حسنًا. وما الذي يعيبني ويمنعني من أن أصبح دوقًا ذات يوم؟ حسنًا، ربما لا أصبح دوقًا، ولكن يمكن أن أصبح ندًا له".

أخرج جيمس الكتاب الأصفر من جيبه، وتلا عليها قائمة طويلة من عظماء العالم الذين بدأوا حياتهم بشكل أكثر ضعة من جيمس بوند، فضحكت جريس بمرح.

وقالت بسخرية: "لا تكن متواضعًا هكذا يا جيمس. أتخيل أنك ستكون ذات يوم إيرل كيمبتون - أون - سي!".

نظر إليها جيمس نظرة اختلط فيها الغضب باليأس. فلابد أن هواء منتجع كيمبتون - أون -سي قد أفسد عقل جريس.

كان الشاطئ في كيمبتون عبارة عن ممشى طويل ومستقيم من الرمال. فيما امتد صف من أكواخ الاستحمام بالتساوي على طوله لنحو كيلومترين ونصف الكيلو تقريبًا. ثم توقف الجمع

قبل صف من ستة أكواخ كُتب عليها جميعًا بصيغة حاسمة: "لزوار فندق إيسبلانيد فقط".

قالت جريس: "ها قد وصلنا؛ لكنني أخشى أنك لن تستطيع الدخول معنا يا جيمس، فسيكون عليك التوجه للخيام العامة هناك لاستبدال ملابسك. وسنلتقي في البحر، إلى اللقاء!".

فقال جيمس وهو يسير في الاتجاه الذي أشارت إليه: "إلى اللقاء".

اصطفت اثنتا عشرة خيمة متهالكة في مواجهة المحيط. وكان هناك بحار مسن يحرسها، ويحمل في يده حزمة من الورق الأزرق. أخذ البحار المسن من جيمس بعض الفكة، ومزق بطاقة زرقاء من الحزمة التي يحملها ومنحه إياها، ثم ألقى له بمنشفة وجذبه من كتفه، وقال له بخشونة: "انتظر دورك".

عندها انتبه جيمس للمنافسة القائمة. فقد كان هناك آخرون غيره يرغبون في نزول البحر. ولم تكن كل خيمة مشغولة فحسب، بل كان يوجد خارج كل خيمة حشد من الأشخاص المتطلعين لفعل الشيء نفسه وهم يحدق بعضهم ببعض في تحفز. فاختار جيمس لنفسه أصغر مجموعة وانتظر معها. وبعد قليل فُتح باب إحدى الخيام، وظهرت في المشهد امرأة شابة جميلة، ترتدي ثوب السباحة، وتضع غطاء رأسها بطريقة تشير إلى أنها تتمتع بوقتها بشكل كامل وليست متعجلة مطلقًا. ثم مشت إلى حافة الماء، وجلست بتثاقل على الرمال.

قال جيمس في نفسه: "هذا ليس مؤشرًا جيدًا"، ثم التحق بمجموعة أخرى من المنتظرين أدوارهم.

وبعد انتظار خمس دقائق، صدرت أصوات من الخيمة الثانية تدل على وجود حركة ونشاط بها. وبعدها فُتح باب الخيمة ليخرج منها أربعة أطفال، ثم ظهر والدهم ووالدتهم. وفي اللحظة ذاتها

اندفعت سيدتان شابتان تجاه الخيمة، وجذبت كل منهما أحد جانبي مدخلها.

فقالت الشابة الأولى وهي تلهث قليلًا: "لو سمحتِ".

فردت الشابة الأخرى وهي تصيح: "لو سمحت أنتِ".

قالت الشابة الأولى بسرعة: "أنا أنتظر هنا قبل أن تأتي أنتِ بعشر دقائق".

فقالت الشابة الثانية بتحدٍّ: "وأنا أنتظر هنا منذ ربع ساعة، وكل واحد من الموجودين يمكنه أن يؤكد ذلك".

وهنا اقترب البحار المسن ليفض الخلاف، وقال: "حسنًا، حسنًا".

صاحت الشابتان في وجهه، وعندما انتهت كل منهما، أشار بإصبعه إلى الشابة الثانية، وقال باقتضاب:

"إنه دورك".

ثم ابتعد متجاهلًا كل الاعتراضات. فلم يكن الرجل يعرف أو يهتم بمعرفة من منهما جاءت أولًا، لكن قراره - كما يقولون في مسابقات الصحف - كان باتًّا. فأمسك جيمس بذراع البحار بيأس، وقال:

"انتظر!".

"ماذا يا سيدي؟".

"كم تبقى من الوقت لكي أدخل الخيمة؟".

ألقى البحار المسن نظرة فاترة على الحشد المنتظر، ثم قال: "ربما ساعة، ربما ساعة ونصف الساعة، لا يمكنني تحديد ذلك بالضبط".

وفي هذه اللحظة لمح جيمس جريس وفتيات سوبورث يركضن بخفة على الرمل تجاه البحر.

فقال في نفسه: "اللعنة! اللعنة!".

ثـم جـذب البحـار المسـن مـرة أخـرى، وقـال: "ألا يمكننـي أن أجـد خيمـة فـي أي مـكان آخـر؟ مـاذا عـن هـذه الأكـواخ هنـاك؟ إنها تبدو جميعًا خاوية".

فرد البحار العجوز بوقار: "هذه الأكواخ خاصة".

وبعـد أن قـال هـذا بنبـرة مسـتنكرة، مضـى البحـار المسـن فـي طريقـه. ومـع شـعوره بمـرارة مـن خـدع، نـأى جيمـس بنفسـه عـن المجموعـات المنتظـرة، واتجـه باندفـاع نحـو الشـاطئ. لقـد بلـغ صبـره غايتـه، ولـم يعـد فـي إمكانـه التحمـل! ثـم نظر بغضـب إلى مقصورات الاسـتحمام التي مر بجوارها، وفي هذه اللحظة تحول مـن شـخص راقٍ هـادئ إلـى رجـل عـادي ثائـر. وتسـاءل بسـخط لِمَ يجب أن يمتلك الأثرياء أكواخ استحمام وتكون لديهم القدرة على الاسـتحمام فـي أي وقـت يختارونـه دون أن ينتظـروا وسـط الزحـام كالآخرين؟ ثم قال جيمس لنفسه بحنق: "إن نظامنا كله *خطأ*".

ومـن البحـر ارتفـع صـوت صياحـات المـرح بسـبب الميـاه المتناثـرة. وكان ذلـك صـوت جريسـ! والـى جانـب صرخاتهـا علا صوت ضحكات كلود سوبورث: "ها ها ها".

قال جيمس وهو يعض على أسنانه: "سحقًا!"، وهذا الشعور بالغيظ الشديد لم يجربه جيمس من قبل، بل كان يقرأ عنه فقط في الأعمال الأدبية.

توقف عن النظر إلى جريس وكلود، وولى ظهره للبحر بحزم. ونظر بدلًا من ذلك ببغض شديد إلى إيجلز نيست وبوينا فيستا ومون ديزير. فلقد كان من عادة قانطي منتجعات مثل كيمبتون - أون - سي أن يطلقوا أسماء فخمة على أكواخ الاستحمام الخاصة بهم. ورأى جيمس أن اسم إيجلز نيست سخيف، ويعني عش النسر، أما اسم بوينا فيستا فكان يفوق تعليمه في اللغات الأجنبية. لكن معرفتـه المحـدودة باللغـة الفرنسـية كانـت كافيـة لتجعلـه يـدرك مغزى الاسم الثالث، ويعني رغبتي.

وفي تلك اللحظة رأى أنه على الرغم من أن أبواب أكواخ الاستحمام الأخرى كانت مغلقة بإحكام، فإن باب مون ديزير كان منفرجًا. فتفحص جيمس الشاطئ جيدًا، إذ إن هذه البقعة خاصة غالبًا ما تشغلها أمهات من عائلات كبيرة، ويكُن مشغولات دومًا بمراقبة أبنائهن. وكانت الساعة العاشرة، وهذا وقت مبكر للغاية بالنسبة للأرستقراطيين من نزلاء كيمبتون -أون - سي لكي يستيقظوا ويتجهوا للسباحة.

فقال جيمس في نفسه: "من المرجح أنهم الآن في أسرتهم يأكلون السمان والفِطر اللذين أحضرهما الخدم لهم على الصواني! ولن يأتي أي منهم إلى هنا قبل الثانية عشرة ظهرًا".

ثم نظر مجددًا تجاه البحر مذعنًا "للفكرة المهيمنة على عقله بخصوص غياب العدالة"، وتناهت إليه في أثناء ذلك صيحات جريس الصاخبة التي كانت تملأ المكان، ثم تبعتها ضحكات كلود سوبورث.

فقال جيمس بغيظ: "سأبدل ملابسي وأنضم إليهم".

دفع جيمس باب كوخ مون ديزير ودخل. وللحظة اعترته رجفة، حيث رأى أثواب سباحة متنوعة معلقة على المشاجب، لكنه سرعان ما اطمأن، فقد كان الكوخ مقسومًا إلى نصفين، على الجانب الأيمن، كانت هناك سترة نسائية صفراء، وقبعة متسخة من القش، وزوج من أحذية الشاطئ يتدليان فوق مشجب. وعلى الجانب الأيسر، كان هناك سروال قطني رمادي وكنزة صوفية وقبعة، وكان من الواضح وجود مكان مخصص للذكور وآخر مخصص للإناث في الكوخ. انتقل جيمس سريعًا إلى الجانب المخصص للرجال من الكوخ، ثم خلع ملابسه على عجل. وبعد مضي ثلاث دقائق، كان في البحر يستنشق الهواء الذي ملأ به رئتيه، ويحرك ذراعيه في ضربات قصيرة وسريعة كسباح محترف - حيث كان يغطس برأسه وفي الوقت نفسه يضرب الماء بذراعيه.

صاحت جريس: "أوه، هذا أنت! كنت أخشى أن يمر وقت طويل قبل أن تلحق بنا بسبب هذا الحشد المنتظر هناك".

فقال جيمس: "أحقًا؟".

شعر بامتنان كبير للكتاب الأصفر الذي جاء فيه أن "الرجل القوي يمكنه أن يكون كتومًا في بعض الأحيان"، وللحظة تمالك أعصابه مجددًا ولم يخبرها بما فعله. ثم تحدث بتهكم وحزم في آن واحد إلى كلود سوبورث الذي كان يعلّم جريس أساسيات السباحة على الظهر.

قال: "لا، لا أيها الرجل المسن، أنت تفعلها بشكل خاطئ. بل سأريها أنا".

وبسبب نبرة صوته الواثقة انسحب كلود منزعجًا. والشيء المؤسف الوحيد هو أن هذا الانتصار لم يدم طويلًا. فبرودة المياه الإنجليزية ليست من النوع الذي يحفز السباحين على البقاء فيها فترات طويلة. لقد كان لون بشرة جريس وفتيات سوبورث قد تحول إلى الأزرق من شدة البرد، وكانت أسنانهن يصطك بعضها ببعض. فتسابقت الفتيات إلى الشاطئ، واتخذ جيمس طريقه عائدًا إلى مون ديزير. وبينما كان في الكوخ ينشف جسده بحماس ويرتدي قميصه، كان يشعر بالرضا عن نفسه. لقد شعر بأنه أظهر حقًا شخصيته الحيوية والمبادرة.

وفجأة وقف ساكنًا، وقد جمده شعور بالفزع. فمن خارج الكوخ، تعالت أصوات فتيات، كانت مختلفة عن صوت جريس وصديقاتها. وبعد لحظة أدرك الحقيقة، فقد وصل الملاك الأصليون لكوخ مون ديزير. وربما لو كان جيمس مرتديًا ثيابه بالكامل لانتظر مجيئهم بوقار، وحاول أن يفسر لهم الأمر. وبما أن هذه لم تكن الحال، فقد شعر جيمس بالذعر. غير أنه كانت هناك ستائر متواضعة من اللون الأخضر القاتم تغطي نوافذ كوخ مون ديزير، فلا تسمح لمن في الخارج برؤية من في الداخل . فاندفع جيمس

باتجاه الباب، ثم أمسك بالمقبض من الداخل بيأس، بينما كانت هناك أيدٍ تحاول إدارة المقبض بقوة وإصرار من الخارج.

وكان هناك صوت فتاة تقول: "إنه مغلق. لقد ظننت أن بيج قالت إنه مفتوح".

"لا، إن ووجل هو من قال ذلك".

قالت الفتاة الأخرى: "ووجل شخص لا يطاق، بل كم هو أحمق. يجب أن نعود ونحضر المفتاح".

سمع جيمس صوت خطواتهن وهي تبتعد. فالتقط نفسًا عميقًا طويلا، وبسرعة شديدة ارتدى باقي ملابسه. وبعد دقيقتين كان يتهادى بلا مبالاة على الشاطئ، وعلى وجهه تبدو البراءة الشديدة. وبعد ربع ساعة انضمت إليه جريس وفتيات سوبورث على الشاطئ. ومر باقي الصباح في ممارسة أنشطة تسلية مثل رمي الأحجار في الماء، والكتابة على الرمال، والمزاح اللطيف. ثم نظر كلود إلى ساعته، وقال:

"حان وقت الغداء، من الأفضل أن نعود".

فقالت أليس سوبورث: "أنا أتضور جوعًا".

وكذلك الفتيات الأخريات قلن إنهن جائعات للغاية.

وسألت جريس: "هل ستأتي معنا يا جيمس؟"

كان جيمس حساسًا بلا مبرر، لذا مال إلى استشعار الإساءة في نبرتها.

فقال لها بمرارة: "سآتي إلا إذا كانت ثيابي لا تروق لك بما يكفي. وربما لأنك مميزة للغاية، لن يمكنني أن أذهب معكم".

كانت هذه الكلمات كفيلة بأن تثير احتجاج جريس الذي يمكنها أن تعبر عنه بالكثير من الكلمات، لكن هواء البحر كان له تأثير عليها، فاكتفت بالقول:

"كما تحب، أراك بعد الظهر إذن".

ثم رحلت وتركت جيمس مصدومًا.

ثم قال وهو يحدق إلى المجموعة وهي تبتعد: "حسنًا! حسنًا، فلتذهبوا إلى...".

ذهب جيمس للتنزه في المدينة وهو غاضب. وكان هناك مقهيان في منتجع كيمبتون - أون - سي، وكان الجو حارًا بهما، ويتسمان بطغيان الضوضاء والزحام عليهما. ثم تكرر ما حدث معه أمام أكواخ الاستحمام، وكان على جيمس أن ينتظر دوره، بل كان عليه أن ينتظر إلى ما بعد دوره، فقد حالت سيدة عجوز مراوغة وصلت من فورها بينه وبين الجلوس على المقعد الشاغر، لكنه في النهاية جلس إلى طاولة صغيرة. وبالقرب من أذنه اليسرى كانت هناك ثلاث فتيات ذوات شعر قصير مصفف، يغنين مزيجًا من مقطوعات من الأوبرا الإيطالية، ولحسن الحظ لم يكن جيمس موسيقيًا متمرسًا، وإلا لزاد استياؤه من غنائهن السيئ. وقد راجع جيمس قائمة أسعار الطعام بفتور، ثم دس يده في جيبه وهمس لنفسه: "مهما كان ما أطلبه، فمن المؤكد أنه سيكون "غير موجود"، فأنا معتاد على مثل هذه الأمور".

وبينما كانت يده اليمنى تتلمس طريقها في جيبه، أحس بوجود غرض غير مألوف. لقد كان شيئًا يشبه الحصاة، حصاة دائرية كبيرة.

قال جيمس مفكرًا: "ما الذي يجعلني أضع حصاة في جيبي؟".

قبضت أصابعه عليها. ثم تقدمت النادلة منه، فقال جيمس: "أريد سمك بليسيه مقليًا ورقائق البطاطس من فضلك".

تمتمت النادلة وعيناها تتطلعان إلى السقف بنظرة حالمة: "إن سمك بليسيه غير متوافر".

فقال جيمس: "حسنًا سأتناول لحمًا بالكاري".

"اللحم بالكاري غير متوافر".

سأل جيمس: "هل هناك أي شيء "متوافر" في هذه القائمة البغيضة؟".

بدا الانزعاج على وجه النادلة، فوضعت سبابتها الرمادية الشاحبة أمام اللحم المقدد، فقبل جيمس المتاح ووافق على طلبه. ظل جيمس يشعر بالاستياء من أسلوب عمل هذه المقاهي. ثم أخرج يده من جيبه، وكان الحجر لا يزال مستقرًا بها. ففتح قبضته، ونظر بذهن شارد إلى ذلك الغرض المستقر في راحته. لقد نسي كل الأمور الأخرى التي كانت تدور في ذهنه من الصدمة، واتسعت عيناه عن آخرهما. فلم يكن الشيء الذي يحمله بين يديه حصاة، لقد كان -مما لا شك فيه - زمردة، وكانت خضراء وضخمة. وراح جيمس يحدق فيها بذعر. لا، لا يمكن أن تكون زمردة، لا بد من أنه زجاج ملون. لا يمكن أن تكون هناك زمردة بهذا الحجم، ما لم - مرت تلك الكلمات أمام عيني جيمس: "راجا مارابوتنا - زمردة مشهورة بحجم بيضة الحمام". فهل هذه - هل من الممكن أن تكون - هي الزمردة *ذاتها* التي ينظر إليها الآن؟ عادت النادلة بطبق اللحم، فأطبق جيمس يده على الزمردة بإحكام. لقد سرت في جسده قشعريرة باردة، ونما لديه شعور بأنه في مأزق خطير. إذن هذه هي الزمردة - لكن هل هي حقًا؟ هل يمكن أن تكون هي؟ فتح قبضته واختلس النظر إليها بلهفة. فلم يكن جيمس خبيرًا في الأحجار الكريمة، لكن عمق لون الزمردة وبريقها أقنعاه بأن الأمر حقيقي. أسند جيمس مرفقيه إلى الطاولة، وانحنى للأمام، وهو ينظر بعينين غائمتين إلى طبق اللحم، الذي تركه يبرد أمامه. كان عليه أن يفكر في الأمر، وإذا كانت هذه هي زمردة راجا بالفعل، فما الذي سيفعله بها؟ مرت كلمة "الشرطة" بذهنه. إذا وجدت أي شيء ثمين، فسلمه إلى قسم الشرطة، على هذا المبدأ نشأ جيمس.

إنها هـي- لكن كيف دخلت هذه الزمردة جيب سـرواله؟ كان هذا بلا شـك السـؤال الذي ستطرحه الشرطة. وكان سؤالًا غريبًا، عـلاوة علـى أنـه كان سـؤالًا بـلا إجابـة فـي الوقـت الحالـي. كيـف وصلت الزمـردة إلى جيب سـرواله؟ نظر بيأس إلى أسفل الطاولة، وبينما كان يفعل هذا انتابه هاجس، فنظر إلى سرواله بتمعن. إنه سـروال قطنـي رمـادي اللـون يشـبه سـرواله القطني الرمـادي إلى حد كبير، وكان هو السـروال ذاته فيما يبدو، لكن كان هناك شـعور قوي لدى جيمس بأن هذا السـروال ليس سـرواله. فاسـترخى في مقعـده مذهـولًا مـن هـول ما اكتشـفه. لقد فهم الآن مـا حدث، إنه في غمرة اسـتعجاله للخروج من كوخ الاسـتحمام، ارتدى السـروال الخطـأ. لقـد تذكـر الآن، لقـد علَّق سـرواله علـى مشـجب ملاصق لذلـك المعلـق عليـه هذا السـروال المماثل له فـي الكوخ. نعم، هذا يفسـر الأمـر برمتـه، لقـد ارتـدى السـروال الخطـأ. لكن مـع ذلك، مـا الـذي تفعله زمـردة تسـاوي مئات الآلاف مـن الجنيهات في هذا السـروال؟ وكلمـا فكـر فـي الأمـر، بـدا أكثـر غرابـة. بالطبـع يمكنه تفسير الأمر للشرطة، لكن...

كان الأمـر غريبًا دون شك. وعليه أن يعترف بأنه دخل عن عمد كـوخ شـخص آخـر. وبالطبـع لم تكن هـذه جريمة خطيـرة، لكن ما فعله يظل تصرفًا غير سليم.

"هل أحضر لك أي شيء آخر يا سيدي؟".

حضـرت النادلـة مـرة أخـرى، وكانـت تنظـر بتركيـز إلـى طبـق اللحـم الـذي لـم يمسـه. فتنـاول جيمس بعضًـا منـه باسـتعجال، وطلـب الفاتـورة. ومـا أن تلقى الفاتـورة، حتى دفـع قيمتها ومضى. وبينما كان يقف في الشـارع، وهو في حيرة من أمره، لفت انتباهه ملصـق علـى الجهة المقابلـة من الطريق. فقد كانت هناك جريدة مسـائية تصـدر فـي المدينـة المتاخمـة لهارشيسـتر، وكان ملصـق هذه الجريدة هو ما يتطلع إليه جيمس. إذ يعرض ببساطة حقيقة

تقول إن: "زمردة الراجا سرقت"، فقال جيمس بصوت خافت: "يا إلهي"، ثم استند بوهن على عمود. وعندما استجمع قواه أخرج قرشًا من جيبه، واشترى نسخة من الجريدة، ولم يطل به الوقت في البحث عن مبتغاه. فالأمور المثيرة بالجرائد المحلية قليلة ومتباعدة. وكانت العناوين الرئيسية تزين الصفحة الأولى. "حادث سرقة مثير في جناح اللورد إدوارد كامبيون. سرقة أشهر زمردة تاريخية. وخسارة فادحة أصابت راجا مارابوتنا". كانت الحقائق قليلة وبسيطة. فقد كان اللورد إدوارد كامبيون يستقبل العديد من الأصدقاء ليلة أمس، وبما أنه كان يرغب في استعراض الزمردة أمام إحدى السيدات الحاضرات، فقد ذهب الراجا لإحضارها ليكتشف أنها مفقودة. وبناء على ذلك حضرت الشرطة التي لم تتوصل حتى الآن إلى أي دليل. وترك جيمس الجريدة تسقط من بين يديه على الأرض. ولم يكن واضحًا أمامه كيف وصلت الزمردة إلى جيب سروال قطني في كوخ استحمام، لكن ما أثقل كاهله طوال الوقت هو أن الشرطة ستتشكك بكل تأكيد في حكايته إذا ما رواها. فما الذي عليه فعله؟ إنه الآن يقف في الشارع الرئيسي لفندق كيمبتون - أون - سي ومعه غنيمة تساوي ثروة ملوك ترقد ساكنة في جيبه، وبينما قوات شرطة المقاطعة بأكملها مشغولة بالبحث عنها. كان أمامه خياران: الأول أن يتوجه مباشرة لقسم الشرطة ويخبر القائمين عليه بحكايته - لكن لا بد من الاعتراف بأن جيمس كان يخشى هذا الخيار بشدة. أما الخيار الثاني، فكان أن يتخلص من الزمردة بطريقة أو بأخرى. لقد خطر بباله أن يضعها في طرد صغير أنيق ويعيدها إلى الراجا، ثم هز رأسه لينفض الفكرة عنه، لقد قرأ الكثير من القصص البوليسية من هذا القبيل. إنه يعرف كيف يمكن للشرطي السري أن يتصرف حيال مواقف كهذه. كما أن أي محقق بارع سيفحص طرد جيمس، وفي غضون نصف ساعة أو أقل سيكتشف مهنة

المرسل وعمره وعاداته ومظهره الشخصي. وبعد ذلك سيكون الأمر مسألة ساعات قبل أن يُقبض عليه. وعندئذ خطرت لجيمس خطة غاية في البساطة.

كانت هذه ساعة الغداء، وسيكون الشاطئ خاليًا نسبيًا، ويمكنه أن يعود إلى كوخ مون ديزير ويعلق السروال في المكان ذاته الذي وجده فيه، ويستعيد سرواله وينتهي كل شيء بخير. وبالفعل توجه جيمس بخفة باتجاه الشاطئ.

لكن ضميره وخزه بعض الشيء. فالزمردة ينبغي أن تعود إلى الراجا. لقد تفتق ذهنه عن فكرة ما تنطوي على بعض العمل البوليسي من جانبه - وذلك إذا نجح في استعادة سرواله، ووضع الآخر مكانه. ووفقًا لهذه الفكرة، وجّه خطواته نحو البحار المسن، الذي اعتبره حقًا مصدرًا لا ينضب للمعلومات في منتجع كيمبتون.

قال جيمس بلغة مهذبة: "معذرة! لكنني أعتقد أن صديقًا لي يمتلك كوخًا على الشاطئ، واسمه السيد تشارلز لمبيتون، إن الكوخ يدعى مون ديزير، على ما أظن".

كان البحار المسن مستقرًا على مقعد، ويضع غليونًا في فمه، ويحدق في البحر. فنحى الرجل غليونه قليلًا إلى جانب فمه، ورد دون أن يرفع بصره عن الأفق:

"مون ديزير ملك لسيادة اللورد إدوارد كامبيون، فالجميع يعرفون ذلك. ولم أسمع عن تشارلز لمبيتون هذا من قبل، لا بد أنه وافد جديد".

قال جيمس: "شكرًا لك"، ثم سار مبتعدًا.

أذهلته المعلومة التي حصل عليها، إذ من المؤكد أن الراجا لم يضع الزمردة في جيبه، ونسي أمرها. وقد هز جيمس رأسه، إذ إن هذه النظرية لم ترضه، لكن من الجلي أن أحد الحضور في

الحفل قد يكون هو اللص. وقد ذكَّر هذا الموقف جيمس ببعض من الأعمال الأدبية التي قرأها.

وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع جيمس عما عزم على فعله، فالأجواء كانت مواتية للغاية؛ إذ كان الشاطئ خاليًا تقريبًا، كما كان يأمل. وحالفه الحظ بشكل أكبر، فكان باب الكوخ لا يزال مواربًا. واستغرق الأمر منه لحظة لكي يتسلل إلى الداخل، وبينما كان جيمس يرفع سرواله عن المشجب، ارتفع صوت خلفه جعله يستدير فجأة. قال صاحب هذا الصوت: "لقد أمسكت بك يا رجل!".

حدق جيمس إلى صاحب الصوت بفم فاغر. لقد كان هناك رجل لا يعرفه جيمس يقف عند باب مون ديزير؛ كان أنيقًا في الأربعين من عمره تقريبًا، وذا وجه حاد القسمات يشبه وجه الصقر.

كرر الرجل الغريب قوله: "إذن لقد أمسكت بك".

تلعثم جيمس وهو يقول: "من - من أنت؟".

فقال الآخر بخشونة: "المحقق ميريليس من شرطة العاصمة، ولن أفلتك حتى تسلم الزمردة".

"الـ - الزمردة؟".

كان جيمس يرغب في كسب بعض الوقت.

فقال المحقق ميريليس: "سبق أن قلت ذلك، ألم يكن كلامي واضحًا؟".

كانت تعبيراته حادة وعملية، وحاول جيمس أن يتمالك نفسه. ثم قال ببعض الرصانة: "أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه".

"أوه، حسنًا أيها الفتى، أظن أنك تعرف جيدًا ما الذي أتحدث عنه".

فقال جيمس: "الأمر برمته مفهوم بشكل خاطئ، يمكنني أن أفسر لك الأمر ببساطة". ثم صمت برهة.

تبدت على وجه المحقق نظرة استغراب، ثم قال بجفاء: "الجميع يقولون هذا دومًا. أفترض أنك التقطتها وأنت تتنزه على الشاطئ، أليس كذلك؟ هذا هو التفسير الذي كنت ستقوله".

إن هذا الافتراض بالفعل يشبه ما حدث، وقد أدرك جيمس هذه الحقيقة، لكنه ما زال يحاول كسب بعض الوقت.

ثم تساءل في حيلة دفاعية بائسة: "كيف لي أن أعرف أنك الشخص نفسه الذي تدعي صفته؟".

فتح ميريليس معطفه لحظة ليُري جيمس شارته. فحدق جيمس إليها وعيناه تكادان تقفزان من محجريهما.

ثم قال المحقق بنبرة يغلب عليها الود: "والآن، أنت تدرك طبيعة موقفك! أنت مبتدئ - يمكنني أن أقطع بهذا. فهذه أول مرة لك، أليس كذلك؟".

أومأ جيمس برأسه موافقًا.

"أظن أنك ستسلمني الزمردة الآن يا فتى، أم ينبغي لي أن أفتشك؟".

استعاد جيمس بعضًا من تماسكه، وقال:

"إنها - إنها ليست بحوزتي".

كان يفكر بيأس.

فسأله ميريليس: "هل تركتها في مكان إقامتك؟".

فأومأ جيمس برأسه إيجابًا.

فقال المحقق: "لا بأس إذن، سنذهب إلى هناك معًا".

ثم تأبط ذراع جيمس.

وقال له: "لن أسمح بأية فرصة للهرب مني. سنذهب إلى مسكنك، وستسلمني هذه الزمردة".

تمتم جيمس بكلام مضطرب وغير مفهوم، ثم سأل وهو يرتعش: "إذا فعلت، فهل ستدعني أذهب؟".

بدا على ميريليس الانزعاج، ثم قال مفسرًا: " لقد علمنا من فورنا كيف أُخذت الجوهرة، وكذلك بالنسبة للسيدة المتورطة في الأمر، وبالطبع سيرغب الراجا بقدر المستطاع في التكتم على الحادث. وأنت تعرف كيف يتعامل هؤلاء الحكام الهنود".

لم يكن جيمس يعلم أي شيء عن الحكام الهنود، باستثناء بعض التفاصيل التي ارتبطت بإحدى القضايا الشهيرة في وقت مضى، لكنه أومأ برأسه بمظهر يوحي بالتفهم الشديد.

ثم قال المحقق: "بالطبع، إنهم يتصرفون بطرق غريبة للغاية؛ لكنك *ربما* تفلت من العقاب على أية حال".

أومأ جيمس برأسه مجددًا. ثم سارا بطول فندق إيسبلانيد، وكانا يتجهان نحو المدينة. وعلى الرغم من أن جيمس أشار إلى الاتجاه الذي سيسيران فيه، لكن الرجل أبى أن يخفف من قبضته القوية على ذراع جيمس.

وفجأة تردد جيمس، وتحدث بعبارات مبهمة. فنظر إليه ميريليس بحدة ثم ضحك، فلقد كانا يمران بجوار قسم الشرطة، وقد لاحظ نظرات جيمس الخائفة تجاهه.

فقال مداعبًا: "سأعطيك فرصة أولًا قبل تسليمك".

وفي تلك اللحظة بدأت الأمور تتحول تمامًا. لقد أطلق جيمس صرخة عالية، وتشبث هو بذراع الرجل الآخر، وصرخ بأعلى صوته:

"النجدة! لص. النجدة! لص".

احتشد الناس حولهما في أقل من دقيقة بينما كان ميريليس يحاول تخليص ذراعه من قبضة جيمس.

فصاح جيمس: "أنا أتهم هذا الرجل. أنا أتهمه بسرقتي".

فصاح ميريليس: "ما هذا الذي تقوله أيها الأحمق؟".

فتولى شرطي كان موجودًا في مكان قريب مسئولية التعامل مع الأمر، فاصطحب ميريليس وجيمس إلى داخل مركز الشرطة. وهناك كرر جيمس شكواه أمام المفتش المناوب.

قال جيمس بحماس: "لقد سرقني هذا الرجل. لقد وضع محفظتي في جيبه الأيمن، هناك!".

فتذمر الرجل الآخر قائلًا: "هذا الرجل مجنون. ويمكنك أن تفتشني بنفسك أيها الشرطي، وستتأكد مما إذا كان يقول الحقيقة أم لا".

وبإشارة من المفتش، وضع الشرطي يده في جيب ميريليس، ثم أخرج منها شيئًا وهو يطلق شهقة دهشة.

قال المفتش وهو يجفل: "يا إلهي! لابد أن هذه هي زمردة الراجا".

بدا ميريليس أكثر ذهولًا من أي شخص آخر.

ثم صرخ قائلًا: "هذا فخ، فخ. لابد أن هذا الرجل وضعها في جيبي بنفسه ونحن نسير معًا. إنها مدسوسة".

تسببت شخصية ميريليس القوية وردود فعله في تردد المفتش، ومن ثم فقد تحولت شكوكه إلى جيمس. ثم همس إلى الشرطي بشيء، فخرج الأخير.

قال المفتش: "والآن أيها السادة، لنأخذ أقوالكما كل على حدة".

قال جيمس: "بالتأكيد. لقد كنت أسير على الشاطئ، وقابلت هذا الرجل، ولقد ادعى أنه يعرفني منذ فترة طويلة. لم أتذكر أنني قابلته من قبل، لكن تهذيبي منعني من أن أقول له هذا. ثم سرنا معًا وكنت أشك فيه، وبمجرد أن مررنا من أمام قسم الشرطة، وجدت يده في جيبي. فأمسكت به، وصرخت طالبًا المساعدة".

نقل المفتش بصره إلى ميريليس.

"والآن حان دورك يا سيدي".

فبدا ميريليس مرتبكًا بعض الشيء.

ثم قال ببطء: "هذه القصة تقترب من الحقيقة، لكنها ليست هي ما حدث بالضبط. لم أكن أنا من ادعيت معرفتي به، بل هو الذي فعل. ولا شك في أنه كان يحاول التخلص من الزمردة، ووضعها في جيبي بينما كنا نتحدث".

فتوقف المفتش عن الكتابة، ثم قال بنزاهة:

"آه! حسنًا، سيصل إلى هنا بعد قليل رجل سيساعدنا على حل هذه القضية".

عبس ميريليس، ثم غمغم قائلًا وهو يخرج ساعته: "من المستحيل أن أنتظر. فأنا مرتبط بموعد. وبالطبع أيها المفتش لا يمكنك أن تكون ساذجًا لدرجة تجعلك تفترض أنني سرقت الزمردة وأسير بها في الشوارع وهي في جيبي؟".

فرد المفتش: "هذا مستبعد يا سيدي، فأنا أتفق معك في هذا. لكنك مضطر إلى الانتظار مدة خمس أو عشر دقائق حتى تتضح الأمور. آه! ها هو سيادته".

خطا إلى الغرفة رجل طويل القامة في الأربعين من عمره. وكان يرتدي سروالًا وسترة عاديين وقديمين.

قال الرجل: "والآن أيها المفتش، ما الخطب؟ أنت تقول إنك تمكنت من الوصول إلى الزمردة، أليس كذلك؟ هذا رائع، عمل ذكي للغاية. فمن هذان الرجلان اللذان بصحبتك هنا؟".

ألقى اللورد نظرة عابرة على جيمس، ثم استقرت عيناه على ميريليس. فبدا أن الشخصية القوية لهذا الأخير تتضاءل وتتقلص.

صاح اللورد إدوارد كامبيون: "لمَ - يا جونز؟!".

فسأله المفتش: "هل تعرفت هذا الرجل يا لورد إدوارد؟".

فقال اللورد إدوارد بنبرة جافة: "بالتأكيد أعرفه. إنه خادمي الخاص، وقد التحق بخدمتي قبل شهر فقط. لقد شك فيه المفتش الذي أرسلوه من لندن منذ بدء التحقيقات، لكن لم يكن هناك أي أثر للزمردة بين حاجياته".

قال المفتش: "لقد كان يحملها في جيب معطفه". ثم استطرد وهو يشير إلى جيمس: "وهذا الرجل هو من مكننا من إلقاء القبض عليه".

وعلى الفور كان اللورد يهنئ جيمس ويصافحه.

ثم قال اللورد إدوارد كامبيون: "يا عزيزي. هل تقول إنك شككت فيه على الفور؟".

فقال جيمس: "نعم. لقد اختلقت قصة سرقته لي حتى أحضره إلى قسم الشرطة".

قال اللورد إدوارد: "حسنًا هذا رائع، بالطبع رائع. يجب أن تعود وتتناول الغداء معنا، هذا إن لم تكن قد تناولته بالفعل. فلقد تأخر الوقت، إنها الثانية تقريبًا".

فقال جيمس: "لا، لم أتناول الغداء بعد، لكن...".

فقال اللورد إدوارد: "لن أقبل أي أعذار. فأنت تعرف أن الراجا سيود أن يتقدم إليك بالشكر بنفسه لأنك أعدت إليه زمردته. كما أنني لم أفهم القصة تمامًا حتى الآن".

كانا قد خرجا بالفعل من قسم الشرطة في هذه اللحظة، ويقفان على درجه.

قال جيمس: "في الواقع، أظن أنه ينبغي أن أخبرك بالقصة الحقيقية".

ثم شرع في رواية القصة الفعلية، وبدا اللورد منصتًا للغاية.

ثم قال: "إنه أفضل شيء سمعته في حياتي، لقد فهمت الأمر برمته الآن. لا بد أن يكون جونز قد أسرع إلى كوخ الاستحمام بمجرد أن حصل على الزمردة، حيث إنه كان على علم بأن الشرطة

ستجري تفتيشًا شاملًا في المنزل. وهذا السروال القديم الذي أرتديه أحيانًا عند الخروج للصيد لم يكن من المحتمل أن يلمسه أحد، وبذلك يمكنه استعادة الجوهرة في وقت راحته. ولا بد أنها كانت صدمة له عندما جاء اليوم ليجدها اختفت. وبمجرد ظهورك، أدرك أنك كنت الشخص الذي أخذ الزمردة. لكنني ما زلت لا أفهم تمامًا كيف تمكنت من كشف أمره، رغم ذلك!".

خطرت ببال جيمس مقولة: "الرجل القوي يعرف متى يكون صريحًا ومتى يلتزم الكتمان"، فلم يعقب.

وابتسم جيمس باستهانة وهو يمرر أصابعه برفق على طية صدر معطفه من الداخل، وتلمس العلامة الفضية الصغيرة لذلك النادي غير المعروف نسبيًا، نادي ميرتون بارك سوبر لركوب الدراجات. كانت مصادفة مدهشة بالفعل أن جونز ذلك كان عضوًا فيه أيضًا، ومع ذلك المصادفات من هذا النوع تحدث أحيانًا!

"مرحبًا جيمس!".

استدار جيمس ليرى جريس وفتيات سوبورث ينادين عليه من الجهة المقابلة من الطريق. فالتفت إلى اللورد إدوارد، وقال: هل تسمح لي بلحظة؟".

ثم عبر الطريق باتجاههن.

قالت جريس: "نحن ذاهبات للسينما. فقد ظننا أنك من الممكن أن تحب مرافقتنا".

قال جيمس بثقة وترفع: "أنا آسف، لكنني عائد لتناول الغداء مع اللورد إدوارد كامبيون. أجل، ذلك الرجل هناك الذي يرتدي ملابس مريحة وقديمة. إنه يريدني أن أقابل راجا مارابوتنا".

ثم حياهن برفع قبعته بكل لطف، وعاد لينضم إلى اللورد إدوارد.

حكيم دلفي

لم تكن السيدة ويلارد جيه. بيترز مهتمة مطلقًا ببلد كاليونان. وأما بالنسبة لدلفي فلم تكن لديها أية فكرة عنها على الإطلاق.

كانت مواطن السيدة بيترز الروحانية تتمثل في باريس، ولندن، والريفيرا. وكانت تستمتع بحياة الفنادق، لكن فكرتها عن غرفة النوم في الفندق كانت عبارة عن وجود بساط ذي وبر ناعم، وفراش وثير، والكثير من أشكال الإضاءات الكهربائية المتنوعة، ويشمل ذلك وجود مصباح مظلل أنيق بجوار الفراش، والكثير من المياه الساخنة والباردة، وكذلك هاتف خاص حيث يمكنك طلب الشاي والوجبات والمياه المعدنية والمشروبات، والتحدث إلى أصدقائك.

وفي الفندق في دلفي لم يكن هناك أي من هذه الأشياء. بل كان هناك منظر خلاب يمكنك أن تطل عليه من النافذة، وكان الفراش نظيفًا، وكذلك كانت الغرفة ذاتها المطلية جدرانها باللون الأبيض. كان هناك مقعد، وحوض لغسل الوجه، وخزانة ذات أدراج. أما الدخول لدورة المياه والاستحمام فكان يتم بالتنسيق بين النزلاء، وفي الكثير من الأحيان كان الأمر فيما يتعلق بالماء الساخن محبطًا.

كانت السيدة بيترز تظن أنه من اللطيف أن تقول لصديقاتها إنها ذهبت إلى دلفي، ولقد حاولت جاهدة الاهتمام باليونان

القديمة، لكنها وجدت ذلك أمرًا عسيرًا. لقد بدت المنحوتات هناك دومًا غير مكتملة؛ فهناك منها ما ينقصه الرأس، ومنها ما تنقصه الأذرع والسيقان. وكانت في أعماقها تفضل كثيرًا ذلك المنحوت الرخامي المكتمل الجميل ذا الأجنحة الذي كان يقف منتصبًا فوق قبر السيد الراحل ويلارد بيترز.

لكن كل هذه الآراء الخاصة كانت تحتفظ بها بحرص لنفسها، خوفًا من أن يبغضها ابنها ويلارد. إنها موجودة هنا من أجله، في هذه الغرفة الباردة غير المريحة، مع خادمة عابسة الوجه، وسائق مثير للاشمئزاز بجوارها.

كان ويلارد (حتى عهد قريب كانوا يطلقون عليه اسم ويلارد الابن - ذلك اللقب الذي يبغضه) ابن السيدة بيترز يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، وكانت أمه تحبه حبًا شديدًا. كان ويلارد يحمل شغفًا غريبًا بالفن القديم، وهذا الفتى النحيف، والشاحب، الذي يرتدي نظارة طبية، والمصاب بعسر الهضم، هو من دفع بأمه المحبة إلى القيام بهذه الجولة في أنحاء اليونان.

لقد ذهبا معًا إلى مدينة أوليمبيا القديمة، وهي المكان الذي رأت السيدة بيترز أنه في حالة مؤسفة من الفوضى. واستمتعت السيدة بيترز بزيارة معبد بارثينون الأثري، لكنها اعتبرت أثينا مدينة ميئوسًا منها. وكانت زيارة كورنثوس وموكناي رحلة شاقة لها وللسائق.

كانت دلفي - كما ظنت السيدة بيترز وهي مغتمة - هي القشة الأخيرة التي أفسدت هذه الرحلة. فلم يكن هناك ما يمكن أن تفعله هناك سوى السير في الطريق، والنظر إلى الأطلال. وهناك قضى ويلارد ساعات جاثيًا يفك طلاسم النقوش اليونانية، ويقول: "أمي، اسمعي هذا! أليس هذا رائعًا؟". وكان بعد ذلك يقرأ بصوت عالٍ شيئًا ما يبدو للسيدة بيترز سخيفًا للغاية.

في هذا الصباح، بدأ ويلارد جولته مبكرًا للاطلاع على بعض لوحات الفسيفساء البيزنطية. اعتذرت السيدة بيترز عن الذهاب معه، فلقد شعرت بشكل غريزي بأن الفسيفساء البيزنطية هذه ستجعلها تشعر بالبرودة (بالمعنى الحرفي للكلمة، وعلى المستوى الروحاني أيضًا).

قال ويلارد: "أنا أفهم يا أمي. أنت تريدين قضاء الوقت بمفردك في المسرح الإغريقي تتطلعين هنا وهناك، وتستغرقين في التفكير".

قالت السيدة بيترز وهي تسايره لا أكثر: "هذا صحيح يا عزيزي".

فقال لها ويلارد ببهجة: "كنت أعرف أن هذا المكان سيأسر اهتمامك"، ثم غادر.

وهنا تنهدت السيدة بيترز في ارتياح، واستعدت للنهوض وتناول الفطور.

اتجهت السيدة بيترز إلى قاعة الطعام لتجد فيها أربعة أشخاص فقط. فقد كانت هناك أم وابنتها، ترتديان ما بدا للسيدة بيترز ملابس غريبة وغير عصرية، وكانتا تناقشان إمكانية التعبير عن الذات عبر أداء الاستعراضات الفنية؛ ورجل ممتلئ في منتصف العمر، وهو الرجل نفسه الذي أنقذ إحدى حقائبها من الضياع عندما كانت تهبط من القطار، وكان اسمه تومسون؛ وثمة وافد جديد، إنه رجل أصلع في منتصف العمر وصل في الليلة السابقة.

كان ذلك الأخير هو الوحيد الذي ظل معها في غرفة الطعام، وسرعان ما استغرقت السيدة بيترز في حوار معه، ولأنها امرأة ودود، كانت السيدة بيترز تحب دومًا أن تتكلم مع شخص ما. وكان أسلوب السيد تومسون غير مشجع مطلقًا (إنه بريطاني متحفظ، كما أطلقت عليه السيدة بيترز)، والأم والابنة كانتا متعجرفتين

للغاية وعلى ثقافة عالية، على الرغم من أن الفتاة انسجمت جيدًا مع ويلارد ابنها.

وجدت السيدة بيترز الوافد الجديد شخصًا مبهجًا للغاية، كان لديه الكثير من المعلومات، لكنه لم يكن متقفًا مترفعًا. وقد أخبرها بالكثير من التفاصيل الصغيرة والمثيرة عن اليونانيين، ما جعلها تشعر بأنهم أناس حقيقيون وليسوا مجرد تاريخ ممل مسرود في الكتب.

أخبرت السيدة بيترز صديقها الجديد بابنها ويلارد، وأنه فتى نابه، وعن مدى ولعه الشديد بالثقافة. وكان هناك شيء في هذا الشخص اللطيف والرقيق جعل الحديث معه سهلًا.

لكن ما الذي كان يفعله حقًا في الحياة، وما كان اسمه، إن هذين الأمرين لم تعلم عنهما السيدة بيترز شيئًا. فلم يقل عن نفسه أكثر من أنه يسافر وأنه أخذ راحة تامة من العمل (لكن أي عمل؟ لم يذكر هذا)، ولم يقدم أية معلومات أخرى.

بشكل عام مر اليوم أسرع مما كانت السيدة بيترز تتوقع. وظلت الأم والابنة والسيد تومسون في حالة من الانعزال. لقد التقيا السيد تومسون وهو خارج من المتحف، وعلى الفور استدار الرجل في الاتجاه المعاكس.

فنظر إليه صديق السيدة بيترز الجديد بوجه عابس.

ثم قال: "أنا أتساءل عمن يكون هذا الرجل؟".

فأخبرته السيدة بيترز باسم الرجل، لكنها لم تستطع أن تخبره بما هو أكثر من ذلك.

"تومسون - تومسون. لا أظن أنني التقيت به من قبل، ومع ذلك يبدو وجهه مألوفًا إلى حد ما. لكن لا يمكنني تذكره بالضبط".

استمتعت السيدة بيترز في فترة الظهيرة بقيلولة هادئة في بقعة ظليلة، ولم تأخذ معها الكتاب الذي رشحه ابنها لها عن الفن

الإغريقي، وإنما كتاب عنوانه *The River Launch Mystery*. كان الكتاب يسرد أحداث أربع جرائم قتل، وثلاث عمليات اختطاف، وعصابة كبيرة ومتنوعة من المجرمين الخطرين. ووجدت السيدة بيترز نفسها نشطة ومتيقظة بسبب مطالعتها إياه.

كانت الساعة الرابعة عصرًا عندما عادت إلى الفندق. وكانت على يقين بأن ويلارد قد عاد بدوره إلى الفندق في هذا الوقت. ولم يكن لديها أي إحساس داخلي بوجود أي خطر، حتى إنها تقريبًا نسيت فتح الرسالة التي قال مالك الفندق إن رجلًا غريبًا تركها لها عصر ذلك اليوم.

كان مظروف الرسالة متسخًا للغاية. فتحت السيدة بيترز الرسالة بلا اكتراث حقيقي، وما إن قرأت الأسطر الأولى القليلة منها حتى شحب وجهها، ومدت يدها لتحافظ على توازنها. فقد كان الخط غير مألوف لكن اللغة المستخدمة كانت الإنجليزية.

> *بدأت الرسالة بقول - سيدتي هذه الرسالة لإخبارك بأن ابنك في قبضتنا في مكان أمين. إن هذا الشاب المهذب لن يتعرض للأذى إذا أطعت أوامرنا. ونحن نطلب مقابله فدية عشرة آلاف جنيه إسترليني. وإذا أخبرت مالك الفندق أو الشرطة أو أي شخص بهذا الأمر فسيُقتل ابنك. غدًا ستصلك تعليمات بطريقة الدفع. وإذا لم تطيعي أوامرنا فسنقطع أذن الشاب المهذب ونرسل بها إليك. وفي اليوم التالي إذا لم تطيعي أوامرنا سنقتله. أكرر هذا ليس مجرد تهديد. فكري في الأمر بروية - وأهم شيء - التزمي الصمت.*
>
> *ديميتريوس ذو الحواجب السوداء*

كان من الصعب وصف حالة السيدة المسكينة. فعلى الرغم من أسلوب الرسالة الطفولي والسخيف، فإنها بثت في أعماقها الشعور بخطر محدق. إنه ويلارد ابنها، فتاها المدلل، ويلارد الرقيق.

فكرت في الذهاب للشرطة على الفور؛ وإثارة ضجة في الحي. لكنها إذا فعلت... لم تستطع التفكير في هذا الاحتمال وارتجف جسدها.

ثم نهضت وخرجت من غرفتها، وبحثت عن مالك الفندق - الشخص الوحيد في الفندق الذي يتحدث الإنجليزية.

قالت السيدة بيترز: "لقد تأخر الوقت وابني لم يعد بعد".

فابتسم الرجل الضئيل الحجم واللطيف في وجهها، ثم قال: "هذا صحيح، لقد رفض السيد ركوب البغال لأنه كان يرغب في السير على قدميه. وكان يجب أن يعود الآن، لكن مما لا شك فيه أنه تأخر في طريق عودته". ثم ابتسم بسعادة.

قالت السيدة بيترز بغتة: "أخبرني، هل هناك أية شخصيات سيئة السلوك في هذا الحي؟".

لم يستطع الرجل بمعرفته المحدودة للغة الإنجليزية فهم ما تقصده السيدة بالضبط. فأوضحت السيدة بيترز قصدها ببساطة أكثر، فتلقت منه ردًا يؤكد أن الناس في أنحاء دلفي رائعون وهادئون للغاية - وجميعهم يتصرفون بشكل جيد مع الأجانب.

ارتعشت الكلمات على شفتيها، لكنها أجبرت نفسها على الصمت، فقد عقد التهديد الشرير الذي تلقته لسانها. قد يكون الأمر مجرد خداع، لكن ماذا إن لم يكن هكذا؟ فهناك صديقة لها في أمريكا اختُطف طفلها، وعندما أبلغت الشرطة قُتل الطفل. إن أمورًا من هذا القبيل تحدث طوال الوقت.

كانت مذعورة حقًا. فما الذي يجب أن تفعله؟ عشرة آلاف جنيه إسترليني - كم يبلغ هذا المبلغ بالدولار؟ - نحو أربعين أو خمسين ألف دولار! ما أهمية هذا بالنسبة لها مقابل سلامة ويلارد؟ لكن من أين يمكنها أن تحصل على هذا المبلغ؟ كان هناك عدد لا حصر له من المشكلات فيما يتعلق بالمال وسحب

النقود من البنك. كما لم يكن بحوزتها سوى خطاب ائتمان ببضع مئات من الجنيهات.

هل ستفهم العصابة هذا؟ هل سيكون أفرادها عقلانيين؟ هل سينتظرون؟

عندما حضرت خادمتها إليها، صرفتها بعنف. وعندما دق جرس العشاء، ذهبت السيدة المسكينة إلى قاعة الطعام. فتناولت الطعام بشكل آلي، ولم ترَ أي أحد من حولها. وربما بدت الغرفة خالية بالنسبة لها بسبب قلقها.

ومع وصول الفاكهة، وجدت أمامها رسالة. شعرت السيدة بيترز بانقباض، لكن الخط هذه المرة كان مختلفًا تمامًا عن ذلك الخط الذي كانت تخشى أن تراه - كان خطًا أنيقًا واضحًا. ففضت الرسالة دون الكثير من الاهتمام، لكنها وجدت محتواها مثيرًا:

في دلفي لن يسعك الآن استشـــارة الحكيم، لكن يمكنك استشارة السيد باركر باين.

وأدناه، كان هناك جزء من إعلان مقطوع ومثبت بدبوس في الرسالة، وفي نهاية الورقة كانت هناك صورة ملحقة مأخوذة من جواز سفر. وكانت صورة صديقها الأصلع الذي قابلته في الصباح.

قرأت السيدة بيترز القصاصة مرتين.

هل أنت سعيد؟ إن لم تكن كذلك، فاستشر السيد باركر باين.

سعيد؟ سعيد؟ هل هناك من هو أكثر تعاسة منها؟ وكأن هذه الرسالة استجابة لدعائها.

وبسرعة كتبت على قطعة ورق غير مستوية وجدتها في حقيبتها:

رجاءً ساعدني. فهلا قابلتني خارج الفندق في غضون ***10*** *دقائق؟*

وضعت السيدة بيترز الورقة في ظرف، وأمرت النادل بأن يحمله إلى السيد الذي يجلس إلى جوار النافذة. وبعد مضي عشر دقائق، خرجت السيدة بيترز من الفندق، وهي تلف جسدها بمعطف من الفراء. وكانت الليلة شديدة البرودة، وسارت السيدة ببطء على طول الطريق في اتجاه الأطلال الأثرية، وهناك كان السيد باركر باين ينتظرها.

قالت السيدة بيترز بلهفة: "من رحمة الله أنك هنا، لكن كيف خمنت المشكلة الرهيبة التي أمر بها. إن هذا هو ما أرغب في معرفته".

قال السيد باركر برفق: "الملامح البشرية يا سيدتي العزيزة. لقد عرفت أن هناك *خطبًا* ما بمجرد وقوعه، أما ماهية هذا الشيء فهو ما أنتظر أن تخبريني به".

اندفعت الكلمات من فمها كالسيل، ثم سلمته الرسالة، التي قرأها على ضوء مصباح جيب.

ثم قال: "إمم. مستند مهم. إنه مستند مهم للغاية. فهناك عدة نقاط محددة...".

لكن السيدة بيترز لم تكن في حالة مزاجية للاستماع إلى مناقشة التفاصيل الدقيقة للرسالة. فما الذي ستفعله من أجل ويلارد؟ عزيزها الرقيق ويلارد.

كان السيد باركر باين هادئًا. وبدأ رسم صورة متخيلة لحياة العصابة اليونانية، وأخبرها بأنهم سيكونون حريصين للغاية

على أسيرهم، حيث إنه يعد منجم ذهب لهم. وبالتدريج هدأ من روعها.

بكت السيدة بيترز، وقالت: "لكن ما الذي *سأفعله*؟".

قال السيد باركر باين: "انتظري حتى الغد. هذا إذا كنت لا تفضلين التوجه مباشرة إلى الشرطة".

قاطعته السيدة بيترز بصرخة ذعر، فابنها الحبيب ويلارد سيلقى حتفه في الحال!

"هل تظن أنني سأستعيد ويلارد سالمًا من كل سوء؟".

فقال السيد باركر باين بهدوء: "ليس لديَّ شك في هذا. إن السؤال المهم هو: هل يمكن أن تسترديه دون أن تدفعي عشرة آلاف جنيه؟".

"كل ما أريده هو ابني".

فقال السيد باركر باين بهدوء: "نعم، بالطبع. وبالمناسبة من أحضر لك الرسالة؟".

"رجل لم يعرفه المالك. إنه رجل غريب".

"آه! هناك احتمالات عدة بخصوص هذا الأمر. وربما علينا أن نقتفي أثر الرجل الذي سيحضر الرسالة غدًا. فما الذي ستقولينه للنزلاء في الفندق عن غياب ابنك؟".

"لم أفكر في هذا".

قال السيد باركر باين، وهو يفكر: "أنا أفكر في هذا الآن. أظن أنك يجب أن تبدي الذعر الطبيعي والانشغال بسبب غيابه. فقد يرسلون مجموعة للبحث عنه".

شعرت السيدة بيترز بغصة في حلقها، وهي تقول: "ألا تظن أن هؤلاء الأشرار...؟".

"لا، لا. ما دمت لم تذكري كلمتي الاختطاف أو الفدية، فلن يمكنهم إلحاق الأذى به. ففي النهاية من غير المتوقع ألا تتعاملي مع اختفاء ابنك دون إثارة أية جلبة على الإطلاق".

"هل يمكنني أن أدع الأمر كله لك؟".

قال السيد باركر باين: "هذا هو عملي".

ثم شرعا في العودة إلى الفندق مجددًا، لكنهما رأيا شبح شخص ما.

سأل السيد باركر بحدة: "من كان هذا؟".

"أظن أنه السيد تومسون".

قال السيد باركر باين مفكرًا: "أوه!".

"تومسون، هل كان هذا هو؟ تومسون - إمم".

وبينما كانت السيدة بيترز متوجهة للنوم شعرت بأن فكرة السيد باركر باين عن الرسالة جيدة. فأيًا كان من سيحضر الرسالة غدًا، لا بد من أن يكون على اتصال بالعصابة. وشعرت بقليل من المواساة بسبب هذه الفكرة، وغطت في النوم بأسرع مما توقعت.

وعندما كانت ترتدي ملابسها في الصباح التالي، لاحظت فجأة شيئًا يرقد على الأرض بجوار النافذة. التقطت السيدة بيترز الرسالة - وتسارعت دقات قلبها. إنه الظرف المتسخ الرخيص ذاته؛ والشخصيات الكريهة ذاتها. فضت السيدة بيترز الرسالة باهتمام بالغ هذه المرة.

صباح الخير يا سيدتي. هل فكرت في الأمر؟ إن ابنك بخير ولم يمسسه أي أذى - حتى الآن. لكن لا بد من أن نحصل على المال. قد لا يكون من السهل عليك أن تحصلي على مبلغ مثل هذا، لكننا علمنا أنه يوجد بحوزتك قلادة من الألماس، أحجارها كريمة، وسيسرنا الحصول عليها بدلًا من المال. فاستمعي جيدًا، هذا هو ما ينبغي لك فعله. يجب أن تحضري أنتِ أو أي شخص قد تختارينه القلادة إلى المكان المعروف باسم ملعب دلفي، ومن هناك يصعد إلى حيث الشجرة بجوار الصخرة الكبيرة. وهناك من يراقب ويتأكد من أن القادم شخص واحد فقط. وعندما سيُسلِّم ابنك مقابل القلادة.

وسـيكون الموعد في السادسـة صباح الغد بعد شروق الشمس مباشرة. فإذا أبلغت الشرطة بعد ذلك سنطلق النار على ابنك حتى وأنتِ تغادرين بسيارتك إلى محطة القطار.

هذا هو آخر كلام لدينـا. فإذا لم تظهر القلادة صباح الغد، فسنرسل إليك أذن ابنك. وفي اليوم الذي يليه سيلقى مصرعه.

تحياتي يا سيدتي، ديميتريوس

انطلقت السيدة بيترز مسرعة للبحث عن السيد باركر باين، الذي قرأ الرسالة بإمعان.

ثم سأل السيدة بيترز: "هل أمر القلادة الماسية صحيح؟".

"بالطبع. فقد اشتراها لي زوجي بمائة ألف جنيه".

غمغم السيد باركر باين قائلًا: "هؤلاء اللصوص لديهم معلومات كثيرة".

"ما الذي تشير إليه؟".

"كنت أفكر فقط في جوانب معينة من الأمر".

"يا إلهي يا سيد باين، ليس لدينا أي وقت لدراسة أية جوانب. بل يجب أن أسترد ابني".

"أنت امرأة شجاعة يا سيدة بيترز. فهل تقبلين أن تتعرضي للابتزاز والخداع من أجل عشرة آلاف دولار؟ هل تستمتعين بالتخلي عن الألماس بخنوع لجماعة من الأشرار؟".

كانت روح الشجاعة والتحدي لدى السيدة بيترز تتصارع مع أمومتها: "حسنًا، بالتأكيد عندما تعبر عن الأمر بهذه الطريقة فإنه يغدو مختلفًا. فكم أود الانتقام منهم - هؤلاء الأوغاد الجبناء! وحالما أسترد ابني يا سيد باين سأطلق شرطة الحي بأكملها في إثرهم، وإذا لزم الأمر، فسأستأجر سيارة مصفحة لتصحبني أنا وويلارد إلى محطة القطار!". احمر وجه السيدة بيترز، وتجلت في ملامحها الرغبة في الانتقام.

قال السيد باركر باين: "نعم، هذه هي الروح المطلوبة. فكما تعلمين يا سيدتي العزيزة، أنا أخشى أن يكونوا مستعدين لهذه الخطوة من جانبنا. إنهم يعرفون أنكِ متى استرددتِ ويلارد، فلن يكون هناك ما يمنعك من أن تجعلي الحي كله في حالة استنفار، ما يدفع المرء إلى توقع أنهم مستعدون لهذه الخطوة".

"حسنًا، ما الذي تريد مني فعله؟".

ابتسم السيد باركر باين: "أود أن أجرب خطة صغيرة من خططي"، ثم نظر حوله في غرفة الطعام. وكانت الغرفة خالية والأبواب في جانبي الغرفة مغلقة جميعًا. فاستطرد قائلًا: "سيدة بيترز، هناك رجل أعرفه في أثينا - إنه صائغ. إنه متخصص في الألماس المقلد بشكل رائع ويشبه التحف الأصلية - إن عمله متقن للغاية". ثم انخفض صوته إلى حد الهمس وهو يقول: "سأتواصل معه بالهاتف، ويمكنه أن يصل إلى هنا عصر اليوم، ويحضر معه مجموعة رائعة من الأحجار الكريمة".

"هل تعني؟".

"سيُخرج الألماس الحقيقي من القلادة ويضع محله نسخة طبق الأصل منه".

قالت السيدة بيترز وهي تتأمله بإعجاب: "يا إلهي، إنه أذكى شيء سمعته في حياتي!".

"صه! اخفضي صوتك. فهل يمكن أن تفعلي شيئًا من أجلي؟".

"بالتأكيد".

"تأكدي من عدم وجود أحد على مقربة من الهاتف عند إجرائي للمكالمة؟".

فأومأت السيدة بيترز برأسها.

كان الهاتف في مكتب المدير، وقد غادر المدير مكتبه بكل لطف بعد أن ساعد السيد باركر باين في الاتصال بالرقم الذي يرغب فيه. وعندما خرج، وجد السيدة بيترز في الخارج.

فقالت: "أنا أنتظر السيد باركر باين. فسنخرج للتنزه".

"آه، حسنًا يا سيدتي".

كان السيد تومسون في البهو أيضًا، فتقدم نحوهما، وانخرط مع مدير الفندق في حوار.

"هل هناك أية فيلا في دلفي للإيجار؟ لا؟ لكن من المؤكد أن هناك واحدة هنا فوق الفندق؟".

"هذه الفيلا تخص سيدًا يونانيًا يا سيدي. إنه لا يؤجرها".

"وهل هناك أية فلل أخرى؟".

"هناك واحدة تخص سيدة أمريكية، وواحدة على الجانب الآخر من القرية، لكنها مغلقة الآن. وهناك واحدة ملك نبيل إنجليزي، إنه فنان- وتقع هذه الفيلا على حافة المنحدر، وتطل على مدينة إتي".

تدخلت السيدة بيترز في الحوار، وكان صوتها مرتفعًا بطبيعته، وقد زادت هي من ارتفاعه عمدًا. فقالت: "سأحب أن أمتلك فيلا هنا! حيث الطبيعة التي لم يخربها أحد. أنا مفتونة بهذا المكان، ألست كذلك أنت أيضًا يا سيد تومسون؟ بالطبع أنت مفتون به ما دمت ترغب في الإقامة في فيلا. فهل هذه أول زيارة لك هنا؟ أنت لم تقل هذا".

ظلت تتحدث بإصرار حتى خرج السيد باركر باين من المكتب، ومنحها ابتسامة سريعة للغاية كدليل على إتمام الأمر.

سار السيد تومسون ببطء هابطًا الدرج، ومنه إلى الطريق حيث انضم للأم والابنة المثقفتين اللتين بدا عليهما أنهما تأثرتا بالرياح الباردة التي لفحت أذرعهما المكشوفة.

سارت الأمور على خير ما يرام. حيث وصل الصائغ قبل العشاء مباشرة في سيارة مليئة بسائحين آخرين. وأخذت السيدة بيترز قلادتها إلى غرفته، فأبدى استحسانه، ثم تحدث بالفرنسية قائلًا: "*سيدتي أريدك أن تطمئني. فسوف أتم المهمة بنجاح*". ثم أخرج بعض الأدوات من حقيبته الصغيرة، وشرع في العمل.

وفي تمام الساعة الحادية عشرة طرق السيد باركر باين باب غرفة السيدة بيترز.

ثم قال لها وهو يسلمها حقيبة شمواه صغيرة: "تفضلي!".

نظرت السيدة بيترز داخل الحقيبة ثم قالت: "ألماسي!".

"صه! هذه هي القلادة بعد أن وضع الألماس المقلد بدلًا من الحقيقي. إنه عمل رائع للغاية، ألا تظنين هذا؟".

"رائع جِدًا".

"أريستوبولوس رجل ماهر".

"ألا تعتقد أنهم سيشكون في الأمر؟".

"كيف عساهم أن يفعلوا؟ إنهم يعرفون أن القلادة بحوزتك، وسوف تسلمينها إياهم. فكيف لهم أن يشكوا في أن هذه خدعة؟".

فقالت السيدة بيترز وهي تعيد القلادة إليه: "حسنًا، إنها رائعة. فهل ستسلمها أنت لهم؟ أم أنني بهذا أطلب منك الكثير؟".

"بالتأكيد سأحملها أنا لهم. فقط أعطني الرسالة، حتى أعرف الاتجاهات بدقة. شكرًا لك. والآن تصبحين على خير وحظ موفق. سيتناول ابنك الفطور معك غدًا".

"آه لو يتحقق هذا!".

"لا تقلقي. اتركي كل شيء بين يديَّ".

لم تتمتع السيدة بيترز بنوم هانئ، وعندما نامت راودتها كوابيس مفزعة. لقد حلمت بأن رجال العصابة المسلحة يقودون عربة مصفحة، ويطلقون وابلًا من الرصاص على ويلارد، الذي كان يركض أسفل الجبل مرتديًا ثياب النوم.

حمدت الله بعدما استيقظت، وأدركت أنه كان كابوسًا. وأخيرًا ظهرت خيوط الفجر الأولى، فنهضت السيدة بيترز وارتدت ثيابها، ثم جلست تنتظر.

وفي تمام السابعة سمعت صوت طرقات على الباب، وكان حلقها جافًا للغاية لدرجة أنها لم تستطع التحدث.

قالت السيدة بيترز: "تفضل".

انفتح الباب ودخل السيد تومسون، فحدقت إلى وجهه وخانتها الكلمات. لقد كان لديها شعور مشئوم بوقوع كارثة، ومع ذلك كان صوته عندما تحدث طبيعيًا للغاية وصادقًا. كان في الواقع صوتًا قويًا ولطيفًا.

قال السيد تومسون: "صباح الخير سيدة بيترز".

"كيف تجرؤ يا سيدي! كيف تجرؤ...".

قال السيد تومسون: "اعذريني على زيارتي غير اللائقة في هذه الساعة المبكرة. إن هناك عملًا يجب أن أنهيه معك".

فمالت السيدة بيترز إلى الأمام، ونظرت بعينين يطل منهما الاتهام، وقالت: "إذن، أنت من خطف ابني! ولم تكن العصابة!".

"بالطبع لم تكن هناك عصابة، فقد اعتقدت أن هذا أقل أجزاء الخطة إقناعًا، فهو غير محكم، على أقل تقدير".

لم يكن برأس السيدة بيترز سوى فكرة واحدة، فسألته بعينين تشتعلان غضبًا: "أين ابني؟".

قال السيد تومسون: "في الواقع، إنه يقف في الخارج".

"ويلارد!".

انفتح الباب على مصراعيه، وارتمى ويلارد - شاحب الوجه بنظارته ولحيته غير الحليقة - بين ذراعي والدته، ووقف السيد تومسون ينظر إليهما بتعاطف.

قالت السيدة بيترز فجأة - وقد تمالكت نفسها - ملتفة إلى السيد تومسون: "ومع ذلك، سوف أقاضيك من أجل هذا. نعم سأفعل".

قال ويلارد: "لقد فهمت الأمر بشكل خطأ يا أمي. إن هذا الرجل هو من أنقذني".

"أين كنت؟".

"في منزل على حافة المنحدر. على بعد كيلومتر ونصف الكيلو تقريبًا من هنا".

قال السيد تومسون: "واسمحي لي يا سيدتي بأن أعيد إليك شيئًا يخصك".

ثم سلمها كيسًا صغيرًا ملفوفًا بشكل غير محكم في منديل ورقي، وعندما فُتح المنديل ظهرت القلادة الألماس.

ثم قال السيد تومسون مبتسمًا: "لست بحاجة إلى الاحتفاظ بهذه الحقيبة الصغيرة الأخرى يا سيدة بيترز. فالأحجار الكريمة الحقيقية لا تزال في القلادة، ومع ذلك الحقيبة الشمواه تحتوي على بعض الأحجار المقلدة الممتازة. كما قال صديقك، أريستوبولوس عبقري للغاية".

قالت السيدة بيترز بصوت خافت: "أنا لا أفهم أي شيء مما تقول".

قال السيد تومسون: "يجب أن تنظري إلى القضية من منظوري. لقد لفت انتباهي استخدام اسم معين لشخص ما. فسمحت لنفسي بأن أتعقبك أنت وصديقك البدين خارج الفندق، واستمعت - أعترف بذلك بصراحة - لحديثكما الشائق للغاية. لقد اكتشفت أن له دلالات مهمة، لدرجة أنني أقنعت المدير بفعل ما أطلبه منه. لقد سجل الرقم الذي اتصل به صديقك العقلاني، وطلب أيضًا من النادل أن يسترق السمع إلى محادثتك معه في غرفة الطعام.

وكان المخطط بأكمله يعمل بشكل واضح للغاية. لقد كنتِ ضحية لاثنين من لصوص المجوهرات الأذكياء. إنهما يعرفان كل شيء عن القلادة الألماس الخاصة بك؛ فتبعاك إلى هنا. ثم اختطفا ابنك، وكتبا رسالة "إجرامية" هزلية إلى حد ما، ورتبا الأمر كي تثقي بالمحرض الرئيسي على المؤامرة.

بعد ذلك، يصبح كل شيء سهلًا. إن الرجل الطيب - في ظنك - يسلمك حقيبة من الألماس المقلَّد ويختفي مع صديقه. وفي هذا الصباح، عندما لا يظهر ابنك، سيجن جنونك. وسيدفع بك غياب صديقك إلى اعتقاد أنه قد اختطف أيضًا. أظن أنهما رتبا لأن يذهب شخص ما إلى الفيلا غدًا. وكان هذا الشخص سيكتشف وجود ابنك ويعيده إليك. وبعد اجتماعكما معًا، ربما تتمكنين أنت وويلارد من فهم أبعاد المؤامرة. ولكن بحلول ذلك الوقت، يكون الشريران قد حصلا على فرصة ممتازة للهرب".

"والآن؟".

"أوه، إنهما الآن محتجزان. لقد تدبرت هذا الأمر".

قالت السيدة بيترز، وهي تتذكر بغضب الشخص الذي حاز ثقتها الشديدة: "الشرير المداهن العقلاني".

فقال السيد تومسون موافقًا: "نعم إنه شخص غير لطيف مطلقًا".

قال ويلارد بإعجاب: " يذهلني كيف فهمت الأمر برمته يا سيديَ، فهذا ذكاء شديد منك".

هز الآخر رأسه في تواضع وقال: "لا، لا. إن الأمر كله يتلخص في أنك عندما تسافر وأنت متخفٍّ، وتسمع أن هناك من انتحل شخصيتك واسمك فإنك...".

حدقت السيدة بيترز إلى وجه السيد تومسون، ثم قاطعته متسائلة: " لكن، من أنت في الواقع؟".

فقال السيد مفسرًا: "*أنا باركر باين*".

مغامرة الغريب الشرير

قال تومي: "لقد كان يومًا مملًا"، ثم تثاءب بقوة.

فردت توبينس: "إنه تقريبًا وقت تناول الشاي"، ثم تثاءبت هي الأخرى.

لم تكن حالة العمل نشطة في الوكالة الدولية للتحقيقات. والرسالة المتوقعة بفارغ الصبر من تاجر اللحوم لم تصل، بل إن القضايا التي يتورط فيها المتهمون بحسن نية لم تكن متوافرة أيضًا.

ثم دخل ألبرت، الساعي، وهو يحمل بين يديه طردًا مغلفًا، ووضعه على الطاولة.

فغمغم تومي قائلًا: "إنه لغز الطرد المغلف. فهل يضم لآلئ خلابة لدوقة روسية عظيمة؟ أم به آلة مبتكرة مصممة لتمزيق محققي وكالة بلانت الأذكياء إربًا؟".

قالت توبينس وهي تفتح الطرد: "في الواقع، إنها هدية زفاف إلى فرانسيس هافيلاند... رائعة، أليست كذلك؟".

التقط تومي علبة سجائر فضية رفيعة من يدها الممدودة، ولاحظ النقش الذي حفر عليها بخط يدها "*إلى فرانسيس من توبينس*"، ثم فتح العلبة وأغلقها، وأومأ برأسه إعلانًا لموافقته على ما قالته.

ثم قال لها: "إنك تهدرين مالك يا توبينس؛ إذ سيروق لي أن أحصل على واحدة مثلها - لكن ذهبية - في يوم ذكرى ميلادي الشهر المقبل. تخيلي ضياع هدية بهذه القيمة من خلال منحها لفرانسيس هافيلاند الذي كان وسيظل دائمًا من أكثر الأشخاص حماقة على الإطلاق!".

"هل نسيت أنني كنت أقود له سيارته أثناء فترة الحرب، عندما كان جنرالًا. آه! تلك الأيام الخوالي الرائعة".

وافقها تومي قائلًا: "أتذكر أنه كانت هناك نساء جميلات يأتين إلى المستشفى، ويشددن على يدي، لكنني لم أرسل إليهن جميعًا هدايا زفاف. لا أظن أن العروس ستهتم كثيرًا بهديتك هذه توبينس".

قالت توبينس متجاهلة تلميحه: "إنها هدية لطيفة ورفيعة بحيث يمكن وضعها في الجيب، أليس كذلك؟".

فوضع تومي العلبة بجيبه.

ثم قال موافقًا: "تمامًا. مرحى، ها هو ألبرت ومعه بريد الظهيرة، ومن المرجح أن نجد دوقة بيرثشاير تطلب منا العثور على كلبها البيكيني الثمين".

قاما بفرز الرسائل معًا. ثم فجأة أطلق تومي صافرة طويلة، وحمل إحدى الرسائل بين يديه.

"رسالة زرقاء تحمل الختم الروسي. هل تتذكرين ما قاله الرئيس؟ علينا أن نبحث عن رسائل كهذه".

قالت توبينس: "يا له من أمر مثير، أخيرًا تحركت المياه الراكدة. افتحه لنرى ما إذا كانت المحتويات موافقة لتوقعاتنا. إنه تاجر لحوم، ألم تقل هذا؟ لحظة. سنحتاج إلى بعض الحليب للشاي. لقد نسوا إحضاره هذا الصباح، سأرسل ألبرت لإحضاره".

عادت توبينس من المكتب الخارجي، بعد أن أرسلت ألبرت في مهمته، لتجد تومي يحمل ورقة زرقاء بين يديه.

قال تومي: "كما ظننا يا توبينس. تقريبًا كما قال الرئيس بالحرف".

أخذت توبينس الرسالة منه وقرأتها.

كانت الرسالة مكتوبة بلغة إنجليزية أنيقة، وربما متكلفة بعض الشيء، ويُزعم أنها من جريجور فيودورسكي الذي كان متشوقًا إلى معرفة أخبار زوجته. وحث وكالة التحقيقات الدولية على ألا تبخل ببذل قصارى جهدها لتعقبها. أما فيودورسكي نفسه فلم يتمكن من مغادرة روسيا في الوقت الحالي بسبب أزمة تجارة اللحوم.

قالت توبينس مفكرة وهي تمد الورقة على الطاولة أمامها: "أنا أتساءل ما الذي يعنيه هذا حقًّا".

فرد تومي: "شفرة من نوع ما على ما أعتقد. إن هذا ليس من شأننا، فوظيفتنا هي أن نسلمها للرئيس بأسرع وقت ممكن. ومن الأفضل أن نتحقق من الرسالة بإزالة الختم من عليها، ولنرَ ما إذا كان رقم 16 مكتوبًا أسفلها".

قالت توبينس: "حسنًا، لكنني أظن...".

سكتت دون أن تكمل عبارتها فجأة، فرفع تومي - الذي فاجأه صمتها المباغت - رأسه ليرى قوامًا بشريًا غير واضح الملامح يسد المدخل.

كان الدخيل رجلا ذا حضور آسر، مربوع البنية، وله رأس مستدير، وفك قوي. وربما كان يبلغ من العمر خمسة وأربعين عامًا تقريبًا.

قال الرجل وهو يتقدم إلى داخل الغرفة ويحمل قبعته بيده: "أعتذر منكما. لقد وجدت مكتبكما الخارجي خاليًا، وهذا الباب كان مفتوحًا، لذا تجرأت على الدخول. إن هذه وكالة بلانت الدولية للتحقيقات، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد هي".

"وأنت، على ما أظن، السيد بلانت؟ السيد ثيودور بلانت؟".

"أنا السيد بلانت. فهل ترغب في استشارتي في أمر ما؟ إن هذه سكرتيرتي، الآنسة روبنسون".

أمالت توبينس رأسها بترحيب، لكنها استمرت في فحص الشخص الغريب عبر عينيها. كانت تتساءل منذ كم من الوقت كان يقف في المدخل، وماذا رأى وسمع. ولم يفت عليها أنه أثناء حديثه مع تومي أيضًا، ظلت عيناه معلقتين بالورقة الزرقاء التي تحملها في يدها.

ذكرها صوت تومي الحاد بنبرته التحذيرية، بما يتوجب عليها فعله في هذه اللحظة.

"آنسة روبنسون، من فضلك، دوّني الملاحظات، والآن يا سيدي فسر الأمر الذي ترغب في استشارتي بشأنه؟".

التقطت توبينس مفكرتها وقلمها الرصاص.

ثم بدأ الرجل حديثه بصوت أجش.

" اسمي باور. الدكتور تشارلز باور. وأعيش في هامبستيد، حيث أمتلك عيادة. لقد جئت إليك يا سيد بلانت، لأن هناك عدة حوادث غريبة نوعًا ما حدثت في الفترة الأخيرة".

"أي نوع من الحوادث يا دكتور باور؟".

" لقد استدعيت مرتين بالهاتف خلال الأسبوع الماضي من أجل الكشف على حالة خطيرة - وفي كل مرة أكتشف أن هذا استدعاء زائف. في المرة الأولى ظننت أنها مزحة يقوم بها شخص ما معي، لكنني عندما عدت في المرة الثانية إلى مكتبي، وجدت أن أوراقي الخاصة أزيحت من مكانها ولم تكن مرتبة، والآن أنا أعتقد أن الشيء ذاته الذي حدث في المرة الأولى حدث ثانية. وقد أجريت بحثًا شاملًا، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن مكتبي بالكامل قد تعرض للعبث به تمامًا، وأن أوراقي أعيد ترتيبها على عجل".

صمت الدكتور باور وهلة وحدق إلى تومي.

"حسنًا، يا سيد بلانت؟".

فأجاب الشاب، وهو يبتسم: "حسنًا يا دكتور باور".

"ما الذي تظنه بشأن ما قصصته عليك؟".

" في البداية أحب أن أعرف منك بعض الحقائق، ما الذي تحتفظ به في مكتبك؟".

"أوراقي الخاصة".

"بالضبط. والآن، ما الذي تحتوي عليه هذه الأوراق الخاصة؟ وما قيمتها بالنسبة للص عادي - أو أي شخص معين؟".

"بالنسبة للص عادي لا أرى أنها ستمثل أية قيمة له، لكن ملاحظاتي عن أنواع معينة من القلويات الغامضة ستكون ذات فائدة لأي شخص لديه معرفة فنية بالموضوع. فقد كنت أعد دراسة عن مثل هذه الأمور خلال السنوات القليلة الماضية. إن هذه المواد القلوية مميتة وتعتبر سمومًا فتاكة، علاوة على أن آثارها لا يمكن اكتشافها تقريبًا. فهي لا تتسبب في إحداث أي ردود فعل معروفة".

"إذن، ما تحويه هذه الأوراق من أسرار يساوي ثروة؟".

"بالنسبة لشخص معدوم الضمير، نعم".

"وأنت فيمن تشك؟".

هز الطبيب منكبيه الضخمين.

" على حد علمي، إن المنزل لم يقتحمه أحد من الخارج. فيبدو أن هذا يشير ابتداء إلى أن أحد أفراد بيتي هو الفاعل، ومع ذلك لا أستطيع أن أصدق..."، ثم صمت فجأة، وعاد بعدها ليستكمل حديثه بصوت يملؤه الأسى.

"سيد بلانت، يجب أن أضع نفسي تحت تصرفك دون تحفظ. كما أنني لا أجرؤ على الذهاب إلى الشرطة في هذا الشأن. فأنا متأكد تمامًا من ولاء خدمي الثلاثة؛ لقد عاونوني فترة طويلة

بإخلاص. ومع ذلك، من يدري! ثم إن ابني أخي، بيرترام وهنري يعيشان معي. وهنري فتى طيب - إنه ولد مهذب جدًا - لم يسبب لي أي قلق مطلقًا، أي أنه شاب ممتاز مجتهد. لكن يؤسفني أن أقول إن بيرترام له شخصية مختلفة تمامًا - فهو متمرد ومتكلف وكسول دائمًا".

فقال تومي متدبرًا: "أفهم هذا، إنك تشك في أن ابن أخيك بيرترام متورط في هذا الأمر. لكنني لا أتفق معك في هذا الاستنتاج. بل أنا أشك في الفتى الطيب - هنري".

"لكن لماذا؟".

حرك تومي يده في الهواء وقال: "هكذا جرت العادة، وما مر عليَّ من قضايا سابقة. فمن واقع خبرتي، يكون الشخص موضع الشك دائمًا بريئًا - فيما يكون العكس صحيحًا، يا سيدي العزيز. أجل، أنا أشك في هنري".

قالت توبينس مقاطعة حديثه بنبرة تنم عن احترام: "معذرة يا سيد بلانت. هل أفهم مما قاله الدكتور باور أن هذه الأوراق - عن القلويات الغامضة - كانت موجودة في المكتب مع الأوراق الأخرى؟".

"أنا أحتفظ بها في مكتبي أيتها الشابة، لكن في درج سري، في مكان لا يعرفه سواي، ومن ثم فإن العثور عليها ليس بالأمر الميسور".

سأله تومي: "وماذا تريد مني أن أفعل بالضبط يا دكتور باور؟ هل تتوقع أن يقوم أحد بتفتيش مكتبك مرة أخرى؟".

"نعم أشك في هذا يا سيد بلانت، ولدي كل الحق لأشك في تكرار حدوث ذلك. ففي ظهيرة هذا اليوم تلقيت برقية من مريض زرته في بورنموث قبل بضعة أسابيع. تقول البرقية إن المريض في حالة حرجة، ويرجوني أن أحضر إليه في الحال. وبعد أن شعرت بالريبة بسبب الأحداث التي أخبرتك بها، أرسلت

بنفسي برقية مدفوعة مسبقًا إلى المريض المعني، وتوصلت إلى حقيقة أنه يتمتع بصحة جيدة، ولم يرسل إليَّ أية استدعاءات من أي نوع. لقد خطر ببالي أنني إذا تظاهرت بأنني خُدعت، وسافرت كما هو متوقع إلى بورنموث، فستتسنى لنا فرصة رائعة لضبط المجرم متلبسًا. فهو - أو هم - سينتظر دون شك أن يخلد أهل البيت إلى النوم قبل أن يشرع في عمله. أقترح أن نلتقي خارج منزلي في الحادية عشرة هذا المساء، وسنتحقق من الأمر معًا".

قال تومي وهو يفكر بعمق وينقر بفتاحة الأظرف على الطاولة: "أتمنى في الواقع أن نضبطه متلبسًا. إن خطتك تبدو ممتازة في تقديري يا دكتور باور، ولا أرى أية ثغرة بها. أخبرني ما هو عنوانك؟".

" لارتشيز، هانجمانز لين - وما يثير خشيتي أن هذه البقعة منعزلة نوعًا ما، لكننا نتمتع بإطلالات رائعة على الأراضي المفتوحة المليئة بالأشجار والزهور".

قال تومي: "جيد جدًا".

نهض الزائر، وقال: "إذن سأنتظرك الليلة يا سيد بلانت. خارج لارتشيز في تمام...، هل نقول في الحادية عشرة إلا خمس دقائق - حتى نتجنب أية مفاجآت؟".

"بالتأكيد. الحادية عشرة إلا خمس دقائق. تصحبك السلامة يا دكتور باور".

نهض تومي، ثم ضغط جرسًا على مكتبه، فحضر ألبرت ليصاحب العميل إلى الخارج. وسار الطبيب وهو يعرج بوضوح، لكن قوته البدنية كانت ظاهرة على الرغم من هذا.

تمتم تومي محدثًا نفسه: "عميل مثير للريبة. حسنًا يا توبينس، ما رأيك فيما سمعت؟".

قالت توبينس: "سأقول لك عبارة واحدة فقط. إنها مكيدة *واضحة على غرار رواية كلوب فوت!*".

"ماذا؟".

"دراستي للكتب الكلاسيكية لم تذهب سدى. تومي، إن هذا الأمر مكيدة واضحة. قلويات غامضة حقًا!! - لم أسمع قط بقصة أضعف تماسكًا من هذه".

اعترف زوجها قائلًا: "حتى أنا لم أجدها مقنعة".

"هل رأيت عينيه وهما تحدقان إلى الرسالة؟ تومي، إنه ضمن أفراد العصابة. لقد أدركوا حقيقة أنك لست السيد بلانت الحقيقي، ويريدون قتلنا".

فقال تومي وهو يفتح الخزانة الجانبية، ويحصي صفوف الكتب الكلاسيكية بها بنظرة حانية: "في هذه الحالة من السهل علينا اختيار أدوارنا". ثم أضاف بحزم: "سنلعب دور الأخوين أوكيوود! وأنا سألعب دور ديزموند".

هزت توبينس كتفيها بلا اكتراث.

"حسنًا. كما تريد، فسأكون أنا فرانسيس. كان فرانسيس هو الأذكى بين الاثنين. ودائمًا ما كان ديزموند يتورط في إحداث حالة من الفوضى، ثم يظهر فرانسيس - في هيئة بستاني أو شيء من هذا القبيل - في الوقت المناسب وينقذ الموقف".

قال تومي: "آه! لكنني سأكون ديزموند الخارق. فعندما أصل إلى لارتشيز...".

قاطعته توبينس بغير تكلف: "أنت لن تذهب إلى هامبستيد الليلة؟".

"لِمَ لا؟".

"هل ستدخل الفخ معصوب العينين؟".

"لا يا فتاتي العزيزة، فسأدخل الفخ وعيناي مفتوحتان، فهناك فارق كبير. أظن أن صديقنا دكتور باور سيحصل على مفاجأة صغيرة".

قالت توبينس: "هذا الأمر لا يروق لي. فهل تعرف ما الذي حدث عندما عصى ديزموند أوامر الرئيس وتصرف بمفرده. لقد كانت الأوامر واضحة تمامًا، أن نرسل الخطابات على الفور، ونبلغ في الحال عن أي شيء يحدث".

قال تومي: "أنتِ لم تفهمي الأوامر بشكل صحيح. فالمطلوب منا أن نبلغ على الفور في حال إذا جاء إلينا أحد، وذكر رقم 16، لكن لم يأتِ أحد".

قالت توبينس: "هذه مراوغة".

"لا جدوى من هذا، فأنا أهوى اللعب منفردًا. عزيزتي توبينس سأكون على خير ما يرام، وسأكون أيضًا مدججًا بالأسلحة. فحقيقة الأمر برمته أنني سأكون على أهبة الاستعداد، لكنهم لن يعرفوا ذلك، وسوف يربت الرئيس على ظهري ثناء على عملي المتميز في هذه الليلة".

قالت توبينس: "على أية حال هذا الأمر لا يروق لي، كما أن هذا الرجل قوي كالغوريلا".

قال تومي: "آه! لكن لا تنسي مسدسي الآلي".

انفتح باب المكتب الخارجي، وظهر ألبرت الذي أغلق الباب خلفه واقترب منهما، وهو يحمل ظرفًا بيده.

قال ألبرت: "هناك رجل يرغب في رؤيتك. وحين طرحت الحيلة المعتادة في البداية قائلًا إنك مشغول في عمل ما مع شرطة العاصمة، أخبرني بأنه يعرف هذه الحيلة، وأنه هو نفسه من شرطة العاصمة! وقد كتب شيئًا على بطاقة ووضعها في هذا الظرف".

تناول تومي الظرف وفتحه، وبينما كان يقرأ البطاقة، ارتسمت ابتسامة واسعة على وجهه.

ثم قال: "لقد أخبرك الرجل بالحقيقة يا ألبرت، أدخله".

ألقى تومي بالبطاقة إلى توبينس. وكانت تحمل اسم المفتش ديمتشيرش، وكُتب عليها بالقلم الرصاص على عجل - "صديق ماريوت".

وفي لحظة، كان محقق شرطة العاصمة موجودًا في المكتب الداخلي. ومن حيث المظهر، كان المفتش ديمتشيرش والمفتش ماريوت من الطراز نفسه، قصيرًا وبدينًا وله عينان ماكرتان.

قال المفتش بروية: "مساء الخير. إن ماريوت حاليًا في جنوب ويلز، ولكن قبل أن يذهب طلب مني أن أراقبكما، وأن أراقب هذا المكان بشكل عام". ثم تابع حديثه بعد أن شكره تومي على اهتمامه، وكانت على وشك مقاطعته: "نحن نعرف كل شيء عن الأمر. إنه ليس من اختصاص إدارتنا، ونحن لا نتدخل بلا مبرر، لكن شخصًا ما أدرك أخيرًا حقيقة أن الأمور ليست كما تبدو. فقد استقبلتما هذه الظهيرة رجلًا. لا أعرف ماذا يسمي نفسه، ولا أعرف ما هو اسمه الحقيقي، لكنني أعرف القليل عنه، وهذا يجعلني أرغب بشدة في معرفة المزيد. فهل أنا محق في افتراض أنه حدد موعدًا معك في مكان معين هذا المساء؟".

"صحيح تمامًا".

"كما ظننت، 16 طريق ويسترهام، فينسبري بارك، هل كان ذلك؟".

قال تومي مبتسمًا: "لقد جانبك الصواب هذه المرة. بل لارتشيز، هامبستيد".

بدت المفاجأة حقًا على وجه ديمتشيرش، فمن الواضح أنه لم يكن يتوقع هذا.

ثم غمغم قائلًا: "أنا لا أفهم هذا. لا بد أنه ترتيب جديد. أقلت لارتشيز، هامبستيد؟".

"نعم. سأقابله الليلة في الحادية عشرة".

"لا تفعل هذا".

هنا اندفعت توبينس قائلة: "لقد أخبرتك بهذا!".

احمرَّ وجه تومي، ثم قال محتدًا: "إذا كنت تظن يا سيادة المفتش...".

لكن المفتش قاطعه رافعًا يده في إشارة له لكي يهدأ.

"سأخبرك بما أفكر فيه يا سيد بلانت. إن المكان الذي ستحب أن تكون موجودًا فيه الليلة عند الحادية عشرة هو هذا المكتب".

صاحت توبينس مذهولة: "ماذا؟".

"هنا في هذا المكتب، لا تهتما بالطريقة التي عرفت بها - فأعمال الأقسام المختلفة لدينا تتداخل معًا - ولكنك حصلت على إحدى هذه الرسائل "الزرقاء" الشهيرة اليوم، وذلك الرجل يسعى خلف هذه الرسالة. إنه يجذبك إلى هامبستيد ليتأكد تمامًا من أنك بعيد عن طريقه، لكي يدخل هنا ليلًا عندما يكون المبنى خاليًا وهادئًا ليفتش جيدًا على راحته".

"لكن لِمَ قد يظن أن الرسالة ستكون هنا؟ لابد أنه يعلم أنني يجب إما أن أحملها معي أو أنني أوصلتها".

"معذرة يا سيدي، هذا هو بالضبط ما لا يعرفه. فربما عرف حقيقة أنك لست السيد بلانت الحقيقي، لكن من المحتمل أنه ظن أنك مجرد رجل *حسن النية* يدير العمل هنا. وفي هذه الحالة، ستعتبر الرسالة من الأعمال العادية وسيتم حفظها على أنها كذلك".

قالت توبينس: "فهمت".

"وهذا ما سندعه يظنه. فسوف نضبطه متلبسًا هنا الليلة".

"إذن هذه هي الخطة، أليس كذلك؟".

"نعم. إنها فرصة العمر للقبض عليه. والآن فلنرَ كم الساعة، إنها السادسة. فمتى تغادر المكتب عادةً يا سيدي؟".

"نحو السادسة".

"يجب أن تتظاهر بأنك غادرت المكان في موعدك كالمعتاد، ثم سنتسلل عائدين متى سنحت الفرصة. ولا أعتقد أنهم سيأتون إلى هنا قبل الحادية عشرة، لكن يبقى هذا محتملًا بالطبع. اسمحا لي، فسأذهب وألقي نظرة في الخارج لعلي أجد أي شخص يراقب المكان".

رحل ديمتشيرش، وبدأ تومي نقاشه مع توبينس.

دامت المناقشة بعض الوقت واحتدمت. وفي النهاية استسلمت توبينس.

قالت توبينس: "حسنًا. أنا أستسلم. فسأذهب إلى المنزل، وسأجلس هناك كفتاة صغيرة مهذبة بينما تطارد أنت المحتالين، وتعمل مع المحققين - لكن اصبر يا رجل. سأنتقم منك لاحقًا لأنك ستبعدني عن هذه المتعة".

عاد ديمتشيرش في هذه اللحظة.

ثم قال: "المكان يبدو خاليًا تمامًا، لكن من يستطيع الجزم بذلك! من الأفضل أن تغادرا المكان كالمعتاد، فلن يستمروا في مراقبة المكان إذا غادرتما".

استدعى تومي ألبرت، وأعطاه التعليمات بأن يغلق المكان.

ثم شق الأربعة طريقهم إلى مرآب السيارات المجاور، حيث تُصف السيارة عادة. قادت توبينس السيارة، وجلس ألبرت إلى جوارها، بينما جلس تومي والمحقق في الخلف.

وبينما كانوا عالقين في الطريق بسبب الازدحام المروري، نظرت توبينس إلى تومي نظرة جانبية وأومأت برأسها. ففتح تومي والمحقق الباب الأيمن وخرجا في منتصف شارع أوكسفورد، وفي غضون دقيقة أو اثنتين انطلقت توبينس بالسيارة.

قال ديمتشيرش وهو يسير مسرعًا مع تومي في شارع هاليهام: "من الأفضل ألا ندخل على الفور، إن المفتاح بحوزتك، أليس كذلك؟".

أومأ تومي برأسه إيجابًا.

"إذن ماذا عن تناول العشاء؟ لا يزال الوقت مبكرًا، وهناك مطعم صغير في الجهة المقابلة. سنجلس إلى طاولة بجانب النافذة، حتى يمكننا مراقبة المكان طيلة الوقت".

تناولا وجبة صغيرة جاءت في وقتها تمامًا، وقد وجد تومي صحبة المحقق ديمتشيرش ممتعة للغاية. فقد كان عمل المفتش الرسمي في وسط الجواسيس الدوليين، وكانت لديه حكايات مثيرة يرويها وقد أدهشت مستمعه البسيط.

ظلا في المطعم الصغير حتى الثامنة، وعندئذ اقترح ديمتشيرش التحرك.

ثم قال مفسرًا: "لقد أصبحت السماء مظلمة تمامًا الآن، ومن ثم سيمكننا التسلل دون أن يشعر بنا أحد".

كانت السماء كما قال مظلمة تمامًا. وعبرا الطريق، ثم ألقيا نظرة سريعة على جانبي الشارع المهجور، وتسللا إلى المدخل. ثم صعدا الدرج، وأدخل تومي مفتاحه في قفل المكتب الخارجي.

وبمجرد أن فعل ذلك خُيل إليه أنه سمع ديمتشيرش وهو يصفر بجواره.

فسأله بحدة: "لم تصفر؟".

فقال ديمتشيرش بدهشة كبيرة: "أنا لم أصفر. فقد ظننت أنك *أنت* من يصفر".

فقال تومي: "حسنًا، هناك شخص ما...".

لم يتمكن تومي من إتمام عبارته حيث كبلته ذراعان قويتان من الخلف، وقبل أن يصرخ، ضغط هذا الشخص المجهول على أنفه وفمه بمنديل به مادة لها رائحة نفاذة وتأثير مخدر.

قاوم تومي بشراسة، لكن بلا جدوى. ثم سرى مفعول الكلوروفورم، فبدأ رأسه الدوران ومادت الأرض تحت قدميه، ثم اختنق وفقد الوعي...

عاد تومي إلى وعيه وهو يشعر بألم شديد في رأسه، لكنه كان مدركًا كل شيء حوله. كان ما تلقاه مجرد رشة صغيرة من الكلوروفورم. لقد خدروه لمقدار من الوقت يكفي لكي يضعوا كمامة على فمه ويضمنوا أنه لن يصرخ.

وعندما استعاد وعيه، كان مضطجعًا، وظهره مستندًا إلى جدار أحد أركان مكتبه الداخلي. كان هناك رجلان مشغولان بالبحث في محتويات المكتب، وتفتيش الخزانات، وبينما كانا يمارسان عملهما كانا يطلقان السباب.

قال الأطول بينهما بخشونة: "ساعدني يا رجل. لقد قلبنا المكان كله رأسًا على عقب. ولم نجد شيئًا".

صرخ الآخر بغضب قائلًا: "لا بد أن تكون هنا. إنها ليست بحوزته. وليس هناك مكان آخر يمكن أن توجد فيه".

وبينما كان يتحدث استدار، ولدهشة تومي الشديدة رأى أن المتحدث الأخير لم يكن سوى المفتش ديمتشيرش. ارتسمت على وجه الرجل ابتسامة عريضة وهو يرى علامات الدهشة مرتسمة على وجه تومي، ثم قال:

"صديقنا الشاب استيقظ مجددًا. وها هي مفاجأة صغيرة في انتظاره - نعم، مفاجأة صغيرة. لكن الأمر كان بسيطًا للغاية. لقد شككنا في أن هذا المكان لا يبدو وكالة تحقيقات دولية كما ينبغي لها في الواقع. ولقد تطوعت لاكتشاف ما إذا كان كذلك بالفعل أم لا. فإذا كان السيد بلانت الجديد جاسوسًا بالفعل، فسيكون متشككًا، لذا أرسلت صديقي العزيز كارل باور. لقد طلبت من كارل أن يمثل بشكل مثير للريبة ويروي قصة غير مقنعة. وقد فعل ما طلبته، ثم ظهرت أنا في المشهد. حيث استخدمت اسم المفتش ماريوت لأكسب ثقتك. والباقي كان سهلًا".

ثم أخذ يضحك.

كان تومي يتوق بشدة إلى قول الكثير من الأمور، لكن الكمامة التي وضعت على فمه منعته من فعل هذا. كما أنه كان راغبًا بشدة في القيام بعدة أشياء - غالبًا بيديه وقدمه - لكنه للأسف كان مكبل اليدين والقدمين أيضًا. لقد كان مقيدًا بإحكام.

لكن أكثر شيء أثار ذهوله كان ذلك التغير الهائل في الرجل الذي يقف أمامه. فبينما كان المفتش ديمتشيرش مثالًا تقليديًا للرجل الإنجليزي، فإنه لا يمكن لأحد أن يقول الآن شيئًا سوى إنه رجل أجنبي مثقف يتحدث الإنجليزية بطلاقة دون أثر لأية لكنة أجنبية فيها.

قال المفتش المزيف وهو يخاطب زميله بغيض المظهر: "كوجينز، احمل هراوتك يا صديقي العزيز وقف إلى جانب الأسير لأنني سأزيل الكمامة من فوق فمه. أنت تفهم يا عزيزي السيد بلانت أنها ستكون حماقة شديدة منك إذا صرخت، أليس كذلك؟ لكنني واثق بأنك تفهم. فأنت بالنسبة لسنك، شاب ذكي للغاية".

ثم نزع الكمامة بقوة وتراجع إلى الخلف.

حرك تومي فكيه المتصلبين، ومسح فمه من الخارج بلسانه، وابتلع ريقه مرتين - ولم يقل شيئًا على الإطلاق.

قال الآخر: "أهنئك على ضبطك نفسك".

"أرى أنك تقدر الموقف. أليس لديك أي شيء تقوله؟".

قال تومي: "لن يفسد ما أريد قوله بعض الانتظار".

"آه! لكن ما ينبغي أن أقوله أنا لن ينتظر. فسأقولها لك بشكل مباشر يا سيد بلانت، أين الرسالة؟".

قال تومي بمرح: "رفيقي العزيز، أنا لا أعرف، إنها ليست بحوزتي. لكنك تعرف هذا كما أعرفه. ولو كنت مكانك لواصلت البحث؛ إذ يروق لي أن أشاهدكما أنت وصديقك كوجينز وأنتما تلعبان الغميضة معًا".

تغير وجه الرجل الآخر.

"أنت تستمتع بكونك متبجحًا يا سيد بلانت. هل ترى هذا الصندوق المربع هناك. إنه يحتوي على معدات كوجينز. وداخل هذا الصندوق يوجد حمض الكبريتيك... نعم الكبريتيك... وأسياخ حديد يمكن تسخينها على النار، حتى يحمر لونها من الحرارة، وتحرق...".

هز تومي رأسه بحزن.

ثم غمغم قائلًا: "هناك خطأ في التشخيص، لقد منحت أنا وتوبينس هذه المغامرة الاسم الخطأ. إنها ليست قصة كلوب فوت. بل إنها قصة بولدوج دروموند، وأنت تمثل شخصية كارل بيترسون الفذة".

فزمجر الرجل الآخر بغضب: "ما هذا الهراء الذي تقول؟".

قال تومي: "آه! أفهم من ذلك أنك لا تعرف هذه الروايات الكلاسيكية. يا للحسرة".

"أحمق جاهل! هل ستفعل ما نريده منك أم لا؟ هل أخبر كوجينز بأن يخرج معداته ويباشر عمله؟".

قال تومي: "لا تكن قليل الصبر. بالطبع سأفعل ما تريده، بمجرد أن تخبرني بما هو. فأنت لا تفترض أنني أحب أن أتمزق مثل نعل مقطوع أو أتقلب على مشواة؟ فأنا أبغض أن أتألم".

نظر ديمتشيرش إليه بازدراء.

"يا إلهي! يا لهم من جبناء هؤلاء الإنجليز".

"إنها الفطرة السليمة يا صديقي العزيز، الفطرة السليمة فحسب. فدع حمض الكبريتيك وشأنه، ودعنا نناقش الأمور المهمة".

"أنا أريد الرسالة".

"لقد أخبرتك بالفعل بأنها ليست بحوزتي".

"نحن نعلم ذلك - كما أننا نعلم من التي من المفترض أن تكون بحوزتها، إنها الفتاة".

فقال تومي: "احتمال كبير أن تكون محقًا. وربما تكون قد دستها في حقيبتها عندما أثار صديقك كارل ريبتنا".

"أوه، أنت لا تنكر الأمر. وهذا تصرف حكيم منك. جيد جدًا، فستكتب إلى توبينس هذه، وتطلب منها أن تحضر الرسالة إلى هنا على الفور".

قال تومي: "لا أستطيع...".

فقاطعه الآخر قبل أن ينهي تومي جملته.

"آه! ألا تستطيع؟ حسنًا، سرعان ما سنرى إذا كان يمكنك فعل ذلك أم لا. كوجينز!".

قال تومي: "لا تكن في عجلة من أمرك هكذا، وانتظر حتى أنهي الجملة. لقد كنت سأقول إنني لن أستطيع أن أفعل ذلك ما لم تحل وثاقي. فبالله عليك أنا لست من هؤلاء المسوخ الذين يمكنهم الكتابة بأنوفهم أو مرافقهم".

"إذن أنت لا تمانع في القيام بالكتابة؟".

"بالطبع. ألم أخبرك بذلك طوال الوقت؟ فأنا مستعد تمامًا لأكون لطيفًا ومطيعًا. لكنك بالطبع لن تمس توبينس بأي أذى. أنا متأكد من أنك لن تفعل ذلك. إنها فتاة لطيفة".

فقال ديمتشيرش وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة بغيضة: "نحن لا نريد سوى الرسالة".

وبإيماءة منه جثا كوجينز المتوحش وحل وثاق تومي، فحرك تومي ذراعيه للأمام والخلف.

قال تومي بمرح: "هذا أفضل. فهل يتكرم كوجينز العطوف ويعطيني قلمي الحبر؟ إنه على الطاولة، مع أشيائي الأخرى على ما أظن".

أحضر الرجل القلم له، وهو عابس وقدم إليه ورقة.

قال ديمتشيرش مهددًا: "انتبه لما ستكتبه. فسنترك الأمر لك، لكن الفشل يعني لك - الموت - الموت البطيء".

قال تومي: "في هذه الحالة، سأبذل بالتأكيد قصارى جهدي".

فكر دقيقة أو دقيقتين ثم بدأ كتابة شيء ما بسرعة.

ثم سأل ديمتشيرش وهو يسلمه الرسالة: "ما رأيك في هذا؟".

عزيزتي توبينس،

هل يمكنك الحضور على الفور ومعك الرسالة الزرقاء؟

نحن في حاجة إلى فك شفرتها هنا والآن.

سريعًا أرجوكِ،

فرانسيس.

تساءل المفتش المزيف وهو يرفع حاجبيه: "فرانسيس؟ هل هذا هو الاسم الذي تدعوك به؟".

قال تومي: "حيث إنك لم تحضر يوم ميلادي، فلا أفترض أن بإمكانك أن تعرف ما إذا كان هذا اسمي أم لا. لكنني أظن أن علبة السجائر التي أخذتها من جيبي هي خير دليل على أنني أقول الحقيقة".

اقترب الرجل الآخر من الطاولة والتقط العلبة، وقرأ وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة العبارة المكتوبة عليها: "إلى فرانسيس من توبينس" ووضعها مكانها مرة أخرى.

قال ديمتشيرش: "أنا مسرور بأنك تتصرف بعقلانية. كوجينز، أعطِ فاسيلي هذه الرسالة. إنه يراقب المكان في الخارج. واطلب منه أن يأخذها ويذهب بها في الحال".

مرت الدقائق العشرون التالية ببطء، والدقائق العشر التي تلتها بشكل أكثر بطئًا. وكان ديمتشيرش يذرع الغرفة جيئة وذهابًا بوجه يزداد اكفهرارًا، وفجأة نظر إلى تومي مهددًا، ثم صاح وقال: "إذا كنت قد جرؤت على خداعنا، فسوف...".

تحدث تومي بتثاقل: "لو كانت لدينا أوراق لعب هنا، فربما كنا لعبنا مباراة قصيرة لتمضية الوقت. فالنساء دومًا يجعلننا ننتظر، أرجو ألا تكون قاسيًا على صغيرتي توبينس عندما تأتي".

قال ديمتشيرش: "أوه، لا. سوف نرتب الأمر لكي تذهبا إلى المكان ذاته - معًا".

قال تومي بصوت منخفض: "حسنًا أيها الوغد".

وفجأة حدثت ضجة في المكتب الخارجي، وظهر رجل لم يره تومي من قبل، أومأ برأسه وصاح بعبارة ما بالروسية.

فقال ديمتشيرش: "جيد، إنها آتية - وبمفردها".

للحظة شعر تومي بالقلق يتملك قلبه.

ثم في الدقيقة التالية سمع صوت توبينس.

"أوه، هأنتذا أيها المفتش ديمتشيرش. لقد أحضرت الرسالة. أين فرانسيس؟".

ومع الكلمة الأخيرة ظهرت عند الباب، فطوقها فاسيلي من الخلف، ووضع يده على فمها. ثم انتزع ديمتشيرش حقيبتها من قبضتها وقلب محتوياتها، وهو يفتشها بشكل محموم.

وفجأة أطلق صيحة فرح ورفع ظرفًا أزرق يحمل طابع بريد روسيًا، كما أطلق كوجينز صيحة فرح غليظة.

وفي هذه اللحظة من الانتصار، انفتح الباب الآخر - الباب الذي يقود إلى مكتب توبينس- بهدوء وخطا إلى داخل الغرفة المفتش ماريوت ومعه رجلان مسلحان، وجميعهم يحملون مسدسات ، وقال آمرًا:

"ارفعوا أيديكم إلى أعلى".

لم ينشب أي قتال، فالرجال الآخرون شلتهم المفاجأة، فوضع ديمتشيرش سلاحه على الطاولة، بينما لم يكن الرجلان الآخران مسلحين.

قال المفتش ماريوت باستحسان، وهو يغلق آخر زوج من الأغلال على أيدي المجرمين: "صيد صغير لطيف للغاية. وأتمنى أن نلقي القبض على المزيد بمرور الزمن".

حدق ديمتشيرش إلى توبينس بغضب.

ثم صرخ قائلًا: "أنت أيتها الماكرة الصغيرة. أنت من أوقعتِ بنا".

فأطلقت توبينس ضحكة عالية.

"لم أكن أنا على الإطلاق. أعترف بأنه كان ينبغي لي أن أخمن هذا، عندما ذكرت رقم 16 في سياق حديثك بعد ظهر اليوم. ولكن رسالة تومي هي التي حسمت الأمور. فاتصلت بالمفتش ماريوت، وطلبت من ألبرت أن يلتقيه ويعطيه نسخة من مفتاح المكتب، ثم جئت مع الظرف الأزرق الفارغ في حقيبتي. فالرسالة الفعلية وجهتها إلى من يهمه الأمر وفقًا للتعليمات الصادرة إليَّ بمجرد أن افترقت عنكما بعد ظهر اليوم".

لكن هناك كلمة واحدة من كل ما قيل لفتت انتباه الرجل الروسي.

فكرر متسائلًا: "تومي؟".

تقدم تومي الذي تحرر من فوره من قيوده نحوهم.

ثم قال تومي مداعبًا توبينس وهو يأخذ يديها بين يديه في رقة: "أحسنتِ صنعًا يا أخي فرانسيس". ثم قال موجهًا كلامه إلى ديمتشيرش: "كما أخبرتك يا هذا، يجدر بك أن تقرأ بعض الروايات الكلاسيكية".

السرقة المستحيلة

بينما كان رئيس الخدم يقدم السوفليه، مال اللورد مايفيلد، بطريقة تشي باهتمام خاص نحو السيدة التي تجلس على يمينه، الليدي جوليا كارينجتون. وحيث إن اللورد مايفيلد اشتُهر بكونه مضيفًا رائعًا، فقد بذل مجهودًا كبيرًا لكي يكون على قدر هذه السمعة التي يتمتع بها، وعلى الرغم من أنه غير متزوج، كان شخصًا جذابًا للنساء على الدوام.

وكانت الليدي جوليا كارينجتون امرأة في الأربعين من عمرها، طويلة القامة، وداكنة البشرة، ومفعمة بالحيوية. وعلى الرغم من أنها كانت نحيلة للغاية، لم يقلل هذا من جمالها، وكانت يداها وقدماها على وجه التحديد تتسمان بالجاذبية، لكنها على الجانب الآخر كانت فظة ومتململة بطبيعتها، ومتوترة وقلقة دائمًا.

وفي الجهة المقابلة لها من الطاولة كان يجلس زوجها، قائد القوات الجوية السير جورج كارينجتون. بدأ السير جورج مسيرته المهنية في سلاح البحرية، ولا يزال يتمتع بالبساطة المخادعة التي يتسم بها رجل بحرية سابق. وكان السير جورج يضحك ويمزح مع السيدة فاندرلين الجميلة، التي كانت تجلس في الناحية المقابلة من مضيفها.

أما السيدة فاندرلين، فكانت شقراء فاتنة، وكان صوتها يحمل لكنة أمريكية خفيفة، لكن لهجتها كانت لطيفة وطبيعية دون أي قدر من التكلف غير المبرر.

وعلى الجانب المقابل من السير جورج كارينجتون جلست عضو البرلمان السيدة ماكاتا، وكانت تحظى بمكانة مرموقة في لجنة الإسكان ورعاية الأطفال. كما كانت تصيح في وجه محدثها عوضًا عن التحدث بصورة طبيعية، وكانت بشكل عام مزعجة نوعًا ما؛ لذا ربما كان من الطبيعي أن يجد المارشال الجوي أن التحدث مع جارته التي تجلس على يمينه أكثر لطفًا.

وفي تلك الأثناء كانت السيدة ماكاتا - التي تناقش دومًا أمور العمل - تصيح بسيل قصير من المعلومات عن موضوعاتها المفضلة لجارها الذي يجلس على يسارها، الشاب ريجي كارينجتون.

كان ريجي كارينجتون في الحادية والعشرين من عمره، وكان غير مهتم ألبتة بموضوعات الإسكان ورعاية الأطفال، وفي الواقع لم يكن مهتمًا بأي موضوع سياسي؛ لذا كان يقول على فترات متقطعة: "يا له من أمر فظيع!" وأحيانًا "أوافقك الرأي تمامًا"، بينما عقله كان مشغولًا بشيء آخر. أما السيد كارلايل، السكرتير الخاص باللورد مايفيلد، فقد جلس بين ريجي الشاب ووالدته. وكان كارلايل شابًا شاحب الوجه، يرتدي نظارة، ويتسم بقدر من التحفظ الذكي، كما كان قليل الكلام، لكنه كان مستعدًا دائمًا كي يقحم نفسه في أي حوار متى سنحت الفرصة. وعندما لاحظ أن ريجي كارينجتون يحاول منع نفسه من التثاؤب من فرط الملل، انحنى إلى الأمام، وسأل السيدة ماكاتا بلباقة عن خطتها الخاصة بـ "لياقة الأطفال".

وحول الطاولة، وتحت الضوء الكهرماني الخافت تحرك كبير الخدم في صمت، ومعه خادمان آخران، ليقدم الأطباق

ويملأ الكئوس بالشراب. وكان اللورد مايفيلد يدفع راتبًا ضخمًا لطاهيه، كما اشتهر بأنه متذوق جيد للمشروبات الفاخرة.

كانت الطاولة دائرية، لكن شخصية المضيف كانت تفصح عن نفسها بشكل لا شك فيه. فحيثما جلس اللورد مايفيلد، فإن مكانه كان يمثل بوضوح رأس الطاولة. كما كان اللورد رجلا ضخمًا متين البنيان، ذا شعر فضي كثيف، وأنف مستقيم كبير، وذقن بارز بعض الشيء، وكان وجهه شبيه بالشخصيات الكاريكاتورية. وقبل أن يحصل على اللقب ويصبح اللورد مايفيلد، كان السير تشارلز ماكلولين يجمع بين العمل السياسي ورئاسة شركة هندسية كبيرة، حيث كان مهندسًا من الطراز الأول. وقد حصل السير تشارلز على لقب اللورد منذ عام مضى، وفي الوقت ذاته عيِّن كأول وزير لشئون التسليح، وهي وزارة جديدة أُنشئت من فورها.

وُضعت الحلوى فوق الطاولة، ثم قُدم الشراب. وبعد تبادل النظرات مع السيدة فاندرلين، نهضت الليدي جوليا وغادرت السيدات الثلاث الغرفة.

قُدمت حصة أخرى من الشراب، وأشار اللورد مايفيلد في عجالة إلى رياضة صيد طيور الدراج. وبعدها استمر الحوار مدة خمس دقائق أو ما يقرب من ذلك عن هذه الرياضة. ثم قال السير جورج:

"أظن أنك ترغب في الانضمام إلى الآخرين في غرفة الجلوس يا عزيزي ريجي، فاللورد مايفيلد لن يمانع في ذلك".

فهم ريجي ما يلمح إليه والده، فقال: "شكرًا يا سيدي اللورد، أظن أنني سأنضم إليهن".

ثم تمتم كارلايل:

"فلتأذن لي أنا أيضًا يا سيدي اللورد - فهناك مذكرة وبعض الأعمال الأخرى عليَّ إنجازها...".

أومـأ اللـورد مايفيلـد برأسـه موافقًا، فغـادر الشـابان الغرفـة. كمـا أن الخـدم كانـوا قد غـادروا الغرفة قبلهم، وأصبح وزير شئون التسليح وقائد القوات الجوية بمفردهما.

وبعد دقيقة أو دقيقتين، قال كارينجتون:

"حسنًا - هل الأمور تسير على ما يرام؟".

"بالتأكيـد! إنهـا قاذفـة القنابـل الجديـدة التي ليس لها مثيل في أية دولة في أوروبا".

"سيمنحنا هـذا ميـزة كبرى ليسـت لديهـا، أليس كذلك؟ هذا ما ظننته".

قال اللورد مايفيلد بحزم: "سيكون الأمر بمنزلة تفوق جوي واضح لصالحنا".

تنهد السير جورج كارينجتون بعمق، ثم قال:

"فـي الوقـت المناسـب تمامًـا! كمـا تعلـم يـا تشـارلز المسـألة تتعلق أساسًـا بالوقت، وقد مررنا بفترة عصيبة. فالأسـلحة تنتشـر فـي كل أنحـاء أوروبـا، ونحـن غيـر مسـتعدين بعد، اللعنـة! لقد كنا علـى مشـارف الفوز، ومـا زلنـا لـم نخـرج مـن مرحلة الخطـر بعد، بغض النظر عن مدى سرعتنا في بناء قدراتنا القتالية".

تمتم اللورد مايفيلد قائلًا:

"ومـع ذلـك يـا جـورج هنـاك بعض المزايـا للتأخـر فـي البدء. فالعديد من الأسـلحة الأوروبية أصبحت الآن بالية بالفعل - وهم على شفا الإفلاس على نحو منذر بالخطر".

قال السير جورج: "أنا لا أصدق أن هذا يعني أي شيء له قيمة فـي الواقـع. فالمـرء يسـمع كثيرًا عبـارات من نوع إن هـذه الأمة أو تلـك تتعرض لخطـر الإفلاس! لكنهـا تواصـل علـى المنـوال ذاته دون أي تعثـر لافـت، وكمـا تعلـم فالأمـور الماليـة تمثـل دومًـا لغـزًا عصيًا على الفهم بالنسبة لي".

لمعت عينا اللورد مايفيلد قليلًا. فقد كان السير جورج كارينجتون يلعب باستمرار دور السياسي المحنك "الصادق والمخادع في آن واحد". وكان هناك أشخاص يقولون إنه يتعمد اتباع هذا الأسلوب.

قال كارينجتون مديرًا دفة الحوار بأسلوب متكلف بعض الشيء:

"السيدة فاندرلين امرأة جذابة - أليس كذلك؟".

قال اللورد مايفيلد: "لعلك تتساءل ما الذي تفعله هنا؟".

وعكست عيناه نظرة باسمة.

فنظر إليه كارينجتون في حيرة.

وقال منكرًا: "لا على الإطلاق - على الإطلاق".

"لا، بل كنت تتساءل! لا تكن مراوغًا يا جورج. فقد كنت تتساءل - وأنت تشعر ببعض الاستياء - عما إذا كنت أنا آخر ضحاياها!".

فقال كارينجتون ببطء:

"أعترف بأن وجودها هنا بدا لي غريبًا بعض الشيء *بالفعل* - خاصة في عطلة هذا الأسبوع".

أومأ اللورد مايفيلد برأسه موافقًا.

"أينما وُجدت الفريسة، حامت النسور حولها. ونحن لدينا فريسة معروفة جيدًا، ويمكننا أن نقول على السيدة فاندرلين إنها النسر رقم 1".

فقال قائد القوات الجوية بغتة:

"هل تعرف أي شيء عن تلك المرأة فاندرلين؟".

أزال اللورد مايفيلد غطاء السيجار، وأشعله بدقة، ثم أرجع رأسه إلى الوراء، ونطق كلماته بتأنٍ شديد.

"ما الذي أعرفه عن السيدة فاندرلين؟ أنا أعرف أنها أمريكية. وأعرف أنها كان لديها ثلاثة أزواج، أحدهم كان إيطاليًا،

والآخر ألمانيًا، والثالث روسيًا، ونتيجة ذلك عقدت ما نطلق عليه "صلات" مفيدة في ثلاثة بلدان. وأعرف أنها قادرة على شراء ملابس باهظة الثمن والعيش بأسلوب فاخر للغاية، وأن هناك شكًا بشأن مصدر الدخل الذي يسمح لها بالقيام بكل ذلك".

تمتم السير جورج كارينجتون، وكانت ابتسامة عريضة تكسو وجهه:

"أرى أن جواسيسك يمارسون عملهم بكل جدية يا تشارلز".

فاستطرد اللورد مايفيلد قائلًا: "وأعرف أنها بالإضافة إلى امتلاكها جمالًا مغويًا، فإن السيدة فاندرلين مستمعة جيدة جدًا، ويمكنها إظهار اهتمام رائع بما نسميه شئون "العمل". وهذا يعني أنه يمكن للمرء أن يخبرها بكل شيء عن وظيفته وهو يشعر بأنه يثير اهتمام السيدة بشدة ويروق لها، ولا يُشعرها بأي ضيق أو ملل! لقد تمادى عدد من الضباط الشباب في غمرة حماستهم لكي يثيروا إعجابها واهتمامها، وقد تأثرت حياتهم المهنية نتيجة ذلك، حيث أخبروا السيدة فاندرلين بأكثر مما كان ينبغي أن يفعلوا. وتقريبًا جميع أصدقاء السيدة موجودون في مختلف الدوائر والوزارات ـ ولكنها في الشتاء الماضي كانت تمارس رياضة الصيد في مقاطعة معينة بالقرب من إحدى أكبر شركات التسليح التابعة لنا، وقد كونت هناك صداقات مختلفة ليست ذات طابع رياضي على الإطلاق. باختصار، السيدة فاندرلين شخص مفيد للغاية لـ...". ورسم دائرة في الهواء بسيجاره. وتابع: "ربما كان من الأفضل ألا نقول مفيدة لمن! سنقول فقط لقوة أوروبية معينة - وربما لأكثر من قوة أوروبية واحدة".

أخذ كارينجتون نفسًا عميقًا.

"لقد أزحت حملًا ثقيلًا عن كاهلي يا تشارلز".

"هل ظننت أنني وقعت في غرام المرأة الفاتنة؟ يا عزيزي جورج، إن السيدة فاندرلين شديدة الوضوح في أساليبها بالنسبة

لرجل كبير حذر مثلي، وإلى جانب ذلك، فهي - وكما يقولون- لم تعد شابة كما كانت من قبل. فطياروك الشباب لن يلاحظوا ذلك الأمر، لكنني في السادسة والخمسين يا رجل. وفي غضون أربع سنوات أخرى، من المرجح أن أغدو شيخًا متذمرًا من سلوكيات الشابات الجريئات في أوساطنا الاجتماعية".

قال كارينجتون معتذرًا: "كانت هذه حماقة مني، لكن الأمر بدا غريبًا بعض الشيء... ".

" لقد بدا لك وجودها هنا غريبًا في حفلة عائلية حميمة إلى حد ما، وفي وقت من المقرر أن نعقد فيه أنا وأنت مؤتمرًا غير رسمي بشأن اكتشاف من المحتمل أن يُحدث ثورة في معالجة مشكلة الدفاع الجوي برمتها".

أومأ السير جورج كارينجتون برأسه موافقًا.

فابتسم اللورد مايفيلد وقال:

"هذا هو الأمر بالضبط. إن هذا هو الطُّعم".

"الطُّعم؟".

"حسنًا يا جورج، دعني أحدثك بلغة الأفلام، نحن لا نمتلك أي شيء "يدين" هذه المرأة بالفعل. ونحن نريد الحصول على شيء معين! لقد أفلتت هذه المرأة بأكثر مما ينبغي لها في الماضي. لكنها كانت حذرة - حذرة للغاية. ونحن نعلم ما كانت تخطط له، لكن ليس لدينا دليل واضح على ذلك. لذا، علينا أن نغريها بشيء كبير".

"شيء كبير مثل مواصفات قاذفة القنابل الجديدة؟".

"بالضبط. يجب أن يكون شيئًا كبيرًا بما يكفي ليغريها بالمخاطرة - لكي تتصرف دون حذر. ثم - *نضع أيدينا عليها*!".

شهق السير جورج، ثم قال: "أوه، حسنًا. سأفترض أن الأمور ستسير حسب رغبتنا، لكن ماذا إذا لم تجازف؟".

قال اللورد مايفيلد: "سيكون هذا مؤسفًا"، ثم استطرد قائلًا: "لكنني أظن أنها ستجازف...".

ثم نهض وقال: "هلا ننضم إلى السيدات في غرفة الجلوس؟ يجب ألا نحرم زوجتك من ممارسة لعبة البريدج".

فقال السير جورج ممتعضًا: "جوليا مولعة للغاية بلعبة البريدج. إنها تنفق مبالغ مالية كبيرة عليها، ولا تستطيع تحمل نفقات المراهنة بمبالغ كبيرة كما تفعل، ولقد أخبرتها بذلك. إن المشكلة أن جوليا مغامرة بالفطرة".

ثم قال وهو يدور حول الطاولة لينضم إلى مضيفه:

"حسنًا، أتمنى أن تؤتي خطتك ثمارها يا تشارلز".

وفي غرفة الجلوس، حيث كانت السيدات، توقف الحديث أكثر من مرة. وعادة ما تكون السيدة فاندرلين في وضع سيئ عندما تكون بصحبة بنات جنسها. فتلك الطبيعة الفاتنة التي تتسم بها، والتي يقدرها الرجال للغاية، لا تلقى التقدير نفسه من النساء لسبب أو لآخر. فقد كانت الليدي جوليا امرأة ذات سلوك إما جيد للغاية وإما سيئ للغاية. وفي هذه اللحظة كانت تبغض السيدة فاندرلين، وتشعر بالملل من السيدة ماكاتا، ولم تخف هذه المشاعر. ومن ثم فقد قل الحديث بينهن، ثم توقف في النهاية كليًا إلا من جانب السيدة ماكاتا.

كانت السيدة ماكاتا امرأة مخلصة جدًا لأهدافها؛ لذا فقد تجاهلت السيدة فاندرلين على الفور، حيث إنها رأتها من الطراز الطفيلي عديم المنفعة. وحاولت أن تثير اهتمام الليدي جوليا بشأن حفل خيري آتٍ كانت تنظمه، لكن الليدي جوليا أجابت إجابة مبهمة، وتثاءبت مرة أو مرتين، وعادت مرة أخرى إلى الانشغال بأفكارها في صمت. وكانت السيدة تتساءل لماذا لم يلحق بهن تشارلز وجورج؟ وكانت ترى أنهما رجلان متعِبان، ثم

أصبحت تعليقاتها على الحديث من قبيل المجاراة لا أكثر، حيث زاد استغراقها في أفكارها وشواغلها الخاصة.

كانت السيدات الثلاث يجلسن في صمت عندما دخل الرجلان الغرفة.

قال اللورد مايفيلد في نفسه: "جوليا تبدو متعبة هذه الليلة. يا لها من امرأة متقلبة المزاج".

ثم قال بصوت مرتفع:

"ماذا عن جولة لعب- ما رأيكن؟".

أشرق وجه الليدي جوليا في الحال، فقد كان البريدج بمنزلة الهواء بالنسبة لها.

ودخل ريجي كارينجتون الغرفة في هذه الدقيقة، واكتملت مجموعة اللعب. فقد جلست الليدي جوليا، والسيدة فاندرلين، والسير جورج وريجي الشاب حول طاولة اللعب. أما اللورد مايفيلد فقد كرس نفسه لمهمة تسلية السيدة ماكاتا.

وبعد لعب جولتين، نظر السير جورج إلى الساعة الموجودة فوق رف المدفأة. ثم قال: "لقد تأخر الوقت على بدء جولة جديدة".

فبدا على زوجته الانزعاج.

"الساعة لا تزال الحادية عشرة إلا الربع. سنلعب جولة قصيرة".

فقال السير جورج بمرح: "جولات اللعب لا تكون قصيرة أبدًا يا عزيزتي. وعلى أية حال لديَّ أنا وتشارلز عمل نقوم به".

فغمغمت السيدة فاندرلين:

"كم يبدو هذا مهمًا! أظن أنكما رجلان بارعان ممن يتحكمون بمقاليد الأمور، ولا يحصلون أبدًا على راحة حقيقية".

قال السير جورج: "نحن لسنا ممن يعملون ثماني وأربعين ساعة فقط في الأسبوع".

فتمتمت السيدة فاندرلين: "أتدري، أشعر بالخجل من نفسي أحيانًا لأنني مجرد أمريكية فظة وصريحة، لكنني أشعر *بالإثارة* عندما أقابل أشخاصًا يتحكمون في مصير دولة. وإنني أتوقع أن وجهة النظر هذه تبدو لك فجة للغاية يا سير جورج".

"عزيزتي السيدة فاندرلين، أنا لم أفكر من قبل فيك على أنك "فظة" أو "فجة"".

ثم ابتسم وهو يحدق إلى عينيها. كانت هناك نبرة سخرية في صوته لم تغب عنها. فالتفتت ببراعة إلى ريجي، وابتسمت له بعذوبة، وهي تنظر في عينيه، وقالت:

"آسفة لأننا لم نكمل اللعب معًا. فقد كان ذكاءً شديدًا منك أن تسألني عن عدد الأوراق الرابحة معي دون أن ينتبه أحد خلال اللعب".

فاحمر وجه ريجي خجلًا وابتهج، ثم قال:

"إنها مجرد ضربة حظ أتت بثمارها".

"أوه، لا، إنها مهارة منك في الاستنباط. لقد استنبطت من المراهنة بالضبط أين يجب أن تكون البطاقات الرابحة، ولعبت وفقًا لهذا، وأظن أن هذه كانت عبقرية منك".

نهضت الليدي جوليا فجأة.

ثم قالت في نفسها بامتعاض: "هذه المرأة متملقة بشكل سافر".

ثم لانت نظرتها وهي تستقر على ابنها الذي صدَّق كلمات فاندرلين تمامًا. وكم بدا راضيًا ومبتهجًا، يا له من ساذج. فلا عجب في أنه يتعرض للمتاعب في حياته، حيث إنه يثق بالناس بشدة. لكن الحقيقة أنه يتمتع بطبيعة ودود، ووالده جورج لا يفهم ذلك، فالرجال قاسون في أحكامهم. إنهم ينسون أنهم كانوا شبابًا ذات يوم. وفي الواقع، كان جورج قاسيًا للغاية على ريجي.

نهضت السيدة ماكاتا بدورها، ثم تمنى الجميع بعضهم لبعض ليلة سعيدة.

خرجت السيدات الثلاث من الغرفة. وصب اللورد مايفيلد لنفسه مشروبًا بعد أن ناول السير جورج مشروبه، ثم نظر إلى كارلايل الذي ظهر عند الباب.

"هلا تفضلت وأخرجت الملفات والأوراق كلها يا كارلايل؟ بما فيها المخططات والمطبوعات. فالمارشال وأنا سنوافيك بعد قليل. لكننا سنأخذ جولة في الخارج أولًا، أليس كذلك يا جورج؟ لقد توقف المطر".

استدار كارلايل ليخرج من الغرفة، وغمغم باعتذار؛ حيث إنه كاد يصطدم بالسيدة فاندرلين.

اقتربت منهم السيدة فاندرلين، وقالت:

"نسيت كتابي، فقد كنت أقرأ فيه قبل العشاء".

فاندفع ريجي نحوها، وهو يحمل بين يديه كتابًا.

"هل هذا هو؟ هل هو الكتاب الذي كان على الأريكة؟".

"أوه، نعم. شكرًا لك كثيرًا".

ابتسمت بعذوبة، وتمنت لهم ليلة سعيدة مرة أخرى، وخرجت من الغرفة.

فتح السير جورج إحدى النوافذ الخلفية. ثم قال:

"ليلة جميلة. إنها لفكرة رائعة أن نأخذ جولة".

فقال ريجي:

"حسنًا، تصبح على خير يا سيدي. سآوي إلى فراشي".

رد اللورد مايفيلد: "تصبح على خير يا بني".

التقط ريجي قصة بوليسية كان قد شرع في قراءتها في وقت مبكر هذا المساء، وغادر الغرفة.

ثم خرج اللورد مايفيلد والسير جورج إلى الشرفة.

كانت ليلة جميلة، والسماء صافية ومليئة بالنجوم.

أخذ السير جورج نفسًا عميقًا.

ثم قال: "يا إلهي، تلك المرأة تضع عطرًا نفاذًا".

ضحك اللورد مايفيلد.

"على أية حال، إنه ليس عطرًا رخيصًا. ويجب أن أقول إنه من أغلى الأنواع الموجودة في السوق".

فنظر السير جورج إليه بتجهم.

"على المرء إذن أن يكون ممتنًا لها".

"في الواقع، ينبغي أن تكون كذلك. فأنا أظن أن المرأة التي تغمر نفسها بعطر رخيص تكون من أكثر الأشياء البغيضة المعروفة للجنس البشري".

تطلع السير جورج إلى السماء.

"عجيبة تلك الطريقة التي أصبحت بها السماء صافية. لقد كنت أسمع المطر يتساقط أثناء تناولنا العشاء".

تهادى الرجلان بخطو وئيد عبر الشرفة.

كانت الشرفة ممتدة بطول المنزل، وأسفلها انبسطت الأرض بانحدار خفيف، ما منحهما إطلالة رائعة على ريف ساسكس ومساحاته الخضراء المنبسطة.

أشعل السير جورج سيجارًا.

ثم استهل حديثه قائلًا: "بالنسبة إلى هذه السبيكة المعدنية...".

تحول الحوار مجددًا إلى العمل.

وبعد أن وصلا للطرف الآخر من الشرفة للمرة الخامسة، قال اللورد مايفيلد وهو يتنهد:

"أوه، لا بأس، أظن أنه من الأفضل أن نمضي قدمًا في الأمر".

"نعم، لدينا قدر لا بأس به من العمل علينا إنجازه".

التف الرجلان، وأطلق اللورد مايفيلد صيحة دهشة، وقال: "أوه! هل ترى هذا؟".

فسأله السير جورج: "أرى ماذا؟".

"أعتقد أنني رأيت شخصًا ما يتسلل عبر الشرفة من نافذة غرفة مكتبي".

"هراء يا رجل، لم أرَ أحدًا".

"حسنًا - لكنني رأيت - أو هكذا خُيل لي".

"عيناك تخدعانك. فقد كنت أنظر عبر الشرفة، ولم أرَ أي شيء يلفت الانتباه. ومن غير المرجح ألا أرى أمرًا كهذا - فأنا أرى كل شيء حتى إنني أحمل الصحيفة بطول ذراعي وأقرؤها بسهولة".

فضحك اللورد مايفيلد ضحكة خافتة.

"يمكنني أن أتفوق عليك في هذا الشأن يا جورج، فأنا أقرأ بيسر دون نظارة".

"لكنك لا تستطيع دائمًا أن تميز ملامح شخص على الجانب الآخر من المنزل. أم أنك تلبس نظارتك لمجرد بث الخوف في نفوس المحيطين بك؟".

أخذ الرجلان يضحكان، ثم دخل اللورد مايفيلد حجرة المكتب، التي كانت نافذتها الخلفية مفتوحة.

كان السيد كارلايل مشغولًا بترتيب بعض الأوراق في ملف بجوار الخزانة.

ثم رفع السيد كارلايل عينيه عندما دخلا الغرفة.

"حسنًا يا كارلايل، هل كل شيء جاهز؟".

"أجل، يا سيدي اللورد مايفيلد، إن كل الأوراق على مكتبك".

كان المكتب المقصود عبارة عن طاولة كتابة كبيرة فخمة من خشب الماهوجني موضوعة عند زاوية بجوار النافذة.

اتجه اللورد مايفيلد إلى الطاولة، وبدأ فرز الوثائق المختلفة الموضوعة عليها.

قال السير جورج: "إنها ليلة لطيفة".

وافقه السيد كارلايل قائلًا:

"نعم، بالفعل، إنه لأمر مذهل، إذ كيف أصبحت السماء صافية هكذا بعد المطر؟".

ثم وضع السيد كارلايل الملف الذي بين يديه، وسأل:

"هل ستحتاج إلى وجودي لأمر آخر هذه الليلة، يا سيدي اللورد؟".

"لا، لا أظن ذلك يا كارلايل، فسأعيد أنا الملفات إلى مكانها بنفسي. وربما نبقى حتى وقت متأخر، لذا يستحسن أن تخلد إلى النوم".

"شكرًا لك، طاب مساؤك يا لورد مايفيلد، طاب مساؤك يا سير جورج".

"طاب مساؤك يا كارلايل".

وبينما كان السكرتير على وشك مغادرة الغرفة، قال اللورد مايفيلد بحدة: "انتظر دقيقة واحدة كارلايل. فقد نسيتَ الملف الأكثر أهمية".

"معذرة، سيدي اللورد".

"مخططات قاذفة القنابل يا رجل".

حدق السكرتير بوجهه في دهشة، ثم قال:

"إنها أعلى الأوراق يا سيدي".

"ليس هناك أي شيء من هذا القبيل".

"لكنني وضعتها هناك".

"انظر بنفسك يا رجل".

وبوجه تعلوه الحيرة تقدم السكرتير، وانضم إلى اللورد مايفيلد عند المكتب.

وبنفاد صبر، أشار الوزير إلى كومة الأوراق. ففرز كارلايل الأوراق جيدًا، وزادت الحيرة التي تكسو ملامحه.

"أترى، إنها ليست موجودة".

قال السكرتير متلعثمًا:

"لكن هذا غير معقول. لقد وضعتها هنا منذ ثلاث دقائق مضت".

فقال اللورد مايفيلد مداعبًا:

"لابد أنك ارتكبت خطأ، لابد أنها ما زالت في الخزانة".

"لا أدري كيف هذا - لكنني *متأكد* أنني وضعتها هنا!".

اجتازه اللورد مايفيلد إلى الخزانة المفتوحة. وانضم إليهما السير جورج، وكانت بضع دقائق كافية لكي تثبت لهم أن مخططات القاذفة ليست في الخزانة.

عاد الرجال الثلاثة مذهولين وغير مصدقين إلى المكتب، وفتشوا الأوراق مرة أخرى.

قال اللورد مايفيلد: "يا إلهي! لقد اختفت!".

صاح السيد كارلايل:

"لكن هذا مستحيل!".

صاح الوزير غاضبًا: "من كان في هذه الغرفة؟".

"لم يكن هناك أحد. فلم يكن ثمة أحد على الإطلاق".

"اسمع يا كارلايل، هذه المخططات لم تتبخر في الهواء. فقد أخذها شخص ما. فهل كانت السيدة فاندرلين هنا؟".

"السيدة فاندرلين؟ أوه، لا يا سيدي".

قال كارينجتون: "سأتأكد من هذا". ثم اشتم هواء الغرفة، وقال: "سرعان ما سنشم رائحة عطرها إذا ما كانت قد جاءت إلى هنا".

أصر كارلايل قائلًا: "لم يدخل أحد هنا، ولا يمكنني استيعاب ما حدث".

فقال اللورد مايفيلد: "اسمع يا كارلايل، تمالك نفسك. يجب أن نصل إلى حقيقة هذا الأمر. فهل أنت متأكد من أن المخططات كانت في الخزانة؟".

"بكل تأكيد".

"هل رأيتها بالفعل؟ أنت لا تفترض فحسب أنها كانت بين الأوراق الأخرى، أليس كذلك؟".

"لا، لا، يا سيدي اللورد. لقد رأيتها بنفسي، ووضعتها فوق الأوراق الأخرى على المكتب".

"ومنذ ذلك الحين، أنت تقول إن الغرفة لم يدخلها أحد. فهل خرجت أنت من الغرفة؟".

"لا _ تقريبًا - نعم، لقد خرجت".

صاح السير جورج: "آه! الآن فهمنا ما حدث!".

فقال اللورد مايفيلد بحدة:

"لِمَ فعلت ذلك بالله عليك..."، فقاطعه كارلايل قائلًا:

"بطبيعة الحال يا سيدي اللورد مايفيلد ينبغي لي ألا أفكر في مغادرة الحجرة في وجود الأوراق خارج الخزانة، لكنني سمعت صرخة امرأة...".

صاح اللورد مايفيلد بصوت تملؤه الدهشة: "صرخة امرأة؟".

"نعم، يا سيدي اللورد. لقد أفزعتني الصرخة أكثر مما يمكن أن أصف. فقد كنت أضع الأوراق على المكتب عندما سمعتها، وبطبيعة الحال هرعت إلى البهو".

"من الذي أطلق هذه الصرخة؟".

"خادمة السيدة فاندرلين الفرنسية. فقد كانت تقف في منتصف الدرج، وتبدو شاحبة ومتوترة وكان جسدها كله يرتجف. وقالت إنها رأت شبحًا".

"رأت شبحًا؟".

"نعم، امرأة طويلة القامة ترتدي ملابس بيضاء، تتحرك في صمت وتطير في الهواء".

"يا لها من قصة سخيفة!".

"نعم، يا سيدي اللورد، هذا ما أخبرتها به. ويجب أن أقول إنها بدت خجلة من نفسها. ثم صعدت هي الدرج وعدت أنا إلى هنا".

"كم من الوقت مضى على حدوث هذا؟".

"قبل دخولك أنت والسير جورج بدقيقة أو دقيقتين فقط".

"وكم بقيت أنت خارج الغرفة؟".

صمت السكرتير مفكرًا، ثم قال:

"دقيقتين - أو ثلاث دقائق على أقصى تقدير".

صرخ اللورد مايفيلد قائلًا: "وقت كافٍ تمامًا". ثم تشبث بذراع صديقه بغتة.

"جورج، ذلك الظل الذي رأيته يتسلل من خلال النافذة. كان ذلك هو اللص! وبمجرد أن غادر كارلايل الغرفة، تسلل ذلك الشخص إليها، واستولى على المخططات وفر".

فقال السير جورج: "عمل قذر".

ثم قبض على ذراع صديقه.

"اسمع يا تشارلز، هذا عمل آثم. فما الذي سنفعله حيال ذلك؟".

"حاول فعل أي شيء يا تشارلز".

بعد مرور نصف ساعة، كان الرجلان في حجرة مكتب اللورد مايفيلد، وقد جرب السير جورج عددًا لا بأس به من طرق الإقناع لحث صديقه على اتخاذ إجراء معين.

وكان اللورد مايفيلد غير راغب في ذلك في البداية، لكنه أصبح تدريجيًا أقل تحفظًا إزاء هذه الفكرة.

استرسل السير جورج قائلًا:

"لا تكن صعب المراس يا تشارلز".

فقال اللورد مايفيلد ببطء:

"لِمَ نقحم أجنبيًا بائسًا لا نعرف عنه شيئًا في الأمر؟".

"لكنني أعرف الكثير عنه، إنه رجل مذهل".

"إممم".

"عزيزي تشارلز. إنها فرصة! والتكتم هو أساس هذا العمل. فإذا تسرب الخبر...".

"تقصد *عندما* يتسرب الخبر!".

"ليس بالضرورة. فهذا الرجل هيركيول بوارو...".

"هل سيأتي إلى هنا ويخرج المخططات كالمشعوذ الذي يخرج الأرانب من قبعته؟".

"إنه سيتوصل إلى الحقيقة. والحقيقة هي ما ننشده. فاسمع يا تشارلز، سأتحمل مسئولية هذا بنفسي".

قال اللورد مايفيلد ببطء:

"أوه، لا بأس، حل الأمر بطريقتك. لكنني لا أفهم ما الذي يمكن لهذا الرجل أن يفعله...".

التقط السير جورج سماعة الهاتف.

"سأتصل به - الآن".

"سيكون نائمًا".

"فليستيقظ من نومه. سحقًا يا تشارلز، لا يمكنك أن تترك هذه المرأة تنجو بفعلتها".

"أتقصد السيدة فاندرلين؟".

"نعم. فهل تشك في هذا، ألا تشك في أنها وراء كل هذا؟".

"لا، لا شك في أنها من فعل هذا. لقد قلبت الطاولة عليَّ بانتقام. ولا أحب الاعتراف بهذا يا جورج، لكن المرأة تفوقت علينا، وفعلت ما هو غير متوقع. ولن نتمكن من إثبات أي شيء

ضدها، ومع ذلك فكلانا يعرف أنها الفاعل الرئيسي في هذه القضية".

قال كارينجتون بغضب: "النساء ماكرات بالفعل. ولا شيء يربطها بالأمر، سحقًا لكل شيء! فنحن على يقين بأنها هي من رتبت خدعة صراخ الفتاة، وأن الرجل المتربص في الخارج كان شريكها، لكن الشيء المؤسف هو أننا لا نستطيع إثبات ذلك".

"ربما يتمكن بوارو من هذا".

وفجأة أطلق اللورد مايفيلد ضحكة متوترة.

"بالله عليك يا جورج، أظن أنك نموذج للرجل الإنجليزي التقليدي لكي تضع ثقتك برجل فرنسي مهما كانت مهارته".

قال السير جورج بشيء من الخجل: "إنه ليس فرنسيًا، إنه بلجيكي".

"حسنًا، أحضر ذلك البلجيكي إلى هنا، ودعه يجرب ذكاءه في هذه الأمر. وأتحداك بأنه لن يتمكن من التوصل إلى أكثر مما توصلنا نحن إليه".

مد السير جورج يده والتقط سماعة الهاتف دون أن ينبس ببنت شفة.

أخذ هيركيول بوارو يرمش بعينيه وينقل نظراته بين الرجلين، ثم تثاءب بلطف شديد.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحًا. وكان بوارو قد استيقظ من نومه وهرع تحت جنح الظلام في سيارة رولز رويس كبيرة إلى منزل اللورد مايفيلد. والآن كان قد انتهى من فوره من الاستماع إلى ما أخبره به الرجلان.

قال اللورد مايفيلد: "تلك هي الحقائق يا سيد بوارو".

استرخى اللورد في مقعده، وببطء ثبت نظارته ذات العدسة الواحدة فوق إحدى عينيه. وأخذ بانتباه شديد يراقب بوارو

من خلف نظارته بعينه الزرقاء التي تعكس فطنته وتشككه في آن واحد. وفي الوقت نفسه ألقى بوارو نظرة خاطفة على السير جورج كارنجتون.

من ناحيته، كان السير جورج يميل إلى الأمام، وقد ارتسم على وجهه أمل طفولي.

قال بوارو ببطء:

"أنا أمتلك الحقائق، نعم. صرخت الخادمة، فخرج السكرتير، وبسرعة دخل ذلك المتربص المجهول، والمخططات كانت فوق المكتب، وقد سرقها هذا المجهول وذهب. الحقائق ـ إنها مواتية تمامًا".

يبدو أن شيئًا ما بالطريقة التي نطق بها العبارة الأخيرة جذب انتباه اللورد مايفيلد، فاعتدل قليلًا في مقعده، وسقطت نظارته الأحادية من فوق عينه كما لو أن هناك فكرة جديدة خطرت بباله.

"معذرة، ماذا قلت يا سيد بوارو؟".

"لقد قلت يا لورد مايفيلد إن الحقائق كانت مواتية جدًّا - بالنسبة للص. وبالمناسبة، هل أنت متأكد من أن مَنْ لمحته كان رجلًا ؟".

فهز اللورد مايفيلد رأسه نافيًا.

"لا يمكنني الجزم بهذا. فقد كان مجرد - ظل. وفي الواقع، لقد كنت أكثر ميلا إلى الشك في أنه لم يكن هناك أحد من الأساس".

نقل بوارو بصره إلى قائد القوات الجوية.

"وماذا عنك يا سير جورج؟ هل يمكنك الجزم بما إذا كان الظل لامرأة أم لرجل؟".

"أنا عن نفسي لم أرَ أي ظل".

أطرق بوارو رأسه مفكرًا، ثم نهض فجأة واقفًا، واتجه إلى طاولة الكتابة.

فقال اللورد مايفيلد: "أؤكد لك أن المخططات ليست هنا. فقد فحصنا نحن الثلاثة الأوراق جيدًا ست مرات".

"أنتم الثلاثة؟ أتعني أن سكرتيرك أيضًا كان معكما؟".

"أجل، كارلايل".

التفت بوارو بغتة:

"أخبرني يا لورد مايفيلد، أية ورقة كانت فوق باقي الأوراق عندما توجهت إلى مكتبك؟".

قطَّب مايفيلد جبينه قليلًا محاولًا أن يتذكر.

"دعني أرَ - نعم، كانت مذكرة ما عن مواقع دفاعنا الجوي".

وبحركة خفيفة انتزع بوارو الورقة وأخرجها.

"هل هذه هي يا لورد مايفيلد؟".

أخذ اللورد مايفيلد الورقة، وألقى نظرة عليها.

"نعم، هذه هي".

أعطى بوارو كارينجتون الورقة.

"هل لاحظت هذه الورقة على المكتب؟".

أخذ السير جورج الورقة، وأبعدها عنه بطول ذراعه، ثم ارتدى نظارته.

"نعم، هذا صحيح. لقد فحصت الأوراق مليًا مع كارلايل ومايفيلد. لقد كانت هذه الورقة في الأعلى".

أطرق بوارو برأسه مفكرًا، ثم وضع الورقة مجددًا على المكتب، فتطلع إليه مايفيلد بنظرة تشي بالحيرة.

ثم بدأ الحديث قائلًا: "إذا كانت هناك أية أسئلة أخرى ...".

"نعم، بالطبع هناك سؤال. كارلايل. كارلايل هو السؤال!".

تغير لون وجه اللورد مايفيلد بعض الشيء.

"كارلايل يا سيد بوارو فوق مستوى الشبهات! إنه سكرتيري الأمين منذ تسع سنوات. إنه يستطيع الوصول لكل أوراقي الخاصة، ويمكنني أن أقول لك إنه كان في مقدوره أن ينسخ

المخططات، ويسجل المواصفات بسهولة دون أن يعلم أحد بذلك".

قال بوارو: "أفهم وجهة نظرك. أن ترى أنه إذا كان مذنبًا فلن يكون في حاجة إلى أن يدبر جريمة سرقة خرقاء".

قال اللورد مايفيلد: "على أية حال. أنا أثق بكارلايل. واضمنه".

قال كارينجتون بخشونة: "كارلايل لا غبار عليه".

مد بوارو يديه برشاقة، وقال:

"وماذا عن السيدة فاندرلين - أهي موضع شك؟".

قال اللورد مايفيلد بنبرة أكثر تحفظًا:

"أظن يا سيد بوارو أنه لا يمكن أن يكون هناك شك في أنشطة السيدة فاندرلين. فوزارة الخارجية يمكن أن تمدك بمعلومات أكثر أهمية بهذا الشأن".

"وماذا عن الخادمة، هل تظن أنها متواطئة مع سيدتها؟".

قال السير جورج: "لا شك في هذا".

وقال اللورد مايفيلد بحذر أكبر: "يبدو لي هذا افتراضًا معقولًا".

خيم الصمت على المكان. ثم تنهد بوارو، وبشرود أعاد ترتيب بعض الأغراض الموضوعة على الطاولة الموجودة على يمينه، وقال:

"أفهم من ذلك أن هذه الأوراق تساوي مالًا؟ وهذا يعني أن الأوراق المسروقة تستحق بالتأكيد مبلغًا كبيرًا يدفع نقدًا".

"إذا قدمت إلى جهات معينة، فإن الإجابة هي - نعم".

"مثل ماذا؟".

ذكر السير جورج اسم قوتين أوروبيتين.

فاومأ بوارو برأسه.

"هذه الحقيقة ستكون معروفة لأي أحد على ما أظن؟".

"ويشمل ذلك السيدة فاندرلين بطبيعة الحال".

"أنا أقول *لأي أحد*؟".

"أفترض أن هذا صحيح".

"أي أحد على قدر محدود من الذكاء سيقدر القيمة المالية لهذه المخططات، أليس كذلك؟".

قال اللورد مايفيلد وهو يبدو منزعجًا: "نعم، لكن يا سيد بوارو...".

رفع بوارو يده.

"أنا أسلك كل الدروب الممكنة للتوصل إلى الحل".

ثم نهض بغتة مجددًا، وخطا بسرعة خارج النافذة، وفحص بالكشاف حافة العشب عند الطرف الأقصى من الشرفة.

راقبه الرجلان وهو يفعل ذلك.

ثم دخل مجددًا وجلس، ثم قال:

"أخبرني يا لورد مايفيلد، ذلك المجرم المتلصص في الظلام، ألم تلاحقه؟".

هز اللورد مايفيلد كتفيه نافيًا.

"بمقدور هذا الشخص أن يشق طريقه في الجزء السفلي من الحديقة إلى الطريق الرئيسي، وإذا كانت لديه سيارة تنتظر هناك، فسيمكنه الابتعاد في غضون وقت قصير...".

"لكن هناك الشرطة، والدوريات الجوالة...".

قاطعه السير جورج قائلًا:

"لقد نسيت، يا سيد بوارو. إنه لا يمكننا *المخاطرة بإذاعة الخبر*. فإذا كُشف أن هذه المخططات قد سُرقت، فستكون النتيجة غير مواتية للحزب تمامًا".

قال بوارو: "آه، نعم. يجب على المرء تذكر اعتبارات *السياسة*. كما يجب التزام السرية التامة، ولذلك أرسلتم في طلبي. حسنًا، هكذا يبدو الأمر أكثر وضوحًا".

قال اللورد مايفيلد بنبرة مرتابة: "هل لديك أمل في النجاح يا سيد بوارو؟".

هز الرجل الضئيل كتفيه، وقال: "ولِمَ لا. فعلى المرء أن يفكر ويتأمل فقط".

ثم صمت برهة، واستطرد قائلًا:

"أود أن أتحدث الآن إلى السيد كارلايل".

نهض اللورد مايفيلد، وقال: "بكل تأكيد. لقد طلبت منه الانتظار، فسيكون في مكان قريب من هنا".

ثم خرج من الغرفة.

نظر بوارو إلى السير جورج، وقال: "حسنًا، ماذا بشأن ذلك الرجل الذي ظهر في الشرفة؟".

"عزيزي السيد بوارو. لا تسألني! فأنا لم أرَه، ولا يمكنني وصفه".

انحنى بوارو للأمام، وقال:

"نعم لقد قلتَ ذلك بالفعل. لكن الأمر يبدو مختلفًا عما تقوله، أليس كذلك؟".

فسأله السير جورج بفظاظة: "ماذا تعني؟".

"كيف يمكنني أن أقول هذا؟ إن تشكك في الأمر يبدو مبالغًا فيه".

هم السير جورج بالحديث، لكنه توقف.

فقال بوارو ليحثه على الاسترسال: "لكن، أخبرني. كان كلاكما في طرف الشرفة. ورأى اللورد مايفيلد ظلًا ينسل من النافذة، ويسير عبر العشب. فلماذا لم ترَ أنت ذلك الظل؟".

حدق إليه كارينجتون، وقال:

"لقد أصبت يا سيد بوارو، فأنا قلق منذ ذلك الحين. إنني كنت سأقسم بيقين أنه لم يخرج أحد من هذه النافذة. وقد ظننت أن مايفيلد يتخيل هذا - أو أنه كان فرع شجرة متمايلًا - أو أي

شيء من هذا القبيل. ثم عندما دخلنا هنا، واكتشفنا أمر السرقة، بدا أنه لا بد من أن مايفيلد على حق، وأنني كنت مخطئًا. ومع ذلك...".

ابتسم بوارو.

"ومع ذلك ما زلت في صميم قلبك تؤمن بالدليل (الدليل السلبي) لعينيك؟".

"أنت محق يا سيد بوارو. فهذا ما أشعر به حقًّا".

منحه بوارو ابتسامة مفاجئة، وقال:

"يا لك من رجل حكيم".

فقال السير جورج بحدة:

"أنت لم تعثر على أية آثار أقدام على حافة العشب، أليس كذلك؟".

فأومأ بوارو موافقًا.

"بالضبط. إن اللورد مايفيلد يتخيل أنه رأى ظلًا. ثم أتى حادث السرقة، وأصبح متأكدًا! فالأمر لم يعد مجرد خيال - لقد رأى *الرجل* بالفعل. لكن الأمر ليس كذلك في الحقيقة. وبالنسبة لي، أنا لا أهتم كثيرًا بآثار الأقدام ومثل هذه الأشياء، لكنني أهتم بما يستحق من تلك الأدلة السلبية. *فلم تكن هناك آثار أقدام على العشب*. حيث كان المطر غزيرًا هذا المساء، ولو عبر رجل الشرفة إلى العشب هذه الليلة، لكانت آثار قدميه قد ظهرت".

حدق إليه السير جورج، وقال: "لكن... لكن...".

"هذا يعيدنا مرة أخرى إلى المنزل. إلى الأشخاص الموجودون في المنزل".

قطع بوارو حديثه عندما انفتح الباب، ودخل اللورد مايفيلد والسيد كارلايل.

على الرغم من أن السكرتير كان يبدو شاحبًا للغاية وقلقًا، فقد استعاد بعضًا من رباطة الجأش. وبعد أن عدل من وضع نظارته، جلس ونظر إلى بوارو مستفسرًا.

"كم من الوقت مر عليك بهذه الغرفة قبل أن تسمع الصرخة يا سيدي؟".

فكر كارلايل، ثم قال:

"يمكنني القول ما بين خمس وعشر دقائق".

"وقبل هذا هل كان هناك أي مصدر إزعاج من أي نوع؟".

"لا".

"ما فهمته أن الحفل المنزلي كان - خلال الجزء الأكبر من الأمسية - مقامًا في غرفة واحدة".

"نعم، غرفة الجلوس".

نظر بوارو في مفكرته.

"السير جورج كارينجتون وزوجته، والسيدة ماكاتا، والسيدة فاندرلين، والسيد ريجي كارينجتون، ثم اللورد مايفيلد وأنت. أهذا صحيح؟".

"أنا لم أكن في غرفة الجلوس. فقد كنت أعمل هنا خلال الجزء الأكبر من هذه الأمسية".

التفت بوارو إلى اللورد مايفيلد، وقال:

"من أول شخص أوى إلى الفراش؟".

"الليدي جوليا كارينجتون على ما أظن. ففي الواقع السيدات الثلاث خرجن معًا".

"ثم؟".

"دخل السيد كارلايل، وأخبرته بأن يخرج الأوراق، وبأنني والسير جورج سننضم إليه بعد دقائق".

"ثم عندها قررتما التجول في الشرفة؟".

"نعم".

"هل قيل أي شـيء في حضـرة السـيدة فاندرلين يتعلق بعملك في غرفة المكتب؟".

"نعم، لقد ذُكر الأمر أمامها".

"لكنها لم تكن في الغرفة عندما أمرت السيد كارلايل بإخراج الأوراق؟".

"لا".

قال السيد كارلايل: "معذرة يا سيدي اللورد مايفيلد. لكن بعد أن أخبرتني أنت بهذا، صادفت السيدة فاندرلين عند مدخل الباب. وكانت قد عادت من أجل أخذ كتابها".

"إذن، أنت تظن أنها ربما تكون قد سمعت؟".

"نعم، أظن أن هذا ممكن".

استغرق بوارو في التفكير، ثم قال: "عادت من أجل كتاب، وهل عثرت على هذا الكتاب يا لورد مايفيلد؟".

"نعم ريجي أعطاها إياه".

"آه، نعم، هذا ما تسمونه خدعة تقليدية - العودة من أجل كتاب. إنها غالبًا ما تُفلح!".

"هل تظن أن ذلك كان متعمدًا؟".

هز بوارو كتفيه، ثم قال: "وبعد ذلك خرجتما معًا إلى الشرفة. وماذا فعلت السيدة فاندرلين؟".

"ذهبت مع كتابها".

"وريجي الشاب. هل أوى إلى فراشه أيضًا؟".

"نعم".

"والسيد كارلايل أتى إلى هنا، وبعد ما يقرب من خمس أو عشر دقائق سمع صرخة. فأكمل يا سيد كارلايل. لقد سمعت الصرخة وخرجت إلى البهو. آه، ربما سيكون من الأسهل لو أعدت أمامنا تمثيل ما فعلته حينها".

نهض السيد كارلايل وهو مستغرب بعض الشيء.

فقال بوارو ليساعده: "هأنذا أصرخ". ثم فتح فمه وأطلق صوتًا أشبه بثغاء حاد. فأدار اللورد مايفيلد رأسه ليداري ابتسامته، وبدا السيد كارلايل منزعجًا للغاية.

فصرخ بوارو: "هيا! تقدم! إلى الأمام! هيا لقد أعطيتك الإشارة عندما أطلقت تلك الصرخة".

سار السيد كارلايل بشكل متصلب إلى الباب، ثم فتحه وخرج. فتبعه بوارو، وخرج الرجلان الآخران خلفهما.

"هل أغلقت الباب خلفك أم تركته مفتوحًا؟".

"لا يمكنني تذكر هذا حقًا. ولا بد أنني تركته مفتوحًا".

"لا يهم. أكمل".

مشى كارلايل بخطوات متثاقلة إلى أسفل الدرج، ووقف هناك وهو ينظر لأعلى.

قال بوارو:

"كانت الخادمة كما تقول تقف على الدرج. فأين بالضبط؟".

"في منتصفه".

"وكان يبدو عليها الانزعاج".

"بالتأكيد".

صعد بوارو الدرج سريعًا، ثم قال: "رائع، اعتبر أنني أنا الخادمة. فهل كانت تقف هنا؟".

"درجة أو درجتين أعلى".

"هكذا؟".

قالها وهو يصعد الدرج.

"حسنًا، ليس هكذا تمامًا".

"كيف إذن؟".

"حسنًا، لقد كانت تضع يديها فوق رأسها".

"آه، يداها فوق *رأسها*. إن هذا مثير للاهتمام، أكانت تضعهما هكذا؟" قالها بوارو ورفع ذراعيه، ووضع يديه على رأسه فوق أذنيه مباشرة.

"نعم هكذا".

"أها! أخبرني يا سيد كارلايل، كانت الفتاة جميلة - أليس كذلك؟".

"في الحقيقة، لم أنتبه لهذا".

كان صوت كارلايل منزعجًا.

"أها، لم تنتبه؟ لكنك شاب، ألا ينتبه الشاب عندما تكون الفتاة جميلة؟".

"حقًا، يا سيد بوارو كل ما يمكنني قوله هو أن أكرر ما قلته، لا لم *أنتبه*".

ألقى كارلايل نظرة إلى سيده تنم عن انزعاجه. بينما أطلق السير جورج كارينجتون ضحكة مكتومة مفاجئة.

ثم قال: "السيد بوارو مصر على استفزازك يا كارلايل".

قال بوارو وهو يهبط الدرج: "أنا عن نفسي أنتبه دائمًا عندما تكون الفتاة جميلة".

وكان الصمت الذي قابل به السيد كارلايل هذه الملاحظة دالًا إلى حد ما. فاسترسل بوارو:

"وحينها أخبرتك بقصة رؤيتها الشبح؟".

"نعم".

"هل صدقت حكايتها؟".

"لا، يا سيد بوارو!".

"لا أقصد، أنك تؤمن بالأشباح. بل أعني هل صدمك أن الفتاة نفسها اعتقدت حقًا أنها رأت شيئًا ما؟".

" أوه، فيما يتعلق بذلك، لا أستطيع أن أجزم. فلقد كانت أنفاسها متلاحقة، وبدت مستاءة".

"ألم ترَ أو تسمع أي شيء من سيدتها؟".

"نعم، في الواقع لقد خرجت من غرفتها في الأعلى وصاحت "ليوني"".

"ثم ماذا حدث؟".

"هرعت الفتاة لأعلى، وعدت أنا إلى المكتب".

"بينما كنت واقفًا عند أسفل الدرج هنا، هل كان من الممكن لأي شخص أن يدخل المكتب من الباب الذي تركته مفتوحًا؟".

هز كارلايل رأسه نافيًا.

"لن يفعل دون أن يمر أمامي. فباب المكتب في نهاية الممر كما ترى".

أطرق بوارو رأسه مفكرًا. واستطرد كارلايل بصوته الحذر الدقيق:

"ربما يجدر بي أن أقول إنني غاية في الامتنان أن اللورد مايفيلد شاهد اللص وهو يغادر من النافذة. وإلا لكنت سأعلق في موقف لا أحسد عليه".

تدخل اللورد مايفيلد في الحديث بنفاد صبر قائلًا: "هراء، يا عزيزي كارلايل. لا يمكن أن تكون موضع شك".

"هذا لطف كبير منك يا سيدي اللورد، لكن الحقائق هي الحقائق، ويمكنني أن أرى أنها كلها تدينني. وعلى أية حال أنا لا أمانع تفتيشي وتفتيش مقتنياتي".

قال مايفيلد: "هراء يا عزيزي".

لكن بوارو غمغم قائلًا:

"هل أنت صادق في رغبتك هذه؟".

"بالطبع سأفضل ذلك".

تأمله بوارو دقيقة أو دقيقتين، ثم تمتم: "أفهم ذلك".

ثم سأل:

"أين تقع غرفة السيدة فاندرلين من حجرة المكتب؟".

"فوقها مباشرة".

"وهل بها نافذة تطل على الشرفة؟".

"نعم".

فأومأ بوارو برأسه ثانية، ثم قال:

"دعونا نذهب إلى غرفة الجلوس".

وهناك تجول في أرجاء الغرفة، وفحص أقفال النوافذ، وألقى نظرة خاطفة على المفكرة التي تسجل بها النقاط على طاولة لعب البريدج، ثم خاطب اللورد مايفيلد أخيرًا.

قال بوارو: "هذا الأمر معقد أكثر مما يبدو. لكن هناك شيئًا واحدًا مؤكدًا، وهو أن المخططات المسروقة لم تغادر المنزل بعد".

حدق اللورد مايفيلد إلى بوارو، ثم قال:

"لكن يا عزيزي بوارو، الرجل الذي رأيته يغادر غرفة المكتب...".

"لم يكن هناك رجل".

"لكنني *رأيته*...".

"مع كامل احترامي يا لورد مايفيلد، فأنت تخيلت أنك رأيته. فالظل الذي ألقاه فرع الشجرة خدعك. إن حقيقة حدوث عملية سطو هو ما جعل ذلك يبدو بطبيعة الحال دليلا على أن ما تخيلته كان صحيحًا".

"حقًا يا سيد بوارو، لكن الدليل الذي رأيته بعينيَّ...".

قال السير جورج: "عيناك مقابل عينيَّ أيها الرجل العجوز".

"اسمح لي يا لورد مايفيلد بأن أكون محددًا للغاية بشأن هذه النقطة. فلم يعبر أحد *من الشرفة إلى العشب*".

قال كارلايل، الذي بدا شاحبًا جدًا، ويتحدث بنبرة مختنقة:

"فـي هـذه الحالـة، وإذا كان السـيد بـوارو محقًـا، فالشـكوك ستحوم تلقائيًا حولي. فأنا الشخص الوحيد الذي بإمكانه ارتكاب هذه السرقة".

اندفـع اللـورد مايفيلـد قائلًا: "هـراء. أيًا ما كان مـا يفكر فيه بوارو، فأنا لا أتفق معه في الرأي. بل أنا مقتنع ببراءتك يا عزيزي كارلايل. وفي الواقع، أنا مصر على تأكيد هذا".

غمغم بوارو بلطف:

"لكنني لم أقل إنني أشك في السيد كارلايل".

فأجاب كارلايل:

"لا، لكنـك أوضحـت تمامًـا أنـه ليـس هنـاك أحـد غيـري لديـه فرصة لكي يرتكب حادث السرقة".

"*مطلقًا! مطلقًا*".

"لكننـي أخبرتـك بأنـه ليـس هنـاك أحـد مـر أمامـي فـي البهو ليصل إلى باب حجرة المكتب".

"أتفـق معـك. لكـن مـن الممكـن أن يكون هنـاك مـن دخـل من *نافذة* غرفة المكتب".

"لكن، أليس هذا ما قلتَ من فورك إنه لم يحدث؟".

"لقـد قلـتُ لا يمكن أن يأتـي أحـد مـن *الخـارج* دون أن يتـرك آثارًا على العشـب. لكن يمكنه ذلك إذا كان من *داخل* المنزل. ومن الممكـن أن يخـرج شـخص ما من غرفته عبر إحـدى هذه النوافذ، وأن يتزلـق إلـى الشـرفة، ويدخل مـن نافذة حجـرة المكتب، ويعود مرة أخرى إلى الداخل".

اعترض السيد كارلايل:

"لكـن اللـورد مايفيلـد والسـير جـورج كارينجتـون كانـا فـي الشرفة".

"نعـم، لقـد كانا في الشـرفة، لكنهمـا كانا يتجـولان. وربما كان بصـر السـير جـورج كارينجتـون حـادًا" - انحنـى بـوارو قليـلًا فـي

تقدير - ثم استطرد: "لكن عينيه لا تستطيعان رؤية ما يحدث خلفه! كما أن نافذة غرفة المكتب في أقصى يسار الشرفة، ثم تليها نوافذ هذه الغرفة، غير أن الشرفة تمتد بطول أربع غرف تقريبًا".

قال اللورد مايفيلد: "غرفة الطعام، وغرفة البلياردو، وغرفة الفطور، والمكتبة".

"لقد قطعتما الشرفة جيئة وذهابًا، فكم مرة فعلتما ذلك؟".

"على الأقل خمس أو ست مرات".

"الأمر سهل للغاية، فليس على اللص سوى أن يترقب اللحظة المناسبة!".

قال كارلايل ببطء:

"أتعني أنه أثناء وجودي في البهو، وبينما أتحدث إلى الفتاة الفرنسية، كان اللص ينتظر في غرفة الجلوس؟".

"هذا ما أقترحه. وبالطبع إنه مجرد اقتراح".

قال اللورد مايفيلد: "لا يبدو الأمر محتملًا بالنسبة لي. إنها مجازفة كبيرة".

اعترض المارشال قائلًا:

"أنا لا أتفق معك يا تشارلز، فهذا الأمر محتمل جدًا. ومن العجيب أنني لم أكن بالذكاء الكافي لأفكر في هذا الاحتمال".

قال بوارو: "إذن، فأنتم الآن تفهمون لما أعتقد أن المخططات ما زالت في المنزل. والمشكلة الآن تكمن في العثور عليها!".

زفر السير جورج بقوة، وقال:

"هذا أمر بسيط للغاية. فتش الجميع".

أبدى اللورد مايفيلد حركة تنم عن اعتراضه، لكن بوارو تحدث قبل أن يفعل اللورد.

"لا، لا، إن الأمر ليس بهذه البساطة. فالشخص الذي أخذ المخططات سيتوقع إجراء هذا التفتيش، وسيتأكد من ألا نجد المخططات بين متعلقاته. إنها مخبأة في أرض محايدة".

"هل تقترح أنه ينبغي لنا التفتيش في أرجاء هذا المنزل اللعين؟".

فابتسم بوارو.

"لا، لا، لن نكون سذجًا هكذا. بل يمكننا أن نصل إلى المخبأ (أو هوية المذنب) من خلال التفكير، وهذا سيبسط الأمور. وفي الصباح أرغب في مقابلة كل شخص في المنزل. وأظن أنه لن يكون من الحكمة أن أجري هذه المقابلات الآن".

أومأ اللورد مايفيلد موافقًا.

ثم قال: "إذا أخرجنا كل واحد من فراشه في الثالثة صباحًا، فسيجلب هذا الكثير من التعليقات. وعلى أية حال سيكون عليك التكتم جيدًا يا سيد بوارو. فهذا الأمر يجب أن يظل سرًا".

لوح بوارو بيديه في الهواء.

"اترك الأمر لهيركيول بوارو، فالأكاذيب التي أخترعها دائمًا ما تكون أكثر دقة وإقناعًا. إذن سأجري تحقيقاتي غدًا. لكن الليلة، يجب أن أبدأ التحاور معك أنت يا سير جورج، وأنت يا لورد مايفيلد".

ثم انحنى لهما.

"هل تعني كلًا منا على حدة؟".

"بالضبط هذا ما أعنيه".

رفع اللورد مايفيلد حاجبيه بعض الشيء، ثم قال:

"بالتأكيد. فسأتركك أنت والسير جورج، وعندما تحتاجني، ستجدني في غرفة المكتب. فهيا يا كارلايل".

ثم خرج هو والسكرتير وأغلقا الباب خلفهما.

جلس السير جورج، ومد يده بشكل تلقائي والتقط سيجارًا. ثم نظر إلى بوارو وعلامات الحيرة بادية على وجهه.

ثم قال ببطء: "أنا لا أفهم ما حدث".

قال بوارو مبتسمًا: "الأمر يسهل تفسيره، فالحل في كلمتين - ولكي أكون دقيقًا - هو السيدة فاندرلين!".

قال كارينجتون: "أوه، أظن أنني فهمت. السيدة فاندرلين؟".

"بالضبط. ربما لم يكن من اللائق أن أطرح على اللورد مايفيلد هذا السؤال الذي أود طرحه. لِمَ السيدة فاندرلين؟ فمن المعروف أن هذه السيدة شخصية مشكوك في أمرها. فلماذا إذن ينبغي أن تكون هنا؟ وأنا أقول لنفسي إن هناك ثلاثة تفسيرات: الأول، أن اللورد مايفيلد مفتون بالسيدة (ولهذا سعيت للتحدث معك وحدك لأنني لم أرغب في إحراجه). والثاني، هل من الممكن أن تكون السيدة فاندرلين صديقة عزيزة لشخص ما في هذا المنزل؟".

قال السير جورج بابتسامة عريضة: "يمكنك استثنائي من هذه الحسبة!".

"ثم، إذا لم يكن أي من التفسيرين صحيحًا، فسيتكرر السؤال بشكل أقوى. *لِمَ السيدة فاندرلين؟* وتبدو الإجابة التي خطرت لي مبهمة بعض الشيء. فهناك سبب. إن وجودها في ذلك الوقت بالتحديد كان مرغوبًا من اللورد مايفيلد لسبب خاص. فهل أنا محق؟".

أومأ السير جورج برأسه موافقًا.

ثم قال: "أنت محق تمامًا، فمايفيلد أكثر حنكة من أن يقع في شباكها. لقد رغب في وجودها هنا لسبب آخر. وهذا هو كل ما في الأمر".

ثم أعاد قص الحوار الذي دار بينه وبين مايفيلد على طاولة العشاء، وأنصت بوارو إلى حديثه بأذنين صاغيتين.

ثم قال: "آه، لقد فهمت الآن. ومع ذلك، يبدو أن السيدة قلبت الطاولة عليكما سريعًا!".

فأطلق السير جورج سبابًا.

راقبه بوارو بنظرات جذلة، ثم قال:

"ليس لديك أدنى شك في أنها هي من ارتكب هذه السرقة - أعني، أنها مسئولة عما حدث، سواء أكانت هي الفاعلة بنفسها أم لا؟".

حدق السير جورج إليه، ثم قال:

"بالطبع لا! فليس لديَّ أدنى شك في أنها الفاعلة. أما السبب فيقوم على سؤال هل لدى أي شخص آخر أية مصلحة في سرقة هذه المخططات؟".

قال بوارو: "آه". ثم اتكأ على مقعده، ونظر إلى السقف. "ومع ذلك يا سير جورج، لقد اتفقنا منذ قليل على أن هذه الأوراق تساوي ثروة، وربما لا تكون هذه الثروة في شكل نقود أو ذهب أو مجوهرات بشكل صريح، لكن مع ذلك فهي تمثل ثروة محتملة. فإذا كان هنا أي شخص يمر بحالة إفلاس فربما...".

قاطعه الآخر ساخرًا:

"ومن الذي لا يمر بهذه الحالة في هذه الأيام؟ أفترض أن بإمكاني أن أقر بهذا دون أن أدين نفسي".

قالها ثم ابتسم، فابتسم بوارو بدوره بلطف، وتمتم قائلًا:

"يمكنك أن تقول ما يروق لك يا سير جورج، لأنك تمتلك دليل براءة غير قابل للنقض في هذا الشأن".

"لكنني معسر للغاية!".

فهز بوارو رأسه بأسى.

"نعم، بالفعل، رجل في مركزك لديه نفقات معيشية باهظة. ثم إن لديك ابنًا شابًا في أكثر مراحل عمره إنفاقًا للمال...".

تنهد السير جورج، وقال:

"مصاريف التعليم وحدها كافية، فضلًا عن الديون المتراكمة، ومع ذلك، فهذا الفتى ليس شخصًا سيئًا".

أصغى بوارو إليه بتعاطف، ثم استمع إلى الكثير من شكاوى المارشال المتراكمة. ومن بينها الافتقار للعزم والقدرة على الاحتمال في الجيل الأصغر عمرًا، والطريقة التي تدلل بها الأمهات أبناءهن، ويقفن في صفهم دائمًا، ولعنة القمار التي إذا تمكنت من المرأة أحدثت العديد من الكوارث، وطيش اللعب بمراهنات أعلى مما يمكنها تحمله. كان السير جورج يتحدث بشكل عام ودون أن يشير في حديثه مباشرة إلى زوجته أو ابنه، لكن شفافيته الفطرية جعلت المعنى المستتر خلف حديثه العام واضحًا.

قطع السير جورج حديثه فجأة، ثم قال:

"آسف، لم يكن ينبغي أن نهدر وقتًا في الحديث عن شيء خارج الموضوع، خاصة في هذه الساعة من الليل - أو بالأحرى الصباح".

قالها وتثاءب.

"أقترح يا سير جورج أن تأوي إلى الفراش، فقد كنت غاية في اللطف والنفع".

"حسنًا، أعتقد أنني سأذهب للنوم. فهل تظن أن هناك حقًا فرصة لاستعادة المخططات؟".

هز بوارو كتفيه، وقال:

"أنا مصمم على المحاولة، ولا أرى ما يمنع من استعادتها".

"حسنًا، سأنصرف أنا. طابت ليلتك".

ثم غادر السير جورج الغرفة.

ظل بوارو جالسًا في مقعده يحدق في السقف مفكرًا، ثم أخرج مفكرة صغيرة، وفتحها على صفحة خالية، وكتب:

السيدة فاندرلين؟

الليدي جوليا كارينجتون؟

السيدة ماكاتا؟

ريجي كارينجتون؟

السيد كارلايل؟

ثم كتب أدناها:

السيدة فاندرلين والسيد ريجي كارينجتون؟

السيدة فاندرلين والليدي جوليا؟

السيدة فاندرلين والسيد كارلايل؟

ثم هوى رأسه في سخط، وغمغم قائلًا:

"الأمر أبسط من ذلك".

ثم أضاف بضع جمل قصيرة.

هل رأى اللورد مايفيلد "ظلًا"؟ فإذا لم يكن هذا صحيحًا، فلِمَ يقول إنه رأى ظلًا؟ وهل رأى السير جورج أي شيء؟ لقد كان متأكدًا من أنه لم يرَ أي شيء بعد أن فحصت حوض الزهور. ملحوظة: يعاني اللورد مايفيلد قصر النظر، بحيث يمكنه القراءة دون نظارة، لكنه يستخدم عدسته للنظر في أرجاء الغرفة، أما السير جورج فهو يعاني طول النظر، لذلك، فإن رؤيته موثوق بها بشكل أكبر من اللورد مايفيلد عند الوقوف في الطرف الأقصى من الشرفة. ومع ذلك، إن اللورد مايفيلد متأكد تمامًا أنه رأى شيئًا، ولم يثنِه إنكار صديقه عن موقفه.

هل يمكن أن يكون هناك شخص فوق مستوى الشبهات كما يبدو على السيد كارلايل؟ إن اللورد مايفيلد متأكد من براءته. وعلى الرغم من أنه مبالغ في هذا. فلماذا؟ هل لأنه يشك فيه خفية ويخجل من نفسه بسبب هذا الشك؟ أم لأنه يشك بشكل حاسم في شخص آخر؟ أي شخص آخر غير السيدة فاندرلين؟

وضع بوارو مفكرته جانبًا.

ثم نهض وتوجه إلى غرفة المكتب.

كان اللورد مايفيلد يجلس إلى طاولة المكتب عندما دخل بوارو غرفة المكتب، فاعتدل في جلسته، ووضع قلمه، ونظر إليه متسائلًا.

"حسنًا يا سيد بوارو، هل انتهيت من حديثك مع كارينجتون؟".

ابتسم بوارو وجلس.

"نعم، يا لورد مايفيلد. لقد أوضح لي نقطة أثارت حيرتي".

"وما هي؟".

"سبب وجود السيدة فاندرلين هنا. فأنت تفهم، لقد ظننت أنه من الممكن...".

أدرك مايفيلد سبب حرج بوارو المبالغ فيه نوعًا ما.

"هل ظننت أنني أحمل مشاعر خاصة تجاه هذه السيدة؟ لا على الإطلاق، فالأمر بعيد كل البعد عن هذا. ومن الطريف للغاية أن كارينجتون هو الآخر ظن هذا في البداية".

"لقد أخبرني بالحوار الذي دار بينكما في هذا الصدد".

بدت أمارات الحزن على وجه اللورد مايفيلد.

"لم يؤتِ مخططي الصغير ثماره. ويزعج الرجل دائمًا أن يعترف بأن هناك امرأة تمكنت من التغلب عليه".

"آه، لكنها لم تتغلب عليك بعد، يا لورد مايفيلد".

"هل تظن أنه لا يزال بإمكاننا التغلب عليها؟ حسنًا، يسرني سماع هذا منك، ويروق لي أن أظن أن هذا صحيح".

ثم تنهد.

"أشعر بأنني تصرفت بحماقة شديدة - لقد كنت سعيدًا للغاية بحيلتي للإيقاع بتلك المرأة".

قال هيركيول بوارو وهو يشعل إحدى سجائره الصغيرة:

"ماذا *كانت* هذه الحيلة بالضبط يا لورد مايفيلد؟".

قال اللورد مايفيلد مترددًا: "حسنًا، لم أحدد كل تفاصيلها مسبقًا".

"ألم تناقشها مع أي شخص؟".

"لا".

"ولا حتى السيد كارلايل؟".

"لا".

فابتسم بوارو.

"أنت تفضل اللعب بمفردك يا لورد مايفيلد".

قال الآخر وهو متجهم بعض الشيء: "لطالما وجدت أن هذه الطريقة أفضل".

"أجل، أنت رجل حكيم، *ولا تثق بأحد*. لكنك أثرت الموضوع مع السير جورج كارينجتون؟".

"ببساطة لأنني أدركت أن صديقي العزيز كان قلقًا بشدة من أجلي".

ابتسم اللورد مايفيلد عندما تذكر الأمر.

"هل هو صديق قديم لك؟".

"نعم. أنا أعرفه منذ ما يزيد على عشرين عامًا".

"وزوجته؟".

"بالطبع، أعرفها هي أيضًا".

"لكن (واعذرني إذا كنت وقحًا) أنت لست على القدر ذاته من الحميمية معها؟".

"أنا لا أفهم ما تأثير علاقاتي بالأشخاص على المشكلة الحالية يا سيد بوارو".

"لكنني أظن يا لورد مايفيلد أن للأمر علاقة كبيرة بالموضوع. لقد وافقتني على أن نظرية دخول أحد من غرفة الجلوس ممكنة، أليس كذلك؟".

"بلى، في الواقع، أنا أتفق معك في أن هذا لا بد من أن يكون هو ما حدث بالفعل".

"لن نستخدم كلمة "لا بد". إنها كلمة تدل على الثقة المفرطة بالنفس. لكن إذا كانت نظريتي صحيحة، فمن تظن أنه الشخص الذي دخل من غرفة الجلوس؟".

"من الواضح أنها السيدة فاندرلين. فلقد عادت مرة من أجل كتابها، وكان بإمكانها أن تعود ثانية من أجل كتاب آخر، أو حقيبة يد، أو منديل وقع منها - فهناك الكثير من الأعذار النسوية التي كان يمكن أن ترجع بسببها. لقد دبرت مع خادمتها أمر الصرخة، وأخرجت كارلايل من غرفة المكتب، ثم تسللت دخولًا إليه وخروجًا منه من النافذة كما قلت".

"أنت نسيت أنه من الممكن ألا تكون السيدة فاندرلين هي الفاعلة، فقد سمعها كارلايل وهي تنادي خادمتها من *أعلى*، بينما كان يتحدث مع الفتاة".

عض اللورد مايفيلد شفتيه.

"صحيح. لقد نسيت هذا الأمر"، وبدا عليه الانزعاج الشديد.

فقال بوارو بلطف: "كما ترى، فنحن نحرز تقدمًا هنا. أولًا كان لدينا تفسير بسيط عن لص جاء *من الخارج*، ثم خرج ورحل

بالغنيمة. نظرية مناسبة تمامًا كما قلت وقتها، مناسبة لدرجة تجعل من الصعب تصديقها، ومن ثم استبعدناها. ثم يأتي دور نظرية العميل الأجنبي، فالسيدة فاندرلين، وهذه أيضًا تبدو مناسبة للغاية بدرجة لا بأس بها. لكنها الآن تبدو غاية في السهولة لدرجة تجعل قبولها وتصديقها أمرًا مستبعدًا".

"هل ستستبعد السيدة فاندرلين من الموضوع؟".

"لم تكن السيدة فاندرلين في غرفة الجلوس. وربما يكون ثمة شخص متآمر مع السيدة فاندرلين هو من ارتكب السرقة، لكن من الممكن أيضًا أن يكون هناك شخص آخر تمامًا هو من ارتكب هذا الفعل. وإذا كان هذا صحيحًا، فعلينا أن نفكر في الدافع وراء هذا".

"أليس هذا أمرًا مستبعدًا يا سيد بوارو؟".

"لا أظن هذا. والآن ما الدافع الذي قد يكمن خلف السرقة؟ فهناك دافع السرقة من أجل المال. وربما تكون الأوراق قد سرقت بغرض تحويلها إلى نقود. فهذا أبسط دافع يمكن التفكير فيه، لكن الدافع الحقيقي قد يكون مختلفًا تمامًا".

"مثل...".

قال بوارو ببطء:

"ربما تكون السرقة قد ارتُكبت بقصد تدمير شخص ما".

"من؟".

"من المحتمل أن يكون المقصود السيد كارلايل الذي سيكون مدانًا بشكل واضح، لكن ربما يتجاوز الأمر ذلك. فالرجال الذين يتحكمون في مصير دولة يا لورد مايفيلد أكثر عرضة على وجه التحديد للتأثر بآراء العامة".

"أتعني أن السرقة كان هدفها تدميري؟".

فأومأ بوارو برأسه موافقًا.

"أظن أنني محق يا لورد مايفيلد عندما أقول إنك منذ خمس سنوات مررت بوقت عصيب نوعًا ما. فلقد كنت موضع شك فيما يتعلق بعقد علاقة صداقة مع قوة أوروبية لم تكن تحظى بشعبية كبيرة لدى عموم الناخبين هنا".

"صحيح تمامًا يا سيد بوارو".

"إن رجل الدولة في هذه الأيام لديه مهمة جسيمة. فعليه أن يسعى لتطبيق سياسة تعد في مصلحة الدولة، لكن عليه في الوقت ذاته أن يعترف بقوة الشعور الشعبي السائد وتأثيره. وغالبًا ما تكون مشاعر العامة عاطفية، ومشوشة، وغير منطقية أو سليمة تمامًا، لكن في نهاية المطاف لا يمكن تجاهلها".

"لقد وصفت الأمر بدقة! فهذه هي بالضبط اللعنة التي تصيب حياة السياسيين. فعلى رجل السياسة أن يرضخ للشعور والرأي الشعبي الغالب، مهما كان يعرف عن مدى خطورة وحماقة هذا".

"هذه هي المعضلة التي تواجهك على ما أظن. فهناك العديد من الشائعات التي تفيد بأنك أبرمت اتفاقية مع دولة مثيرة للجدل. وأن الرأي العام والصحف كانت تشعر بالغضب من أجل هذا. ولحسن الحظ إن وزير الخارجية كان قادرًا على نفي القصة تمامًا، كما أنك تنصلت من الأمر، ومع ذلك فالجانب الذي يحظى بتعاطفك لم يعد سرًا من وقتها".

"كل هذا صحيح يا سيد بوارو، لكن لم تقلّب في تاريخ قديم؟".

"لأنني أفكر في أنه من الممكن أن يكون هناك عدو أُحبط من الطريقة التي تغلبت بها على هذه الأزمة، وربما سعى إلى تدبير مأزق جديد. فلقد استعدت ثقة الشعب بسرعة، وتلك الظروف الخاصة مرت، وأنت الآن بجدارة من أكثر الشخصيات التي تحظى

بشعبية في الحياة السياسية. كما يقال إنك ستكون رئيس الوزراء المقبل عندما يتقاعد السيد هانبرلي".

"هل تظن أن هذه محاولة لتشويه سمعتي؟ هراء!".

"ومع ذلك، يا لورد مايفيلد، لن يبدو الأمر جيدًا إذا عُرف أن مخططات قاذفة القنابل البريطانية الجديدة قد سُرقت خلال عطلة نهاية الأسبوع، حيث كانت سيدة فاتنة تقيم عندك ضيفة. والقليل من التلميحات في الصحف عن علاقتك بتلك السيدة سيخلق شعورًا بعدم الثقة بك".

"مثل هذا الأمر لا يمكن أن يؤخذ بجدية".

"عزيزي اللورد مايفيلد، أنت تعرف حق المعرفة أنه أمر ممكن! فالأمر لا يتطلب الكثير حتى تزعزع ثقة العامة في سياسي معين".

قال اللورد مايفيلد: "نعم، هذا صحيح". وبدا القلق الشديد عليه بغتة. "يا إلهي كم أصبحت هذه المشكلة معقدة. فهل تظن حقًا... لكن هذا مستحيل ... مستحيل".

"هل تعرف أي شخص - يشعر بالغيرة منك؟".

"عبث!".

"على أية حال، سوف تعترف بأن أسئلتي عن علاقاتك الشخصية بأعضاء هذه الحفلة المنزلية ذات أهمية وصلة بالموضوع إلى حد ما".

"أوه، ربما - ربما. لقد سألتني عن جوليا كارينجتون. فليس هناك الكثير مما يمكن قوله. ولم ترق لي قط، ولا أعتقد أنها تهتم بي. إنها واحدة من هؤلاء النساء المضطربات، والمتوترات، والمبالغات بتهور، ومهووسة بشأن لعب الورق. إنها ذات فكر قديم بالٍ بما يكفي - على ما أعتقد- لتحتقرني كرجل عصامي".

قال بوارو:

"لقد اطلعت على "دليل النخبة" قبل أن أحضر إلى هنا. وقد كنتَ مدير شركة هندسية شهيرة، وأنت نفسك مهندس من الطراز الأول".

"بالطبع، ليس هناك ما يخفى عليَّ أو عني في الحياة العملية. فقد شققت طريقي من الصفر".

بدا اللورد مايفيلد متجهمًا وهو يتحدث.

فصاح بوارو: "يا للهول! لقد كنت مغفلًا - نعم مغفلًا!".

فحدق إليه الآخر في ذهول، وتساءل.

"معذرة يا سيد بوارو؟".

"لقد اتضح هذا الجزء من اللغز أمامي الآن. فثمة شيء لم أره من قبل... لكن الآن كل الأمور أصبحت في نصابها الصحيح. نعم - كل الأمور صارت في نصابها الصحيح بدقة مذهلة".

نظر إليه اللورد مايفيلد بحيرة وتساؤل.

لكن بوارو هز رأسه وقد ارتسم على شفتيه طيف ابتسامة.

"لا، لا، ليس الآن. يجب أن أرتب أفكاري بشكل أكثر وضوحًا".

ثم نهض.

"طاب مساؤك يا لورد مايفيلد؛ إذ أظن أنني أعرف مكان تلك المخططات".

فصاح اللورد مايفيلد:

"هل تعرف؟ إذن دعنا نأتِ بها في الحال!".

فهز بوارو رأسه نافيًا.

"لا، لا، هذا غير ممكن، فالاندفاع سيكون خطأ فادحًا. بل اترك الأمر برمته لهيركيول بوارو".

ثم خرج من الغرفة. فرفع اللورد مايفيلد كتفيه استهجانًا.

ثم غمغم قائلًا: "هذا الرجل مخبول". ووضع أوراقه جانبًا، وأطفأ الضوء، واتجه هو أيضًا إلى سريره لينام.

قال ريجي كارينجتون متسائلًا: "إذا كان هناك سطو، فلِمَ لم يبلغ اللورد مايفيلد الشرطة؟".

ثم أرجع مقعده إلى الوراء قليلًا بعيدًا عن طاولة الفطور.

كان ريجي آخر من نزل. فالسيدة ماكاتا والسير جورج كانا قد انتهيا من تناول فطورهما قبل وقت قليل. أما والدته والسيدة فاندرلين فتناولتا الفطور في الفراش.

ردد السير جورج الحوار الذي اتفق عليه مع اللورد مايفيلد وهيركيول بوارو، وكان لديه شعور بأنه لا يتقن الأداء كما ينبغي.

قال ريجي: "إن استدعاء شخص أجنبي غريب الأطوار إلى هنا يبدو أمرًا غريبًا بالنسبة لي. فما الذي سُرق يا أبي؟".

"لا أعرف بالضبط يا بني".

نهض ريجي الذي كانت تبدو عليه العصبية والتوتر هذا الصباح.

"لا شيء - مهم؟ لا - أوراق أو أي شيء من هذا القبيل؟".

"أصدقك القول يا ريجي، لا يمكنني أن أخبرك بالضبط بما حدث".

"الأمر سري للغاية، أليس كذلك؟".

ركض ريجي صاعدًا درجات السلم، ثم توقف برهة في منتصف الطريق بوجه متجهم، ثم أكمل طريقه وطرق باب حجرة والدته، فأتاه صوتها يأذن له بالدخول.

كانت الليدي جوليا تجلس في الفراش، تنقش بعض الأرقام على ظهر مظروف.

رفعت عينيها إليه، وقالت: "صباح الخير يا عزيزي". ثم أردفت بحدة: "ريجي، هل هناك خطب ما؟".

"ليس هناك شيء خطير، لكن يبدو أن هناك حادث سطو وقع الليلة الماضية؟".

"سطو؟ ما الذي سرق؟".

"أوه، أنا لا أعرف. فالأمر سري للغاية. وهناك محقق خاص وغريب الهيئة في الأسفل يطرح أسئلة على الجميع".

"يا للعجب!".

قال ريجي ببطء: "إنه لأمر مزعج أن نوجد في منزل كهذا عندما يحدث شيء من هذا القبيل".

"ما الذي حدث بالضبط؟".

"لا أعلم. لقد حدث شيء بعد أن ذهب الجميع للنوم بوقت قليل. احترسي يا أمي، فستقلبين هذه الصينية".

أنقذ ريجي صينية الفطور من السقوط، وحملها إلى طاولة بجانب النافذة.

"هل ما سرق مال؟".

"قلت لك لا أعرف".

فقالت الليدي جوليا ببطء:

"أظن أن ذلك المحقق يطرح أسئلة على الجميع؟".

"أظن ذلك".

"أسئلة من نوع أين كنت الليه الماضية؟ وأشياء من هذا القبيل؟".

"ربما. حسنًا، ليس لديَّ الكثير لأقوله له. فقد أويت إلى الفراش مباشرة، وغطت في النوم في الحال".

لم ترد عليه الليدي جوليا.

"أمي، هل يمكنك أن تمنحيني بعضًا من المال بصورة فورية؟ فأنا مفلس تمامًا".

ردت أمه بحزم: "لا، لا يمكنني. فأنا نفسي مدينة بما يفوق ما لديَّ من مال على نحو مخيف. ولا أعلم ماذا سيقول والدك عندما يسمع بهذا الأمر".

تعالت صوت طرقات على الباب ثم دخل السير جورج.

"آه، أنت هنا يا ريجي. هلا تفضلت ونزلت إلى المكتبة. إن السيد هيركيول بوارو يرغب في رؤيتك".

كان بوارو قد انتهى من فوره من حديثه مع السيدة ماكاتا.

وبعد بضعة أسئلة وجيزة علم بوارو أن السيدة ماكاتا آوت إلى الفراش قبل الحادية عشرة، وأنها لم تر أو تسمع أي شيء قد يفيده في التحقيق.

انتقل بوارو بسلاسة من موضوع السطو إلى أمور أكثر شخصية. فأخبرها أنه يكن إعجابًا شديدًا للورد مايفيلد، وكفرد من العامة كان يشعر بأن اللورد مايفيلد رجل عظيم حقًا. ولأن السيدة ماكاتا كانت تعرف اللورد عن قرب، فكانت أقدر على تقييمه من بوارو بالطبع.

قالت السيدة ماكاتا: "اللورد مايفيلد رجل ذكي وبارع، وشق طريقه في الحياة المهنية بنفسه دون الاعتماد على أحد. إنه لا يدين بأي مما يملك من حولك لميراث آل إليه. لكنه ربما يعاني الافتقار إلى الرؤية المستقبلية الشاملة. وفي هذا الأمر أرى جميع الرجال متشابهين للأسف. إنهم يفتقرون إلى الخيال الواسع الذي تتمتع به النساء. فالمرأة يا سيد بوارو ستكون هي القوة العظمى في الحكومة في غضون عشر سنوات".

فقال بوارو إنه واثق بحدوث هذا.

ثم انتقل إلى موضوع السيدة فاندرلين، وسأل هل من الصحيح - كما سمع- أنها هي واللورد مايفيلد كانا صديقين مقربين؟

"على الإطلاق. وأصدقك القول لقد فوجئت عندما رأيتها هنا. واندهشت للغاية بالفعل".

فسأل بوارو السيدة ماكاتا عن رأيها في السيدة فاندرلين وحصل على إجابة متوقعة لسؤاله.

"إنها واحدة من تلك النساء *عديمات الفائدة*، يا سيد بوارو. إنها من ذلك الطراز من النساء الذي يجعل المرأة تشعر باليأس من بنات جنسها! كائن طفيلي، بالتأكيد هي كائن طفيلي".

"أيعجب بها الرجال؟".

قالت السيدة ماكاتا بازدراء: "الرجال! الرجال دائمًا ما تأسرهم النساء الحسناوات. فهذا الفتى، ريجي كارينجتون، يحمر وجهه في كل مرة تتحدث فيها إليه، ويشعر بالإطراء الشديد لمجرد أنها لاحظت وجوده. كما أن الطريقة التي تغازله بها سخيفة. إنها تثني على طريقة لعبه للبريدج ـ وهي طريقة بعيدة كل البعد عن الإبهار".

"أهو لاعب غير بارع؟".

"لقد ارتكب كومة من الأخطاء الليلة الماضية".

"الليدي جوليا لاعبة بارعة، أليست كذلك؟".

قالت السيدة ماكاتا: "من وجهة نظري هي بارعة *للغاية*. إن لعب البريدج هو حرفتها تقريبًا، إنها تلعب في الصباح والظهيرة والمساء".

"وتضع رهانات عالية؟".

"نعم، في الواقع أعلى مما قد أفعل. وفي الحقيقة أنا لا أعتبر هذا *صحيحًا*".

"أتجني الكثير من المال من اللعب؟" حينما سمعتْ السؤال أطلقت السيدة ماكاتا ضحكة مستهزئة عالية.

"إنها تسدد ديونها بهذه الطريقة. لكنها تعاني الحظ العسر في الآونة الأخيرة. لقد بدت الليلة الماضية كما لو أن هناك شيئًا ما يدور في عقلها. إن الشرور التي تخلفها المقامرة في النفس يا سيد بوارو، لا تختلف كثيرًا عن الشرور التي يخلفها شرب الخمر. إذا حصلت على فرصتي بتولي منصب مهم، فهذه الدولة يجب أن تطهَّر من...".

كان بوارو مرغمًا على الاستماع إلى مناقشة مطولة عن حملة مفترضة ومستقبلية لتنقية الأخلاق الإنجليزية. ثم أنهى الحوار ببراعة، وأرسل في طلب ريجي كارينجتون.

فحص بوارو الشاب بدقة عندما دخل الغرفة، وكان يخفي وجهه الطفولي وشفتيه الرفيعتين وراء ابتسامة جذابة، وتبدو عيناه متباعدتين، ورأسه صغيرًا. وظن بوارو أنه يعرف نمط شخصية ريجي كارينجتون جيدًا.

"السيد ريجي كارينجتون؟".

"نعم. هل هناك أي شيء يمكنني تقديمه إليك؟".

"فقط أخبرني، ما الذي دار في الليلة الماضية؟".

"حسنًا، لقد لعبنا البريدج في غرفة الجلوس. وبعد ذلك خلدت للنوم".

"في أي وقت كان ذلك؟".

"قبل الحادية عشرة. أفترض أن السرقة حدثت بعد ذلك الوقت؟".

"نعم، بعد ذلك الوقت. فهل رأيت أو سمعت أي شيء؟".

هز ريجي رأسه أسفًا.

"لا، للأسف. لقد ذهبت مباشرة إلى فراشي ونمت بعمق".

"هل توجهت من غرفة الجلوس إلى غرفة نومك مباشرة، وبقيت فيها حتى الصباح؟".

"هذا صحيح".

قال بوارو: "غريب".

قال ريجي بحدة:

"ماذا تعني بكلمة غريب؟".

"ألم تسمع صرخة على سبيل المثال؟".

"لا، لم أسمع".

"آه، غريب للغاية".

"اسمع يا هذا، أنا لا أعرف ما الذي تقصده".

"ربما تعاني ضعفًا في السمع بعض الشيء؟".

"بالتأكيد لا".

حرك بوارو شفتيه ونطق كلمة ما. ربما كان يردد كلمة غريب للمرة الثالثة، ثم قال:

"حسنًا، شكرًا لك يا سيد كارينجتون، فهذا كل ما في الأمر".

نهض ريجي وبدا أكثر ثباتًا.

ثم قال: "بما أنك ذكرت هذا الأمر، فأظن أنني سمعت شيئًا ما".

"آه، هل سمعت شيئًا؟".

"نعم، لكنني كنت أقرأ كتابًا - في الواقع رواية بوليسية _ و _ أنا _ حسنًا - لم أستوعب الأمر تمامًا".

قال بوارو: "آه، هذا تفسير أكثر إقناعًا".

قال هذا بوجه خالٍ من التعبيرات.

وظل ريجي مترددًا، ثم استدار وسار ببطء ناحية الباب، ثم توقف وسأل:

"ما الذي سُرق؟".

"شيء ذو قيمة عظيمة يا سيد كارينجتون. وهذا كل ما هو مسموح لي بأن أقوله".

فقال ريجي بجمود: "أوه".

ثم مضى.

أومأ بوارو برأسه ثم تمتم:

"هذا مناسب، مناسب للغاية".

ثم دق الجرس، وسأل بكياسة عما إذا كانت السيدة فاندرلين قد استيقظت أم لا.

اندفعت السيدة فاندرلين إلى داخل الغرفة، وكانت غاية في الجمال؛ إذ كانت ترتدي بدلة رياضية أنيقة خمرية اللون أبرزت لون شعرها الزاهي. وحركت السيدة فاندرلين مقعدًا وجلست، ثم ابتسمت بطريقة باهرة للرجل الضئيل الجالس أمامها.

وللحظة شفَّت ابتسامتها عن شعور ما ربما الظفر، أو ربما كانت ابتسامة سخرية أكثر. ثم اختفت هذه الابتسامة في الحال، لكنها كانت موجودة. وقد وجد بوارو أن ما توحي به تلك الابتسامة مثير للاهتمام.

"سطو؟ الليلة الماضية؟ يا له من أمر مؤسف! فلماذا لم أسمع *شيئًا*. وماذا عن الشرطة؟ ألا يمكنها أن *تفعل أي شيء*؟".

ومرة أخرى، وللحظة خاطفة، أطلت من عينيها نظرة سخرية.

فكر هيركيول بوارو بينه وبين نفسه:

"من الواضح للغاية *أنك* لست خائفة من الشرطة يا سيدتي. فأنتِ متأكدة من أنها لن تستدعيك".

"وبناء على هذا... ماذا سيحدث؟".

قال برصانة:

"أنت تفهمين يا سيدتي أن الأمر غاية في السرية".

"أمر طبيعي، يا سيد بوارو - أليس كذلك؟ - فلن أنطق بكلمة واحدة؛ إذ إنني معجبة جدًّا باللورد مايفيلد، ولن أفعل أي شيء يسبب له أقل قدر من القلق".

ثم وضعت ساقًا فوق أخرى، وتدلى من طرف قدمها خف شديد اللمعان من الجلد البني.

وابتسمت ابتسامة دافئة وجذابة تنم عن صحة موفورة، ورضا عميق عن الذات.

"يمكنك أن تخبرني إذا كان هناك شيء يمكنني القيام به؟".

"أشكرك يا سيدتي. أصحيح أنك لعبت البريدج في غرفة الجلوس الليلة الماضية؟".

"نعم".

"ومما فهمته أن كل النساء ذهبن بعدها للنوم، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

"لكن هناك من عاد ليأخذ كتابًا، وكان هذا الشخص هو أنتِ يا سيدة فاندرلين، أليس كذلك؟".

"بلى، لقد كنت أول من عاد إلى هناك".

فقال بوارو بحدة: "ماذا تقصدين بأنك *أول* من عاد؟".

قالت السيدة فاندرلين مفسرة: "لقد عدت على الفور. ثم صعدت إلى الأعلى، واستدعيت خادمتي التي استغرقت وقتًا طويلًا لكي تحضر، فاستدعيتها مجددًا. ثم وقفت على بسطة الدرج، فسمعت صوتها وناديت عليها. وبعد أن مشّطت شعري صرفتها، إذ كانت الخادمة في حالة من التوتر والانزعاج حتى إنها شبكت الفرشاة بشعري مرة أو مرتين. وبعد أن صرفتها مباشرة، رأيت الليدي جوليا تصعد الدرج. لقد أخبرتني بأنها نزلت من أجل أن تحضر كتابًا هي الأخرى. إنه أمر غريب، أليس كذلك؟".

أنهت السيدة فاندرلين كلامها بابتسامة عريضة ماكرة نوعًا ما، وفكر هيركيول بوارو في أن السيدة فاندرلين لا تحب الليدي جوليا كارينجتون.

"كما قلت يا سيدتي. أخبريني، هل سمعت خادمتك تصرخ؟".

"لِمَ؟ نعم، لقد سمعت شيئًا من هذا القبيل".

"هل سألتها عن السبب؟".

"لقد سألتها، وأخبرتني بأنها اعتقدت أنها رأت شبحًا يطوف متشحًا بالبياض - يا له من هراء!".

"ما الذي كانت ترتديه الليدي جوليا الليلة الماضية؟".

"أوه، ربما تظن - نعم، فهمت. لقد *كانت* ترتدي ثوب سهرة أبيض، بالطبع هذا يفسر الأمر. فمن المؤكد أنها رأتها في الظلام ككائن أبيض، فهؤلاء الفتيات يعتقدن بالخرافات".

"هل خادمتك معك منذ فترة طويلة يا سيدتي؟".

قالت السيدة فاندرلين وقد اتسعت عيناها:

"منذ خمسة أشهر فقط".

"ينبغي أن أراها الآن، إذا كنتِ لا تمانعين يا سيدتي".

رفعت السيدة فاندرلين حاجبيها.

ثم قالت بلهجة تميل للبرود: "أوه، لا أمانع بكل تأكيد".

"ينبغي أن أستجوبها كما تعرفين".

"أوه، نعم".

مرة أخرى بدت على وجهها لمحة سخرية.

نهض بوارو وحياها بانحناءة.

ثم قال: "سيدتي، أود أن أعبّر لك عن إعجابي الشديد".

بدت السيدة فاندرلين متفاجئة لوهلة.

"أوه، سيد بوارو، لكن لماذا؟".

" أنتِ يا سيدتي محصنة للغاية، فأنتِ واثقة تمامًا بنفسك".

أطلقت السيدة فاندرلين ضحكة خالطها بعض من الريبة.

ثم قالت: "أنا أتساءل هل ينبغي أن أعتبر هذا إطراء؟".

فقال بوارو:

"ربما يكون هذا تحذيرًا لكيلا تتعاملي مع الحياة بعجرفة".

ضحكت السيدة فاندرلين بمزيد من الثقة، ثم نهضت ومدت يدها لمصافحته.

"عزيزي السيد بوارو، أتمنى لك كل التوفيق. فشكرًا لكل الأشياء الرائعة التي قلتها عني".

ثم خرجت من الغرفة، فهمس بوارو لنفسه قائلًا:

"تتمنين لي التوفيق، أحقًا هذا؟ آه، لكنكِ واثقة بأن التوفيق لن يكون من نصيبي! نعم، أنتِ واثقة بهذا للغاية. وهذا يزعجني بشدة".

وبشيء من الكدر، دق الجرس، وأرسل في طلب الآنسة ليوني.

كانت عيناه تتفحصان الخادمة في محاولة لتقييمها وهي تقف مترددة في المدخل، كانت تبدو رزينة في ثوبها الأسود مع تموجات شعرها الأسود المفروق بدقة، وجفونها المسدلة بعض الشيء في خنوع. فأومأ برأسه ببطء سامحًا لها بالدخول.

ثم قال: "تفضلي يا آنسة ليوني. لا تخشي شيئًا".

فدخلت ووقفت برزانة أمامه.

قال بوارو وقد تغيرت نبرة صوته بغتة: "هل تعلمين أنني أراكِ رائعة".

استجابت ليوني لملاحظته على الفور، ورمته بنظرة بطرف عينيها وتمتمت بنعومة:

"سيدي هذا لطف منك".

قال بوارو: "لعلمك، لقد سألت السيد كارلايل عما إذا كنت جميلة في رأيه أم لا، وأجابني بأنه لا يعرف!".

رفعت ليوني ذقنها بازدراء.

"يا له من انطباع!".

"إن هذا يكشف طبيعته بوضوح".

"لا أعتقد أن هذا الرجل قد نظر إلى أية فتاة من قبل في حياته تلك النظرة الخاصة".

"من المرجح أنه لم يفعل، وهذا أمر مؤسف، فقد فاته الكثير، لكن هناك آخرين في هذا المنزل ممن يقدرون الجمال، أليس هذا صحيحًا؟".

"حقًا، أنا لا أعلم عما تتحدث يا سيدي".

"أوه، يا آنسة ليوني، فأنت تعرفين جيدًا ما أتحدث عنه. إن هناك قصة جميلة كنت قد سردتِها الليلة الماضية عن شبح رأيته. وبمجرد أن سمعت أنك كنتِ تقفين هناك وتضعين يديك على رأسك، علمت جيدًا أنه لم يكن هناك أية أشباح. فإذا كانت الفتاة خائفة، فإنها تضع يديها على قلبها، أو ترفع يديها إلى فمها

لكتم الصرخة، أما إذا كانت يداها على شعرها، فهذا يعني شيئًا مختلفًا تمامًا. *هذا يعني أن شعرها قد تهدل، وأنها تعيد تصفيفه مرة أخرى على عجل!* والآن يا آنسة، أخبريني بالحقيقة. لماذا صرخت على الدرج؟".

"لكن يا سيدي هذا ما حدث، لقد رأيت خيالًا طويل القامة متشحًا بالبياض...".

"آنستي، لا تهيني ذكائي. فهذه القصة ربما كانت جيدة بما يكفي لتضليل السيد كارلايل، لكنها ليست جيدة بما يكفي لإقناع هيركيول بوارو. والحقيقة هي أن هناك من قبّلك، أليس كذلك؟ وأنا أخمن أن السيد ريجي كارينجتون هو من فعل".

فلمعت عيناها بشكل واضح.

ثم سألت: "حسنًا، في النهاية، ما المهم في الأمر. إنها مجرد قبلة؟".

فقال بوارو بجرأة: "بالفعل، ما المهم في الأمر؟".

"لقد فاجأني الشاب من الخلف، وطوقني من خصري - وبطبيعة الحال أفزعني سلوكه فصرخت. ولو كنت منتبهة إلى أنه سيفعل ذلك، لما كنت صرخت".

قال بوارو موافقًا: "طبيعي".

"لكنه هاجمني كالقط، ثم إن باب حجرة المكتب كان مفتوحًا، فخرج السكرتير الشاب، وصعد الدرج، وكنت أبدو أمامه كالحمقاء. وبطبيعة الحال كان ينبغي لي أن أقول أي شيء، خاصة...". ثم أكملت حديثها باللغة الفرنسية قائلة: "*خاصة إذا كان شابًا رائعًا مثل هذا!*".

"لذا اخترعت حكاية الشبح؟".

"بالفعل يا سيدي، فهذا ما خطر ببالي. خيال أو شخص طويل القامة متشح بالبياض يطوف أو يتحرك بخفة. هذا وصف سخيف بالطبع، لكن ما الذي كان يمكنني فعله غير ذلك؟".

"لا شـيء. إذن، بات الأمر كله واضحًا الآن. لقد كنت أشـك في الأمر منذ البداية".

فرمقته ليوني بنظرة محملة بالإعجاب.

"سيدي أنت بارع للغاية، ومتعاطف للغاية".

"وبمـا أننـي لـن أسبب لـك أي حرج بشـأن هـذه العلاقة، فهلا فعلتِ شيئًا لي في المقابل؟".

"على الرحب والسعة يا سيدي".

"ما مدى ما تعرفينه عن علاقات سيدتك؟".

هزت الفتاة كتفيها باستهانة.

"لا أعـرف الكثيـر يا سـيدي. لكـن بالطبع لـديَّ انطباعات عن هذا الأمر".

"وما تلك الانطباعات؟".

"حسـنًا، لـم يفتنـي أن أصدقـاء السـيدة دومًـا مـا يكونـون مـن الجنـود أو البحـارة أو الطياريـن. وهنـاك أيضًـا أصدقـاء آخـرون - رجـال أجانـب يأتـون لرؤيتهـا خفيـة فـي بعض الأحيان. فالسـيدة جميلـة للغايـة، على الرغم من أنني أظن أنها لن تظل هكذا دائمًا. وعلـى أيـة حـال فالشـباب يجدونهـا جذابـة للغايـة، مـع أننـي أفكـر أحيانًا في أنهم يبالغون في هذا الشأن. لكن هذه مجرد أفكار تدور في ذهني. فالسيدة لا تثق بي".

"هـل تريديـن أن تقولـي لـي إن السـيدة تعمـل بمفردهـا فـي سرية؟".

"هذا صحيح يا سيدي".

"بعبارة أخرى، لن يمكنك مساعدتي".

"أخشـى أننـي لن أسـتطيع يا سـيدي. فلـو كان بمقدوري لكنت ساعدتك".

"أخبريني إذن هل الحالة المزاجية لسيدتك اليوم جيدة؟".

"بالطبع يا سيدي".

"هل حدث شيء بعث بالسرور في نفسها؟".

"إن معنوياتها مرتفعة منذ أتت إلى هنا؟".

"حسنًا يا ليوني، فأنت أدرى بهذا".

أجابت الفتاة بثقة: "أجل يا سيدي. لا يمكنني أن أخطئ في أمر كهذا. فأنا أعرف كل الحالات المزاجية التي تمر بها السيدة. إن معنوياتها مرتفعة".

"هل تشعر بالظفر؟".

"هذه هي الكلمة المناسبة تمامًا يا سيدي".

خفض بوارو رأسه في عبوس، وقال:

"أجد أن هذا أكثر مما يحتمل. ومع ذلك أتصور أنه أمر حتمي. شكرًا لك يا آنسة، فهذا كل ما في الأمر".

رمقته ليوني بدلال.

"شكرًا لك يا سيدي. ولتعلم أنني إذا قابلتك أنتَ على الدرج، فتأكد من أنني لن أصرخ مجددًا".

فقال بوارو بوقار: "يا بنيتي، أنا رجل عجوز. فما شأني أنا بعبث الشباب هذا؟".

لكن ليوني أطلقت ضحكة قصيرة عابثة، وخرجت من الحجرة.

جاب بوارو الحجرة ببطء ذهابًا وإيابًا. وكان الحزن والضيق باديين على وجهه.

وفي النهاية قال: "والآن حان دور الليدي جوليا، أتساءل ما الذي ستقوله؟".

خطت الليدي جوليا داخل الغرفة بثقة كبيرة. وأمالت رأسها بلطف، ثم جلست على المقعد الذي سحبه بوارو لها، وتحدثت بصوت خفيض مهذب.

"يقول اللورد مايفيلد إنك تود طرح بعض الأسئلة عليَّ".

"أجل يا سيدتي. أود أن أسألك عما حدث اللية الماضية".

"ماذا تريد أن تعرف عن الليلة الماضية؟".

"ماذا حدث بعد أن انتهيتِ من لعب البريدج؟".

"ظن زوجي أن الوقت متأخر على بدء جولة أخرى من اللعب. فذهبت للفراش".

"ثم؟".

"غطّطت في النوم".

"أهذا كل ما في الأمر؟".

"نعم، أخشى أنه لن يكون بإمكاني أن أخبرك بأي شيء مثير للاهتمام"، ثم قالت بتردد: "متى حدثت تلك السرقة؟".

"بعد أن صعدتِ إلى غرفتك بوقت قصير".

"فهمت. وما الذي سُرق بالضبط؟".

"بعض الأوراق الخاصة يا سيدتي".

"أوراق مهمة؟".

"مهمة للغاية".

فتجهم وجهها بعض الشيء، ثم قالت:

"هل كانت - ثمينة؟".

"نعم يا سيدتي إنها تساوي قدرًا لا بأس به من المال".

"فهمت".

خيم الصمت على المكان برهة، ثم قال بوارو:

"ماذا عن كتابك يا سيدتي؟".

رفعت حاجبيها في دهشة، وقالت: "كتابي؟".

"نعم، لقد فهمت من السيدة فاندرلين أنه بعد فترة من توجهكن للنوم، رأتك وأنت تهبطين مجددًا من أجل الحصول على كتاب".

"نعم، بالطبع، لقد فعلت هذا".

"لذا، في واقع الأمر، فإنك لم تأوي إلى الفراش مباشرة عندما صعدتِ إلى غرفتك؟ لقد عدتِ إلى غرفة الجلوس؟".

"نعم هذا صحيح، لقد نسيت هذا".

"وبينما كنتِ في غرفة الجلوس، هل سمعتِ صوت أحد يصرخ؟".

"لا ـ نعم - لا أظن".

"هل أنت واثقة يا سيدتي. فلو حدث أن صرخ أحدهم لما عجزتِ عن سماع الصرخة وأنت في غرفة الجلوس".

رفعت الليدي جوليا رأسها، وقالت بحزم:

"لم أسمع شيئًا".

رفع بوارو حاجبيه متعجبًا، ولم يرد.

بدا الصمت مزعجًا، فسألته الليدي جوليا بغتة:

"ماذا تم حيال ما حدث؟".

"ماذا تم؟ أنا لا أفهم ما تعنيه يا سيدتي".

"أعني حيال السرقة. لا بد أن تفعل الشرطة أي شيء".

هز بوارو رأسه نافيًا.

"لم نبلغ الشرطة. فأنا المسئول عن هذا الأمر".

حدقت الليدي جوليا إلى وجهه، وبدا أن وجهها الشاحب المضطرب يزداد حدة وتوترًا. وكانت عيناها الغائمتان المتسائلتان تسعيان لسبر أغواره.

لكنها لم تنجح في هذا في النهاية.

"ألا يسعك أن تخبرني بما تم حتى الآن؟".

"يمكنني أن أؤكد لك يا سيدتي أنني لم أترك ذرة دون أن أفحصها".

"لتلقِ القبض على اللص ـ أو - لتستعد الأوراق؟".

"استعادة الأوراق هي الهدف الرئيسي يا سيدتي".

تغير أسلوبها، فأصبح فاترًا وضجرًا.

ثم قالت بلا مبالاة: "نعم. أفترض هذا".

ثم خيم الصمت مرة أخرى.

"هل هناك أي شيء آخر يا سيد بوارو؟".

"لا، يا سيدتي. فلن أعطلك أكثر من هذا".

"شكرًا لك".

فتح بوارو الباب لها، فمرت منه دون أن تنظر إليه.

عاد بوارو للوقوف بجوار المدفأة، وأخذ يرتب التحف الموضوعة على رفها. وكان لا يزال يرتبها عندما دخل اللورد مايفيلد الغرفة عبر النافذة.

قال الأخير: "حسنًا؟".

"الأمر يسير بشكل جيد للغاية على ما أظن، فالأحداث تكشف عن نفسها كما ينبغي".

قال اللورد مايفيلد وهو يحدق إلى وجهه: "هل أنت مسرور؟".

"لا، لست مسرورًا، لكنني راضٍ".

"حقًا يا سيد بوارو، لا يمكنني أن أفهمك".

"أنا لست دجالًا كما تظنني".

"أنا لم أقل مطلقًا...".

"لم تقل، لكنك فكرت! لا يهم. فأنا لا أشعر بالإهانة. وفي بعض الأوقات يكون من الضروري أن أتخذ لنفسي وضعية معينة".

نظر إليه اللورد مايفيلد بشك ممزوج بقدر من عدم الثقة. كان هيركيول بوارو رجلًا لم يستطع فهمه. لقد كان يشعر برغبة ملحة في التقليل من شأنه، لكن هناك شيئًا ما أنبأه بأن هذا الرجل الضئيل السخيف ليس عديم الجدوى كما يبدو. لقد كان تشارلز ماكلولين قادرًا دائمًا على التعرف على أصحاب الكفاءات متى التقاهم.

قال اللورد مايفيلد: "حسنًا، الأمر كله بين يديك. فما الذي تنصحني بفعله كخطوة تالية؟".

"هل يمكنك صرف ضيوفك؟".

"أظن أنه يمكنني ترتيب الأمر... ويمكنني أن أفسر هذا بأن أقول لهم إنني ذاهب إلى لندن بسبب هذا الحادث. وحينها سيكون من المرجح أن يعرضوا هم الرحيل".

"جيد للغاية. حاول ورتب الأمر بهذه الطريقة".

بدا اللورد مايفيلد مترددًا.

"ألا تظن... ؟".

"أنا متأكد تمامًا من أن هذا سيكون المسار الأكثر حكمة لنسلكه".

فهز اللورد مايفيلد كتفيه موافقًا.

"لا بأس، إذا كان هذا رأيك".

ثم غادر الغرفة.

رحل الضيوف بعد الغداء، حيث تقرر أن تغادر السيدة فاندرلين والسيدة ماكاتا بالقطار، أما آل كارينجتون فعزموا المغادرة في سيارتهم. وكان بوارو يقف في البهو عندما ودعت السيدة فاندرلين مضيفها وداعًا أنيقًا ومتعاطفًا.

"آسفة للغاية لأنك منزعج وقلق هكذا. وأتمنى أن يصبح كل شيء على ما يرام. وعليك أن تطمئن، فلن أتفوه بكلمة عن هذا الأمر".

ثم ضغطت على يده، واستقلت السيارة الرولز رويس التي كانت تنتظرها لتوصلها إلى المحطة. وكانت السيدة ماكاتا داخل السيارة بالفعل، وكان وداعها فظًا ولا ينم عن أي تعاطف.

وفجأة عادت ليوني - التي كانت تركب في المقعد الأمامي بجوار السائق - راكضة إلى البهو.

ثم صاحت: "حقيبة ملابس سيدتي ليست في السيارة".

جرى تفتيش سريع. وفي النهاية اكتشف اللورد مايفيلد مكانها خلف صندوق خشبي عتيق. فانطلقت من ليوني صيحة فرح وهي تمسك بتلك الحقيبة الفاخرة المصنوعة من جلد الماعز المدبوغ باللون الأخضر، وأسرعت للخارج وهي تحملها.

ثم تدلت السيدة فاندرلين من السيارة.

وقالت وهي تسلم اللورد مايفيلد رسالة: " يا لورد مايفيلد، هل تمانع إذا وضعت هذه الرسالة في حقيبة بريدك؟ لأنني إذا أبقيتها معي حتى أرسلها من المدينة، فأنا متأكدة من أنني سوف أنسى إرسالها. فالرسائل تظل في حقيبتي أيامًا".

تململ السير جورج كارينجتون وهو ينظر إلى ساعته التي كان يفتحها ويغلقها، وكان مولعًا بالانضباط في المواعيد.

ثم غمغم قائلًا: "إنهن يتلكأن، يتلكأن للغاية. ما لم ينتبهن، فسيفوتهن القطار... ".

فقالت زوجته بانزعاج:

"أوه، لا تتذمر يا جورج. ففي النهاية هن من عليهن اللحاق بالقطار لا نحن".

فنظر إليها معاتبًا.

ثم انطلقت السيارة الرولز رويس.

بعدها فتح ريجي الباب الأمامي لسيارة آل كارينجتون من طراز موريس.

ثم قال: "كل شيء على ما يرام يا أبي".

بدأ الخدم في إحضار متاع آل كارينجتون، وأشرف ريجي على وضعه في المقعد الخلفي للسيارة.

واتجه بوارو للبوابة الأمامية مراقبًا ما يحدث.

وفجأة شعر بيد تمسك ذراعه، وسمع صوت الليدي جوليا تحدثه في همس منفعل.

"سيد بوارو. يجب أن أتحدث إليك - في الحال".

استسلم بوارو ليدها المتشبثة به، وتركها تسحبه إلى غرفة الفطور الصغيرة، وأغلقت الباب، ثم اقتربت الليدي جوليا منه.

"أصحيح ما قلته - إن العثور على الأوراق هو أكثر ما يهم اللورد مايفيلد؟".

نظر إليها بوارو مستغربًا.

"هذا صحيح للغاية يا سيدتي".

"لو - لو عادت هذه الأوراق إليك، فهل تتعهد بأنك ستعيدها لمايفيلد دون أن تطرح أية أسئلة؟".

"أنا غير متأكد من أنني أفهمك".

"يجب أن تفهمني! وأنا متأكدة من أنك تفهمني! وأنا أقترح أن - أن تُبقي هوية اللص مجهولة إذا عادت الأوراق".

فسألها بوارو:

"متى يتوقع أن تعود الأوراق يا سيدتي؟".

"بعد اثنتي عشرة ساعة على وجه التحديد".

"هل تعدينني بهذا؟".

"أعدك".

لم يعقب على قولها، فسألته مرة أخرى بإلحاح:

"هل تضمن لي أن الأمر لن يذاع؟".

فأجاب بأسى شديد:

"نعم يا سيدتي، أضمن لك هذا".

"إذن كل شيء يمكن تدبيره".

ثم خرجت من الحجرة فجأة، وبعد لحظة سمع بوارو السيارة تنطلق.

قطع بوارو البهو، وسار في الرواق إلى غرفة المكتب. وكان اللورد مايفيلد في الداخل، ونظر إلى الباب عندما دخل بوارو.

فقال: "حسنًا؟".

فبسط بوارو يديه.

"القضية انتهت، يا لورد مايفيلد".

"ماذا؟".

أعاد عليه بوارو الحديث الذي دار بينه وبين الليدي جوليا. فنظر إليه مايفيلد، وقد ارتسم على وجهه الذهول.

"لكن ما الذي يعنيه هذا؟ أنا لا أفهم".

"الأمر واضح للغاية، أليس كذلك؟ الليدي جوليا تعرف هوية سارق الأوراق".

"أنت لا تقصد أنها هي من أخذتها؟".

"بالتأكيد لا. ربما تكون الليدي جوليا مقامرة، لكنها ليست لصة؛ غير أنها إذا عرضتْ أن تعيد المخططات، فهذا يعني أن من أخذها هو زوجها أو ابنها. وبما أن السير جورج كان في الشرفة معك في الخارج، فلم يتبقَّ لدينا إذن سوى الابن. أظن الآن أن بإمكاني تخيل ما حدث في الليلة الماضية بدقة كافية. لقد ذهبت الليدي جوليا إلى غرفة ابنها الليلة الماضية، ووجدتها خاوية، فنزلت الدرج لتبحث عنه، لكنها لم تجده. وفي هذا الصباح سمعت بأمر السرقة، كما أنها سمعت ابنها يصرح بأنه ذهب إلى غرفته مباشرة *ولم يغادرها قط*، وهو الأمر الذي تعرف أنه غير صحيح. كما أنها تعرف شيئًا آخر عن ابنها. إنها تعلم أنه ضعيف، وأنه في حاجة ماسة إلى المال. كما لاحظتْ افتتانه بالسيدة فاندرلين، فبات الأمر كله واضحًا أمامها. لقد أغوت السيدة فاندرلين ريجي لكي يسرق المخططات. لكن الليدي جوليا مصممة على التحرك بشأن هذا الأمر. فهي التي ستتعامل مع ريجي وتأخذ الأوراق وستعيدها".

صاح اللورد مايفيلد: "لكن الأمر برمته مستحيل".

"نعم، إنه مستحيل، لكن الليدي جوليا لا تعلم هذا. إنها لا تعلم ما أعلمه أنا، هيركيول بوارو، من أن ريجي كارينجتون الشاب

لم يسرق الأوراق الليلة الماضية، بل إنه كان يغازل خادمة السيدة فاندرلين الفرنسية".

"الأمر برمته مربك للغاية!".

"بالضبط".

"والقضية لم تنتهِ على الإطلاق!".

"بل انتهت. *فأنا، هيركيول بوارو، أعرف الحقيقة*. وأنت لا تصدقني، أليس كذلك؟ أنت لم تصدقني أمس عندما قلت إنني أعرف أين كانت المخططات. لكنني أعرف. لقد كانت قريبة للغاية".

"أين؟".

"كانت في جيبك يا لورد".

خيم الصمت لحظة على المكان، ثم قال اللورد مايفيلد:

"هل تعي ما تقوله بالضبط يا سيد بوارو؟".

"نعم، أعرف. فأنا أعرف أنني أتحدث إلى رجل ماهر للغاية. منذ البداية والقلق يساورني بشأن أنك - أنت الرجل قصير النظر باعتراف الجميع - ينبغي أن تكون متأكدًا من الشخص الذي رأيته يخرج من النافذة. فأنت أردت أن يكون هذا هو الحل - الحل المناسب - المقبول. لقد فهمتُ الأمر كله رويدًا رويدًا، حيث شرعت في إخراج الجميع من دائرة الشك واحدًا تلو الآخر. فالسيدة فاندرلين كانت في الطابق العلوي، والسير جورج كان في الشرفة معك، وريجي كارينجتون كان مع الفتاة الفرنسية على الدرج، والسيدة ماكاتا كانت في غرفتها. (تلك الغرفة التي تقع أمام غرفة مدبرة المنزل، كما أن السيدة ماكاتا تشخَر أثناء نومها!). ومن الواضح أن الليدي جوليا كانت تظن أن ابنها هو المذنب؛ لذا تبقى أمامي احتمالان: إما أن يكون كارلايل لم يضع الأوراق على المكتب، ووضعها في جيبه (وهذا غير معقول، لأنه - كما بيَّنتَ أنت - كان من الممكن أن يأخذ نسخة منها)،

أو أن المخططات كانت هنا عندما دخلت أنت المكتب، والمكان الوحيد الذي من الممكن أن تكون هذه المخططات قد ذهبت إليه هو جيبك أنت. وهنا اتضحت حقيقة كل شيء، والظواهر الدالة على ذلك هي إصرارك على أنك رأيت شخصًا ما، وإصرارك على أن كارلايل بريء، ونفورك من استدعائي.

هناك شيء واحد أثار حيرتي ـ وهو الدافع. لقد كنتَ ـ وفق قناعتي - رجلًا شريفًا ونزيهًا. لقد كان هذا واضحًا في انزعاجك من أن يوضع في دائرة الاتهام أي شخص بريء. كما كان واضحًا أن سرقة المخططات ربما تؤثر في مسيرتك المهنية بشكل غير مرغوب. فلماذا إذن قمت بهذه السرقة المستحيلة؟ وفي النهاية عرفتُ الإجابة. تلك الأزمة التي مررت بها في عملك منذ بضع سنوات مضت، وبالتحديد تلك التأكيدات التي منحها رئيس الوزراء للعالم والتي تفيد بأنك لا تجري أية مفاوضات مع تلك القوة المشكوك بنياتها. ولو افترضنا أن هذا لم يكن حقيقيًا تمامًا، فلا بد أن هناك بعض السجلات المتبقية - رسالة ربما - تثبت أن ما أنكر حدوثه أمام العامة قد صدر *منك* بالفعل. ومثل هذا الإنكار كان ضروريًا لصالح السياسة العامة للبلاد، لكن من غير المؤكد أن يرى رجل الشارع الأمر بهذه الطريقة. وهذا قد يعني أنه في اللحظة التي ربما تؤول فيها مقاليد السلطة إليك، فإن صدى الماضي قد يقوض كل ما تحققه.

لقد شككتُ في أن تلك الرسالة كانت في يد حكومة دولة معينة، وهذه الحكومة طلبت منك إجراء مقايضة ـ أي الرسالة مقابل مخططات قاذفة القنابل الجديدة. وبعض الرجال في مثل موقفك قد يرفضون هذا، لكنك لم تفعل! لقد وافقت، وكانت السيدة فاندرلين هي الوسيط هنا. لقد أتت هنا حسب الاتفاق لتتم عملية المقايضة وأنت أفسدت كل شيء عندما اعترفت بأنك

لم تعد أية خطة مفصلة للإيقاع بها. لقد جعل هذا الاعتراف سبب دعوتها إلى منزلك واهيًا للغاية.

لقد دبرتَ السرقة، وادعيت أنك رأيت اللص في الشرفة - وبهذا أزلت الشك عن كارلايل. وحتى لو لم يغادر الحجرة، فقد كان المكتب قريبًا للغاية من النافذة بدرجة تسمح للص بأن يأخذ المخططات بينما يكون كارلايل مشغولًا بالخزانة ومواليًا ظهره للنافذة. لقد سرت حتى المكتب، وأخذت المخططات، واحتفظت بها معك حتى حانت اللحظة - حسب الخطة الموضوعة مسبقًا- التي دسستها فيها بحقيبة ملابس السيدة فاندرلين. وفي المقابل سلمتك هي الرسالة الخطيرة مدعية أنها رسالة تخصها ولم ترسلها بعد، وترغب في إرسالها عن طريقك".

انتهى بوارو من حديثه وصمت.

قال اللورد مايفيلد: "معلوماتك صحيحة تمامًا يا سيد بوارو. ولا بد من أنك تفكر فيَّ كشخص غاية في الحقارة".

بدرت من بوارو إيماءة سريعة كاعتراض على ما قيل.

"لا، لا، لورد مايفيلد. فأنا أظن - كما قلتُ - أنك رجل ماهر للغاية. لقد خطر ببالي الأمر ونحن نتحدث هنا الليلة الماضية. فأنت مهندس من الطراز الأول، وعلى ما أظن سيكون هناك بعض التعديلات الخفية على مواصفات قاذفة القنابل. لقد أجريتَ التعديلات ببراعة يصعب معها فهم سبب عدم عمل القاذفة كما ينبغي لها عند تجربتها. وستظن تلك القوة الأجنبية أن هذا المشروع فاشل... إن هذا الأمر سيسبب لها إحباطًا، أنا متأكد...".

خيم الصمت على المكان مجددًا - ثم قال اللورد مايفيلد:

"أنت بارع للغاية أيضًا، يا سيد بوارو. وسأطلب منك فقط أن تصدق شيئًا واحدًا. فأنا أؤمن بنفسي، وأعتقد يقينًا بأنني الرجل الذي سيقود إنجلترا خلال أيام الأزمات التي أراها آتية. وإذا لم

أكن أؤمن حقًا بأن البلاد تحتاج إليَّ لإدارة دفة الأمور، لم أكن لأفعل ما فعلته. فقد فعلت ما فيه صالح الدولتين، وأنقذت نفسي من كارثة محققة بخدعة ذكية".

فقال بوارو بيقين: "أيها اللورد، لو لم تتمكن من فعل ما فيه الصالح للدولتين، لما أصبحت سياسيًا من الأساس! ".

المراجع

عادة ما كانت قصص أجاثا كريستي القصيرة تُنشر للمرة الأولى في المجلات، ثم لاحقًا في مجموعاتها القصصية، التي كانت طبعاتها في المملكة المتحدة تختلف في عناوينها ومحتوياتها وترتيبها عن تلك التي تصدُر في الولايات المتحدة الأمريكية. وتهدف القائمة التالية إلى فهرسة تاريخ النشر الأول لكل قصة وردت في هذه المجموعة، وبيان العناوين البديلة التي حملتها بعض القصص.

ذات صيف في جبال البرانس

مقتطف من كتاب *An Autobiography* وهي السيرة الذاتية لأجاثا كريستي (1977)

الرصيف الملطخ بالدماء

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *رويال ماجازين* عدد رقم 353، بتاريخ مارس 1928. و نُشرت في الولايات المتحدة الأمريكية على شكل حلقات منفصلة في مجلة ديتيكتيف ستوري *ماجازين* بتاريخ 23 يونيو 1928. وأعيدت طباعتها ضمن المجموعة القصصية *The Thirteen Problems* (المملكة

المتحدة، 1932) وطباعتها كقصة باسم *The Tuesday Night Club* (الولايات المتحدة الأمريكية، 1933).

الدليل المزدوج

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ذا سكيتش* عدد رقم 1610، بتاريخ 5 ديسمبر 1923. وفي الولايات المتحدة الأمريكية في مجلة *بلو بوك ماجازين* مجلد 41، عدد رقم 4، بتاريخ أغسطس 1925. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *Poirot's Early Cases* (المملكة المتحدة، 1974) والمجموعة القصصية *Double Sin* (الولايات المتحدة الأمريكية، 1961).

جريمة على ضفاف النيل

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ناش بال مول* مجلد 91، عدد رقم 482، بتاريخ يوليو 1923، وفي الولايات المتحدة الأمريكية في مجلة *كوزمو بوليتان*، بتاريخ أبريل 1923. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *Parker Pyne Investigates* (المملكة المتحدة، 1934) ونشرت باسم *Mr Parker Pyne Detective* (الولايات المتحدة الأمريكية، 1934).

درب هارلكوين

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ستوري تيلر*، عدد رقم 241، بتاريخ مايو 1927. وفي الولايات المتحدة الأمريكية في مجلة *ذا ماجيك أوف مستر كوين*، عدد رقم 5، بتاريخ مايو 1927. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *The Mysterious Mr Quin* (1930).

مغامرة النبيل الإيطالي

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ذا سكيتش* عدد رقم 1604، بتاريخ 24 أكتوبر 1923. وفي الولايات المتحدة الأمريكية في مجلة *بلو بوك ماجازين* مجلد 40، عدد رقم 2، بتاريخ ديسمبر 1924. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *Poirot`s Investigates* (المملكة المتحدة، 1924؛ الولايات المتحدة الأمريكية، 1925).

جين تبحث عن عمل

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *جراند ماجازين* عدد رقم 234، بتاريخ أغسطس 1924. وأعيدت طباعتها ضمن المجموعة القصصية *The Listerdale Mystery* (المملكة المتحدة 1934) والمجموعة القصصية *The Golden Ball* (الولايات المتحدة الأمريكية، 1971).

اختفاء السيد دافينهايم

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ذا سكيتش* عدد رقم 1574، بتاريخ 28 مارس 1923، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان "*Mr Davenby Disappears*" في مجلة *بلو بوك ماجازين* مجلد 38، عدد رقم 2، بتاريخ ديسمبر 1923. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *Poirot`s Investigates* (المملكة المتحدة، 1924؛ الولايات المتحدة الأمريكية، 1925).

منزل عشتروت المسكون

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *رويال ماجازين* عدد رقم 351، بتاريخ يناير 1928، وفي الولايات المتحدة الأمريكية نشرت تحت عنوان "***The Solving Six and Evil Hour***" في مجلة *ديتيكتيف ستوري ماجازين* بتاريخ 9 يونيو 1928. وأعيدت طباعتها ضمن المجموعة القصصية ***The Thirteen Problems*** (المملكة المتحدة، 1932) والمجموعة القصصية ***The Tuesday Night Club*** (الولايات المتحدة الأمريكية، 1933).

زمردة الراجا

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ريد ماجازين*، بتاريخ 30 يوليو 1926. وأعيدت طباعتها ضمن المجموعة القصصية ***The Listerdale Mystery*** (المملكة المتحدة 1934) والمجموعة القصصية ***The Golden Ball*** (الولايات المتحدة الأمريكية، 1971).

حكيم دلفي

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ناش بال مول* مجلد 91، عدد رقم 482، بتاريخ يوليو 1933. وفي الولايات المتحدة الأمريكية في مجلة *كوزموبوليتان*، بتاريخ أبريل 1933. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية ***Parker Pyne Investigates*** (المملكة المتحدة، 1934) والمجموعة القصصية ***Mr Parker Pyne، Detective*** (الولايات المتحدة الأمريكية، 1934).

مغامرة الغريب الشرير

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة في مجلة *ذا سكيتش* عدد رقم 1656، بتاريخ 22 أكتوبر 1929. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *Partners in Crime* (1929).

السرقة المستحيلة

نشرت للمرة الأولى في المملكة المتحدة تحت عنوان "*The Submarine Plans*"، في عام 1923، ثم نشرت فيما بعد نسخة معدلة وموسعة منها في صحيفة ديلي *إكسبريس* بتاريخ 6-12 أبريل 1937. وأعيدت طباعتها مرة أخرى في المجموعة القصصية *Murder in the Mews* (المملكة المتحدة، 1937) وكرواية قصيرة تحمل اسم *Dead Man`s Mirror* (الولايات المتحدة الأمريكية، 1937).

